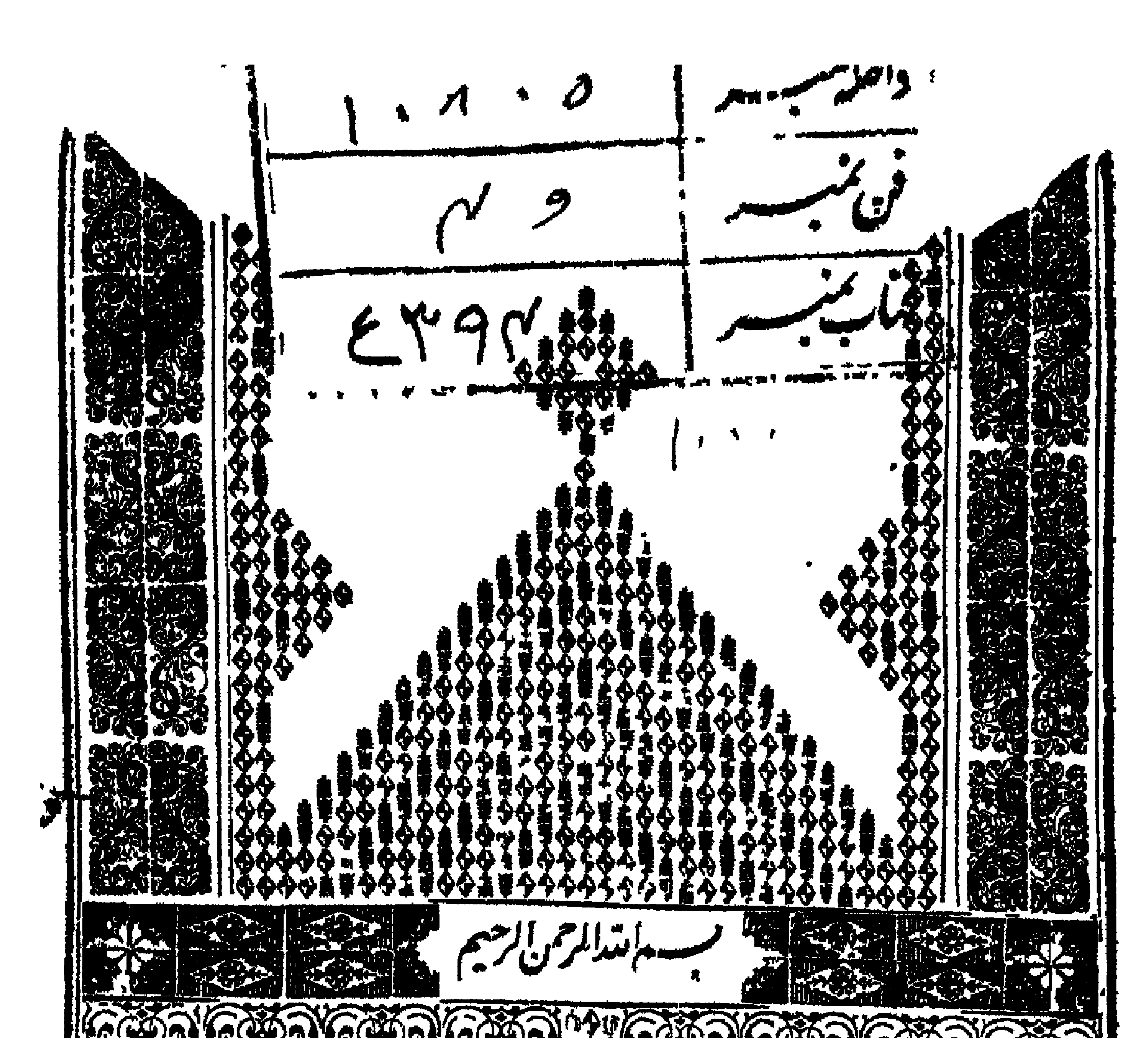
بسم الله الرحمن الرحيم شرح لامية الاستاذ ابن
الوردي نصيحة الاخوان نفعنا الله به وبعلومه على
ممر الازمان تأليف الفاضل السيد
الشريف مسعود بن حسن بن أبي
بكر القناوي الشافعي نفعنا
الله بسره وأسراره .
أحمد داده
آمين





الحمد لله الذى جعل النصيحة من شأن العارفين ووصف بها بعض الانبياء المرسلين فقال تعالى حكاية عنه صلى الله عليه وسلم وأنا لكم ناصح أمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين الذى هو أشرف الخليقة القائل فى السنة الصحيحة الدين النصيحة وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما دائمين متلازمين ما أخلص ناصح فى النصيحة وما فهم فاهم بالقريحه (وبعد) فيقول العبد الفقير مسعود بن حسن بن أبى بكر بن أحمد بن أبى بكر بن حسن بن سباط الحسينى القناوى الشافعى هذا شرح على القصيدة الوردية اللامية المنظومة من بحر الرمل ووزنه فاعلاتن فاعلاتن فاعلن المسماة بنصيحة الاخوان ومرشدة الخلان وهى خمسة وسبعون بيتا المشتملة على المواعظ والحكم نظم الفاضل الاديب الشيخ الامام الهمام شيخ الافتاء والتدريس المحقق المدقق المتبحر فى الفقه والادب وسائر العلوم زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبى الفوارس الحلبى الشافعى البكرى الصديقى منسوب الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ونسبه معروف مشهور لا شك فيه تفقه على الشيخ شرف الدين البارزى رحمه الله تعالى وجالس أكابر العلماء * قال بعض العلماء كان الشيخ سراج الدين عمر بن الوردى رجلا صالحا كثير الخيرات حسن الخلق سيد شعراء عصره جمع فى شعره بين الحلاوة والطلاوة والجزالة له مقام عظيم عند الناس ومهابة كثيرة لما كان عليه من الزهد والورع والخشية والخوف من الله تعالى برع فى سائر العلوم وصنف تصانيف حميده ونظم فيها منظومات

فاتقه

الفقه مجيده وكفاه شرفا هذه المنظومة العظيمة وما حوت من المسائل الجليلة وكذلك منظومته المشهورة المسماة بالبهجة في الفقه وما أحسن قوله في آخرها

(فهي عروس بنت عشر بكر * بكرية لها الدعاء مهر)

وفضائله ومناقبه رضي الله عنه أكثر من أن تحصى فهو الغاية والنهاية * وكانت وفاته في سابع عشر ذي الحجة الحرام ختام عام تسع وأربعين وسبعمائة وهو في عشر التسعين رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين ﴿وسميته فتح الرحيم الرحمن في شرح نصيحة الاخوان﴾ واعلم أن الشعر مجمع على جوازه خصوصا اذا كان متعلقا بتوحيد كالجوهرة للامام اللقاني أو بمدحه صلى الله عليه وسلم كالهمزية والميمية واللامية للامام البوصيري أو بفقه كالبهجة للناظم رحمه الله تعالى أو بنصيحة كهذه اللامية له نفعنا الله به * ثم ان الشعر لا يحصل الا للذي الفطنة السليمة ولا يكون في الغالب الا لمن مارس على المعاني والبيان لادراك معرفة الفصيح والافصح ومما يعين عليه أيضا مطالعة الرسائل والخطب والاشعار والدواوين فتتولد له دراية وملكة وعينا تتبع في القلب بسبب هذه الامور (واعلم) أنه تعتريه الاحكام الاربعة فيكون حراما ان كان متعلقا بهجو وذم ويكون مندوبا ان كان متعلقا بخير كمدحه صلى الله عليه وسلم ويكون مكروها ان كان متعلقا بأمر مكروه ويكون مباحا ان كان متعلقا بأمر مباح ولا يكون واجبا * ولما كانت القصيدة المذكورة من الامور ذوات البال افتتحها الناظم رحمه الله تعالى بالبسملة لقوله صلى الله عليه وسلم كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر أو أجذم أو أقطع والكلام على هذا الحديث مذكور في المطولات وذكر رحمه الله تعالى البسملة دون الحمدلة لان المقصود بالحمدلة الثناء على الله تعالى وقد حصل بالبسملة فقد اختار الناظم رواية كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بذكر الله الشاملة لكل من البسملة والحمدلة انتهى * ولما كانت النساء أصل كل فتنة لانهن حبائل الشيطان حذر الناظم رحمه الله تعالى من ذكرهن والتغزل فيهن فقال ﴿اعتزل ذكر الاغاني والغزل * وقل الفصل وجانب من هزل﴾

أي اترك ذكر الاغاني من النساء أي المستغنيات بحسنهن وجمالهن عن الزينة واترك التغزل فيهن بغير حاجة ولكن المراد هنا مطلق النساء ولو لم يكن غانيات لان التعلق بهن يجر الى المفاسد ويعلق الخاطر الا طائل ولا فائدة فيه فقد نقل عن كثير من الناس أنه مات بذلك ومنهم من مات بمجرد التغزل ومنهم من مات بالسماع أما اذا كان ذكر الاغاني لحاجة كأن يستشيره من يثق بدينه ورأيه في خطبة امرأة أو تزوجها أو معاملتها فيجوز له ذلك ولا اثم عليه (واعلم) أن المرأة لشدة فتنتها جعلها صلى الله عليه وسلم قسيما مقابلا للدنيا بقوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه ولذلك روى أسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما تركت في الناس بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء وقال بعض العارفين ما أيس الشيطان من انسان قط الا أتاه من قبل النساء وقال سفيان قال ابليس سهمي الذي اذا رميت به لم أخطئ النساء وفي خبر الامام أحمد النظر الى محاسن المرأة من سهام ابليس وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أيها الناس لا تطيعوا النساء في أمر ولا تدعوهن يدبرن أمر عيش فانهن ان تركن وما دبرن أفسدن الملك وعصين المالك وجدناهن لا دين لهن

فى خلواتهن ولا ورع لهن عند شهواتهن اللذة بهن يسيرة والحيرة بهن كثيرة فأما الصوالحهن ففاجرات وأما الطوالحهن فعاهرات وأما المعصومات فهن المعدومات فيهن ثلاث خصال من خصال اليهود يتظلمن وهن الظالمات ويحلفن وهن الكاذبات ويتمنعن وهن الراغبات فاستعيذوا بالله من شرارهن وكونوا على حذر من خيارهن والسلام اه وهذا باعتبار الغالب والا ففيهن نسوة لهن أحوال وزهد وصلاح كأكابر الرجال مثل رابعة العدوية وريحانة المصرية وأم الخير وغيرهن من النساء المشهورات كما يحكى عن رابعة العدوية رضى الله عنها أنها كانت اذا صلت العشاء قامت الى سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم تقول الهى غابت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك ابوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامى بين يديك ثم تقبل على صلاتها فاذا كان وقت السحر وطلع الفجر قالت هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعرى أقبلت منى ليلتى فأهنى أم رددتها على فأعزى وعزتك لو طردتنى عن بابك مابرحت عنه لما وقع فى قلبى من محبتك ثم تنشد وتقول

ياسرورى ومنيتى وعمادى * وأنيسى وغايتى ومرادى
أنت روح الفؤاد أنت رجائى * أنت لى مؤنس وشوقك زادى
أنت لولاك ياحياتى وأنسى * ماتشتت فى فسيح البلاد
كم لكم منة وكم لك فضل * من عطاء ونعمة وأيادى
حبك الآن بغيتى ونعيمى * وجلاء لعين قلبى الصادى
ان تكن راضيا على فانى * يامنى القلب قد بدا اسعادى

وقال بعض الصلحاء رأيت جارية وهى تضرب بالطار فمررت يوما بقارئ يقرأ وان جهنم لمحيطة بالكافرين قال فرمت الطار من يدها وصرخت ثم سقطت الى الارض فلما أفاقت كسرت الطار وأخذت فى العبادة حتى شاع ذكرها فقال ذلك البعض فدخلت عليها يوما فكلمتها فى الرفق بنفسها فبكت وقالت ليت شعرى أهل النار من قبورهم كيف يخرجون وعلى الصراط كيف يعبرون ومن أهوال القيامة كيف يخلصون وللحميم كيف يتجرعون وتوبيخ المولى كيف يسمعون ثم سقطت الى الارض مغشيا عليها فلما أفاقت قالت مولاى وسيدى عصيتك وأنا غضة رطبة وأطعتك وأنا يابسة خشنة أتراك تقبلنى ثم قالت أواه كم من فضيحة تكشفها القيامة غدا ثم صرخت وبكت فلم يبق أحد فى المجلس حتى غشى عليه من شدة البكاء بما صنعت بنفسها ثم أنشدت تقول

أما والذى قد قدر البعد بيننا * وعذبنى بالشوق وهو شديد
لقد ذاب قلبى فى دموعى عليكم * على أنه فى النائبات جليد

قال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى بلغنى أن بالجبل جارية متعبدة فأحببت أن أزورها فخرجت الى الجبل أطلبها فلم أجدها فلقيت جماعة من المتعبدين فسألتهم عنها فقالوا أتسأل عن المجانين وتترك العقلاء فقلت دلونى عليها وان كانت مجنونة فقالوا انا نراها تجوز بنا تقع مرة وتقوم أخرى وتصيح مرة وتبكى مرة وتضحك مرة فقلت دلونى عليها فقال أحدهم تجدها فى الوادى الفلانى فخرجت فى طلبها فلما أشرفت عليها سمعت لها صوتا ضعيفا وهى تنشد وتقول

يا ذا الذي أنس الفؤاد بذكره * أنت الذي ما ان سواك أريد

فاتبعت الصوت فاذا بجارية جالسة على صخرة عظيمة فسلمت عليها فردت علي السلام وقالت يا ذا النون مالك والمجانين فقلت لها أمجنونة أنت قالت لولا أني مجنونة لما نوديت علي يا مجنون قلت فما الذي جننك قالت حبه جننني ووجده أقلقني وشوقه تيمني فقلت وأين محل الشوق منك فقالت يا ذا النون الحب في القلب والشوق في الفؤاد والوجد في السر ثم بكت بكاء شديدا حتى غشي عليها فلما أفاقت قالت آواه من فرط المحبة يا ذا النون هكذا اموت المحبين ثم صاحت صيحة عظيمة ثم سقطت الى الارض فحركتها فاذا هي ميتة رحمة الله تعالى عليها * وقال الجنيد رحمه الله تعالى حججت وجاورت بمكة شرفها الله تعالى فكنت اذا جن الليل دخلت الطواف فبينما أنا أطوف اذا بجارية تطوف بالبيت وهي تقول

أبى الحب أن يخفى وان قد كتمته * فأصبح عندي قد أناخ وطنبا

اذا اشتد شوقي هام قلبي بذكره * وان رمت قربا من حبيبي تقربا

ويبدو فأفنى ثم أحيا به له * ويسعدني حتى ألذ وأطربا

قال الجنيد فقلت لها يا جارية أما تتقين الله تتكلمين مثل هذا الكلام في مثل هذا المقام فالتفتت الي وقالت يا جنيد لا تدخل بينه وبين محبيه وأنت يا جنيد تطوف بالبيت فهل ترى رب البيت فقلت هذه دعوة تحتاج الى اقامة بينة فرفعت رأسها الى السماء وقالت سبحانك سبحانك ما أعظم شأنك وما أعلى سلطانك خلق كالاحجار يطوفون بالبيت ويعترضون على أهل الاسرار ثم أنشدت وجعلت تقول

يطوفون بالبيت العتيق تقربا * اليك وهم أقسى قلوبا من الصخر

فلو يخلصون السر جادت صفاتهم * وقامت صفات الحق منهم على الذكر

قال الجنيد فأغمي علي من كلامها فلما أفقت طلبتها فلم أجدها * فمثل هؤلاء النسوة عليهن الرضوان ونفعنا الله بهن لا يعتزل ذكرهن بل يذكرن تبركا بهن * ولنرجع الى كلام الناظم فنقول الأغاني جمع غانية كفاعلة وتجمع أيضا على غوان كما في قول الشاعر

دعاني الغواني عمهن وخلتني * لي اسم فلا أدعى به وهو أول

والغانية المرأة اللطيفة الحسنة الخلق والخلق * والغزل كلام رقيق لفظا ومعنى متضمن لمعان رقيقة واستعارات دقيقة كما قيل

لها كفل تعلق في ضعيف * وذاك الردف لي ولها ظلوم

فيقلقني اذا فكرت فيه * ويقعدها اذا همت تقوم

قال بعضهم ولا يختص ذلك بغير الصوفية بل شعراء الصوفية كغيرهم يستعملون الغزل في نظمهم كثيرا وقد تغزل كثير منهم كالشيخ محيي الدين بن عربي والشيخ شرف الدين بن الفارض وغيرهما من السادات تغزلات كثيرة رقيقة فمنهم من تغزل في الديار المكية كالكعبة الشريفة والصفا والمروة ونحو ذلك ومنهم من تغزل بالمدينة النبوية والنازلين بها ومنهم من تغزل بالديار والربوع ونحو ذلك والمراد بذلك أصحابها ومنهم من تغزل بذكر عزة وسلمى وليلى وسعاد وزينب وما أشبه ذلك قال بعضهم وهذا أبلغ عندهم وأبدع وأرق وأظرف وأحلى وأعلى

وأقلي ومنهم من أظهر ومنهم من كنى وأشعر ومرادهم بذلك ستر الالفاظ عن غير أهلها فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم * والستر والكتمان دأب المحبين والعاشقين كيلا يطلع الغير على ما بينهم وبين المعشوقين * قال في روضة القلوب للامام الشيرازي مانصه اعلم أن الناس قد كثر كلامهم في وصف المحبة ونعت الشوق فسلك كل واحد منهم مسلكا أداه اليه نظره واجتهاده فأهل الطب يجعلون العشق مرضا دماغيا يتولد عن النظر والسماع ويجعلون له علاجا كسائر الامراض الدماغية وهو مراتب ودرجات بعضها فوق بعض فأول مرتبة منه تسمى الاستحسان وهي المتولدة عن النظر والسماع ثم تقوى هذه المرتبة بطول الفكرة في محاسن المحبوب وصفاته الجميلة فتصير مودة وهي الميل اليه ثم تتأكد المودة فتصير محبة وهي الائتلاف الروحاني فاذا قويت صارت خلة وهي بين الآدميين تمكن محبة أحدهما من قلب الآخر حتى تسقط بينهما السر ثم تقوى الخلة فتصير هوى وهو أن المحب لا يخالطه في محبة محبوبه تغير ولا يداخله تلون ثم يزيد الهوى فيصير عشقا وهو افراط المحبة حتى لا يخلو العاشق من تخيل معشوقه وفكره وذكره ولا يغيب عن خاطره وذهنه فعند ذلك تشتغل النفس عن استخدام القوة الشهوانية فيمتنع من الطعام والنوم واذا قوي العشق صار تتيما وفي هذه الحالة لا يوجد في قلبه فضل لغير صورة المعشوق ولا ترضى نفسه سواها فاذا تزايد الحال صار ذلك ولها وهو الخروج عن الحد والترتيب حتى تختل أفعاله وتتغير صفاته فلا يدري ما يقول * وسئل بعضهم عن المحبة فقال هي حلوة المبادى مرة العقبى * وقيل لبعض المحبين كيف وجدت الحب قال نارا لا يخبو سعيرها ولا يخمد زفيرها ثم أنشد يقول

رأيت الحب نيرانا تلظى * قلوب العاشقين لها وقود
فلو فنيت اذا احترقت لفازت * ولكن كلما نضجت تعود
كأهل لظى اذا نضجت جلود * أعيدت للشقاء لهم جلود

وحكى الاصمعي قال بينما أنا أطوف ليلة حول البيت اذ أقبلت جاريتان لم أر أحسن منهما فطافتا سبعا ثم وقفتا تتحدثان فأنصت اليهما واذا احداهما تقول

لا يقبل الله من معشوقة عملا * يوما وعاشقها غضبان مهجور

قال فأجابتها الاخرى وقالت

وليس يأجرها في قتل عاشقها * لكن عاشقها في ذاك مأجور

قال فقلت لهما يا حزب الشيطان أفي مثل هذا الموضع تقولان هذا القول فنظرت الي احداهما وقالت هلا رهقك الحب فقلت لها وما الحب فقالت جل عن أن يخفى وخفي عن أن يرى فهو كامن في الاحشاء مثل كمون النار في الحجر ان قدحته أورى وان تركته توارى فقلت لها قاتلك الله لما أوصفك للحب فقالت اسمع يا شيخ نحن كما قال جرير

حور حرائر ما هممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الحديث زوانيا * ويصدهن عن الخنى الاسلام

وقال بعضهم المحبة ميلك الى رضا محبوبك ولو بهلاك نفسك ثم أنشد يقول

اذا غضبت علي غضبت أيضا * على نفسي ويرضيني رضاها

وما غضبي على نفسي لذنب * ولكني أميل الى هواها

وقال بعضهم المحبة محو الاشباح وذوب الارواح ولله در القائل

يا مشبه البدر اذا ما مضى * خمس وخمس بعدها أربع

ما كان ذنبي حين صيرتني * شبيهه أول ما يطلع

وقال بعضهم المحبة قوة غريزية تحدث للشجاع جبنا وللجبان شجاعة وتؤدي الى الداء العضال الذي لا دواء له * وقال بعضهم المحبة أن لا ينظر المحب لعيوب المحبوب * قال صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم * وقال الشاعر

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدي المساويا

ولبعضهم وحبك الشيء يعمي عن قبائحه * ويمنع الاذن أن تصغي الى العذل

وقال بعضهم الحب حرفان حاء وباء فالحاء حيرة وحزن والباء بلاء وبه وما أحسن ما قال بعضهم

حروف المحبة مرموزها * يبشرنا ببلوغ المنى

بحيم الممات وحاء الحياة * وباء البلاء وهاء الهنا

فمت مثل ما مات أهل الهوى * وذابوا اشتياقا فنالوا المنى

وقال سفيان الثوري في قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو المحبة * وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود عليه السلام يقول اللهم انى اسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك اللهم اجعل حبك أحب الي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد * وكان أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى يقول في مناجاته الهي لست أعجب من حبي لك وأنا عبد حقير وانما أعجب من حبك لي وأنت ملك قدير * وعن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى كان يقول في بعض مناجاته سيدي لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك ولئن طالبتني ببخلي لأطالبنك بجودك وكرمك ولئن طالبتني باساءتي لأطالبنك باحسانك ولئن أدخلتني النار لاخبرن أهل النار أني أحببتك يا رب فنودي يا أبا اسحق لا ندخلك النار بل ندخلك الجنة فتخبر أهلها بمحبتنا فان مكان المحبين الجنة ومكان الاعداء النار (وحكي) عن محمد بن أحمد المعيد أنه قال سمعت الجنيد رحمه الله تعالى يقول كنت نائما عند السري السقطي رحمه الله تعالى فأيقظني وقال يا جنيد رأيت كأني وقفت بين يدي الله تعالى وقال لي يا سري خلقت الخلق وكلهم ادعوا محبتي فخلقت الدنيا فهرب مني تسعة أعشارهم وبقي العشر وخلقت الجنة فهرب مني تسعة أعشار العشر وبقي مني عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب مني تسعة أعشار عشر العشر فقلت للباقين لا الدنيا أردتم ولا الجنة طلبتم ولا من البلاء هربتم فما الذي تريدون وما الذي تطلبون قالوا أنت المراد ولو قطعتنا بالبلاء لم نحل عن المحبة والوداد فقلت لهم اني مسلط عليكم من البلاء والاهوال ما لا تقوم به الجبال أتصبرون على البلا قالوا بلى اذا كنت أنت المبتلي لنا فافعل ما شئت بنا فهؤلاء عبادي حقا وأحبائي صدقا انتهى (واعلم) أنه ينشأ عن المحبة أمور كثيرة منها السهر والقلق بل والموت فقد حكى الميداني أن امرأة من أهل المدينة تزوجها رجل من أهل الشام فخرج بها الى بلده على كره منها فسمعت منشدا يقول

اذا رحلت نحو الحجاز سحابة * دعا الشوق مني برقها المتيامن

وما تركها رغبة عن بلادها * ولكنه ما قدر الله كائن

قال الراوي ثم قالت واشوقاه الى ما ذكرت ثم تنفست وخرت على وجهها ميتة (وحكى) الهيثم بن عدي عن أبي مسكين قال حدثنا فتى منا قال خرجت حتى اذا كنت عند بئر ميمون اذا بجماعة فوق تلك الجبال واذا معهم فتى طويل أبيض جعد الشعر حسن الوجه كان أحسن من رأيت من الرجال على هزال منه وصفرة لون واذا هم يتعلقون به فسألتهم عنه فقيل هذا قيس المجنون خرج به أبوه يستجير له بالبيت الحرام ويأتي قبر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ليدعو له هنالك لعل الله تبارك وتعالى يكشف ما به وانه ليصنع بنفسه صنيعا يرحمه منه عدوه فتقدمت اليه واذا هو يقول اخرجوا بي لعلي أتنسم صبا نجد فخرجوا به فيتوجه نحو نجد فيخافون أن يلقي نفسه من الجبل فمسكوه فدنوت منه وأخبرته أني قدمت من نجد فتنفس تنفسا ظننت أن كبده قد انصدعت ثم قال واشوقاه الى نجد وجعل يسألني عن واد واد وموضع موضع وأنا أخبره وهو يبكي أحر بكاء وأوجعه للقلب ثم انه أغمي عليه حتى ظننا أنه قد مات فلما أفاق قال واشوقاه قال ثم انهم حملوه وارتحلوا به الى مكة وان كبدي عليه لتتقد حزنا وأسفا ولا أدري ما صنع الله به بعد ذلك (وحكى) عن بعضهم أنه قال كانت لي ابنة وكانت تهوى شابا ونحن لا نعلم بحالها وكان الشاب يهوى قينة وكانت القينة تهوى ابنتي فحضرت بعض الايام مجلسا فيه ذلك الشاب والقينة فغنت

علامة ذل الهوى * على العاشقين البكا

ولا سيما عاشق * اذا لم يجد مشتكى

فقال لها الشاب أحسنت والله ياسيدتي أفتأذنين لي أن أموت فقالت نعم مت راشدا ان كنت عاشقا قال فوضع رأسه على وسادة وأغمض عينيه فلما بلغ القدح اليه حركناه فاذا هو ميت فاجتمعنا له وتكدر علينا السرور وافترقنا من ساعتنا فلما سرت الى منزلي أنكر في أهلي حيث جئت في غير الوقت المعتاد فأخبرتهم بما كان من الشاب فكثر تعجبهم من ذلك فسمعت ابنتي كلامي الى آخره ودخلت مجلسا لي فأنكرناه بادرتها فقمت خلفها فدخلت الى المجلس فوجدتها متوسدة على مثال ما وصفت من حال الشاب فحركتها فاذا هي ميتة فأخذنا في جهازها وغدونا بجنازتها وجنازة الشاب فلما سرنا في طريق الجنازة اذا نحن بجنازة ثالثة فسألنا عنها فاذا هي جنازة القينة بلغها موت ابنتي ففعلت مثل ما فعلت فدفنا الثلاثة في يوم واحد وهذا أعجب ما سمع في هذا الامر انتهى * وقوله وقل الفصل وجانب من هزل المراد به اتباع الحق في الاقوال والافعال واجتناب الباطل فيهما وهذا مقتبس من قوله تعالى انه لقول فصل وما هو بالهزل أي باللعب وقيل بالباطل ويطلق الهزل على ما يقع من أراذل الناس من كلمات مضحكة أو رقص أو نحو ذلك ويقرب منه ما يقع بين الناس من المزاح فانه منهي عنه قديما وحديثا شرعا وعرفا قال صلى الله عليه وسلم من تكلم بكلمة يضحك بها جلساءه فهو يهوي بها في النار سبعين خريفا أو كما قال * وأما ما ورد من مزاحه صلى الله عليه وسلم من قوله للمرأة العجوز التي أراد أن يطيب خاطرها بمزاحه معها لا تدخل الجنة عجوز ونحو ذلك فليس من هذا الباب وانما هو من باب البيان المأمور به في قوله تعالى وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم والمراد أنه

لا

لا يدخل الجنة شيخ ولا عجوز بل تدخلها الناس أبناء ثلاث وثلاثين سنة على صورة آدم عليه الصلاة والسلام * وفي الجامع الصغير قال صلى الله عليه وسلم انى لأمزح ولا أقول الا حقا رواه الطبراني عن أنس رضى الله تعالى عنه * قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿ودع الذكرى لايام الصبا * فلايام الصبا نجم أفل﴾
﴿ان أهنى عيشة قضيتها * ذهبت لذاتها والاثم حل﴾

البيت الاول مرتب على الثاني والمعنى ان أطيب وأحلى كما في نسخة وألذ عيشة قضيتها يا مخاطب في اقتراف الذنوب والسيآت ذهبت ومرت وانقضت لذاتها أى العيشة أى لذات الذنوب التي فعلتها فيها بدليل قوله والاثم حل أى ثبت عليك وحينئذ ينبغى لك عدم الذكرى لأيام الصبا التي وقعت فيها الذنوب والخطايا وقد مرت كأنها طيف خيال أو نجم أفل لانه ليس في ذكر تلك الايام الا التفاخر بالمعصية والسرور بها يزيد في الاثم كما أن التحدث بالنعمة والسرور بها يزيد في الاجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الناس معافى الا المجاهرين يعني بالمعاصي وقال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم (واعلم) أنه اذا كان السرور بكبيرة عظم وزرها وتزايد أمرها واذا كان بصغيرة ألحقت بالكبيرة * ويقال خمسة أشياء اذا قارنت الصغائر ألحقتها بالكبائر الاول السرور بالذنب فان القلب يسود بقدر الفرح بالذنب * الثاني اظهار الذنب بأن يفعله متجاهرا أو يتحدث به ويفتخر به فان من نعم الله سبحانه وتعالى اظهار الجميل وستر القبيح وفيما ذكر من التجاهر والتحدث والافتخار ترغيب من علم بذنبه في الوقوع في مثله وفي الاثر لا تذنب فان أذنبت فلا ترغب غيرك فيكتب عليك ذنبا * الثالث أن يستصغر الذنب فانه يكثر اثمه على قدر استصغاره له فان في تصغير الذنب تصغير أمر الله سبحانه وتعالى وفي تعظيمه تعظيم أمر الله تعالى قال أبو سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه انكم تعملون أشياء هي عندكم أرق من الشعر كنا نعدها في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات أى المهلكات * والرابع الاصرار وهو العزم على العود لمثل الذنب ولهذا قيل لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وليس المراد به استغفار أمثالنا باللسان وانما المراد به الواقع مع التوبة والندم والاقلاع والالتجاء الى الله تعالى بالقلب * الخامس أن يكون فاعل الذنب عالما يقتدى به كما ورد في الحديث من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من يعمل بها الى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شئ اه (فائدة) يستحب للانسان أن يتدارك ما فاته وما أهمله فيما مضى من عمره وأن يرجع بالتوبة الى ربه فقد ورد أن من أحسن فيما بقى غفر له ما مضى وما بقى ومن أساء فيما بقى عوقب بما مضى وما بقى ويعجبني قول القائل

عصيت هوى نفسي صغيرا فعندما * أتتني الليالي بالمشيب والكبر
أطعت الهوى عكس القضية ليتني * خلقت كبيرا ثم عدت الى الصغر

قال بعضهم والفائت على قسمين فائت مستدرك وفائت غير مستدرك فالفائت المستدرك كما اذا كان للانسان ورد أو تهجد يفعله بالليل ثم نام عنه في وقته ثم فعله بعد ذلك فانه يكون مدركا له ومحصلا لما هو مرتب عليه من الثواب والاجر وأما الفائت غير المستدرك كالشباب فلا يمكن تداركه ولا ينبغى لمن ذهب شبابه وأدركه الشيب الا الاجتهاد في الاعمال الصالحات

والاستعداد ليوم الرحيل قال الله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير قيل
الشيب وقيل الهرم وقيل غير ذلك وقد قيل ان الشيب رسول الموت ففي الحديث ما من شعرة
تبيض الا قالت لاختها استعدي فقد قرب الموت وما أحسن ما قيل في ذلك

ذهبت لذة الصبا في المعاصي * وبقي بعد ذاك أخذ القصاص
ومضى الحسن والجمال ومالي * عمل أرتجيه يوم الخلاص
غير ظني في الله فهو جميل * فيه أخلصت غاية الاخلاص

وقال بعضهم ذهب الشباب فماله من عودة * وأتى المشيب فأين منه المهرب
وقال الآخر الا ليت الشباب يعود يوما * فأخبره بما فعل المشيب
وقال الآخر تزود جميلا من فعال فانما * قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
الا انما الانسان ضيف لأهله * يقيم قليلا عندهم ثم يرحل

(فائدة) ورد في فضل طول العمر للمؤمن أخبار منها ما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من معمر يعمر في الاسلام أربعين سنة الا صرف الله عنه
ثلاثة أنواع من البلاء الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ الخمسين سهل الله له الحسنات فاذا
بلغ الستين رزقه الله الانابة بما يحب فاذا بلغ السبعين أحبه الله تعالى وأحبه أهل السماء فاذا
بلغ الثمانين تقبل الله حسناته وتجاوز عن سيآته فاذا بلغ التسعين غفر الله ما تقدم من ذنبه
وما تأخر وسمي أسير الله في الارض وشفع في أهل بيته فاذا بلغ مائة سنة سمي حبيس الله في الارض
وحق على الله أن لا يعذب حبيسه في الارض وللشيخ الامام صالح بن أبي شريف الاندلسي

ابن عشر من السنين غلام * رفعت عن نظيره الاقلام * وابن عشرين للصبا والتصابي
ليس يثنيه عن هواه ملام * والثلاثون قوة وشباب * وهيام ولوعة وغرام
فاذا زاد بعد ذلك عشرا * فكمال وشدة وتمام * وابن خمسين مر عنه صباه
فيراه كأنه أحلام * وابن ستين صيرته الليالي * هدفا للمنون وهي سهام
وابن سبعين لا تسلني عنه * فابن سبعين ما عليه كلام * فاذا زاد بعد ذلك عشرا
بلغ الغاية التي لا ترام * وابن تسعين عاش ما قد كفاه * واعترته وساوس وسقام
فاذا زاد بعد ذلك عشرا * فهو حي كميت والسلام

وعن أبي بكرة أن رجلا قال يا رسول الله أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قال فأي
الناس شر قال من طال عمره وساء عمله رواه الترمذي وقال حديث صحيح * وعن عائشة رضي
الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بلغ الثمانين من هذه الامة لم يعرض ولم يحاسب
وقيل له ادخل الجنة * وفي الطبراني ان الله ينظر في وجه الشيخ كل يوم خمس مرات فيقول ابن آدم
كبر سنك ووهن عظمك وقرب أجلك فاستحي مني اني أستحي أن أعذب ذا شيبة ذكره القرطبي
في تذكرته قال الناظم رحمه الله تعالى

﴿واترك الغادة لا تحفل بها * تمس في عز وترفع وتجل﴾

أي اترك الجارية الغادة أي الغانية فالغادة والغانية على حد سواء ولا تكرار بين هذا
البيت والبيت الذي هو أول القصيدة لان النهي هناك عن الذكر لها والتغزل بها وهنا عن
طلبها والتعلق بها ثم ان كان ذلك على وجه محرم فالنهي ظاهر وان كان على وجه جائز كان

طلب التزوج بها فهو محمول على ما اذا لم تدع الحاجة الى الزواج كان يكون عاجزا عن الوطء
أو المهر أو الانفاق ونحو ذلك وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم خيركم بعد المائتين الخفيف
الذى لا أهل له ولا ولد وحيث كان عاجزا عما ذكر وتركه ذلك فقد استراح وكان عز ابين
أقرانه جليلا بين الناس وهذا معنى قوله تمس فى عز وترفع وتجل ومن لم يتركها واحتفل بها أى
طلبها من غير حاجة لها فقد أتعب نفسه وحملها مالا طاقة لها به من الذل والاحتياج ونحو ذلك
أما اذا دعت الحاجة الى الزواج بأن اشتاقت نفسه اليه وكان واجد اللأهبة فالافضل له
طلبها والاحتفال بها لقوله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة
فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء بكسر
الواو والمد أى قاطع لتوقانه وشهوته وفى الجامع الصغير قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل اذا
نظر الى امرأته ونظرت اليه نظر الله اليهما نظر رحمة فاذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما
من خلال أصابعهما وقد ذكر الفقهاء أن النكاح تعتريه الاحكام الخمسة فالاصل فيه
الاباحة كما فى واجد الاهبة مع عدم احتياجه اليه وقد يجب كان خاف العنت ولم يتزوج
فيتعين الزواج لدفع الزنا وقد يسن لتائق واجد للاهبة أى المهر وكسوة الفصل والسكنى
ونفقة اليوم والليلة وقد يكره لمن فقدها ولم يحتج اليه وقد يحرم وهو كثير كنكاح المتعة
وهو النكاح الى أجل ونكاح الشغار بكسر الشين المعجمة وبالغين المعجمة من شغر البلد عن
السلطان اذا خلا عنه لخلوه عن المهر وهو أن يقول زوجتك بنتى على أن تزوجنى بنتك ويضع
كل منهما صداق الاخرى فيقبل ذلك وخرج بقولنا فى جانب الكراهة ولم يحتج اليه
ما اذا فقدها واحتاج اليه فالنكاح خلاف الاولى فى حقه والأولى أن يكسر شهوته بالصوم
انتهى (فائدة) التزوج عبادة وقربة لما فيه من التحصين له ولزوجته من الوقوع فى المحرمات
ولما فيه من كف الفرج والنظر عن الوقوع فيما لا يجوز ولما فيه من النفقة على العيال
وغير ذلك * وقال رجل لابراهيم بن أدهم طوبى لك تفرغت الى العبادة بالعزوبة فقال
لروعة منك بسبب العيال أفضل من جميع ما أنا فيه * ولما حضرت معاذ الوفاة قال زوجونى
لا ألقى الله عزبا و ينبغى للانسان أن يقصد به النسل والولد لا قضاء الشهوة لان البركة تحصل
بدعاء الولد الصالح ولان الولد الصغير اذا مات طلب الشفاعة لوالده الحى وللسعى فى محبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بتكثير أمته فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم ذم المرأة التى لا تلد
كما ورد عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انى أصبت امرأة ذات حسن وجمال وانها لا تلد أفأتزوجها قال لا ثم أتاه الثانية فنهاه ثم
أتاه الثالثة فقال تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الامم فهذا يدل على أن المقصود طلب
الولد لا مجرد الشهوة ولما يترتب على الزواج من دعاء الولد بعد موته كما ورد فى الحديث أو ولد
صالح يدعو له بخير قال بعضهم لا يشترط صلاحه لان دعاء الولد المؤمن لوالديه مفيد قطعا صالحا
كان أو فاجرا ولما يترتب على الزواج أيضا من أن للوالد مثل حسنات ولده لانه من سعيه وكسبه
ولا يؤاخذ بسيآته لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وعن أنس رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم المولود حتى يبلغ الحنث ما عمل من حسنة كتبت له ولوالديه

وما عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه فاذا بلغ الحلم أجرى عليه القلم وأما ما جاء فى بكاء المولود فروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضربوا أطفالكم على بكائهم سنة فان أربعة أشهر منها يشهد أن لا اله الا الله وأربعة أشهر يصلى على وأربعة أشهر يدعو لوالديه * وفى رواية أخرى أنه صلى الله عليه وسلم قال بكاء الصبى فى المهد أربعة أشهر توحيد وأربعة أشهر صلاة على نبيكم وأربعة أشهر استغفار لوالديه وروى أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث الا أدخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم أخرجه البخارى ومسلم وقد ذكر الشريف حسن فى شرحه على منظومة ابن العماد فى الانكحة فى هذا المقام كلاما مبسوطا خرجنا تتبعه عن ارادة الاختصار فمن أراده فليراجعه قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿واله عن آلة لهو أطربت * وعن الامرد مرتج الكفل﴾

قال فى المصباح اللهو معروف تقول أهل نجد لهوت عنه ألهو لهيا والاصل فعول من باب قعد وأهل العالية لهيت عنه ألهى من باب تعب ومعناه السلوان والترك ولهوت به لهوا من باب قتل أولعت به أيضا وألهانى الشئ بالالف شغلنى انتهى ثم قال فى السين مع اللام سلوت عنه سلوا من باب قعد صبرت والسلوة اسم وسليت أسلى من باب تعب سليا لغة قال أبو زيد السلو طيب نفس الالف عن الفه اه ومعنى البيت تسل وتصبر عن آلة لهو بأن تترك آلات الملاهى المطربة والطرب خفة تصيب الانسان لشدة السرور * وقرر الفقهاء أنه يحرم استعمال آلات الملاهى كطنبور وجنك وعود وسنطير ومزمار عراقى وكذلك يحرم الضرب بالكوبة وهى طبل صغير ضيق الوسط واسع الطرفين * عن أبى أمامة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان ابليس لما نزل الى الارض قال يارب أنزلتنى الى الارض وجعلتنى رجيما فاجعل لى بيتا قال الحمام قال اجعل لى مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لى طعاما قال مالم يذكر اسم الله عليه قال فاجعل لى شرابا قال كل مسكر قال فاجعل لى قرآنا قال الشعر قال فاجعل لى مؤذنا قال المزمار قال فاجعل لى حديثا قال الكذب قال فاجعل لى رسلا قال النساء رواه ابن أبى الدنيا (واعلم) أنه يكره غناء المرأة واستماع الرجل له وان أمن الفتنة قال صلى الله عليه وسلم الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء الزرع رواه البيهقى عن جابر وهذا بخلاف أذانها فانه حرام بحضرة الاجانب والفرق بينهما أن فى الاذان تشبها بالرجال بخلاف الغناء فانه من شعائر النساء ولانه يستحب النظر للمؤذن حال أذانه فلو استحببناه للمرأة لامر السامع بالنظر اليها وهذا مخالف لمقصود الشارع (فائدة) ذكر الشريف الحسينى فى شرحه على منظومة ابن العماد أنه لما التقى آدم بحواء ورأته من بعد رفعت صوتها فرحا به بكلام غير مفهوم يشبه الزغاريت فلذلك جرت عادة المرأة أنها اذا فرحت وحصل لها سرور زغرتت واذا حزنت ولولت انتهى ويجوز استماع طبل كبير لنحو فرح كعرس وحج وجهاد ونحو ذلك فعن عائشة رضى الله عنها أنها زفت امرأة من الانصار الى رجل من الانصار فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أما كان معكم من لهو انتهى وقول الناظم وعن الامرد أى الغلام الذى لم يبلغ أوان نبات اللحية وأما

الذى بلغ أوان طلوع لحيته ولم تطلع فيقال له اثط بالمثلثة لا أمرد وقوله مرتج أى عظيم الكفل بفتحتين أى العجيزة هكذا يؤخذ من المصباح * واختلف النووى والرافعى رحمهما الله فى هذه المسئلة والذى تحصل فيها من كلامهما أنه يحرم النظر الى الامرد بشهوة وان كان غير حسن بالاجماع ولو انتفت الشهوة وخيفت الفتنة حرم النظر أيضا قال ابن الصلاح ليس المراد بخوف الفتنة غلبة الظن بوقوعها بل يكفى أن لا يكون ذلك نادرا وكذا يحرم النظر الى الامرد بلا شهوة عند النووى رحمه الله تعالى لانه مظنة الفتنة فهو كالمرأة بل هو أشد اثما من المرأة الاجنبية لعدم حله بحال وكذا يحرم المس للامرد وان حل النظر لانه أفحش وكذا الخلوة به ان حرم النظر فانها أفحش وأقرب الى المفسدة والمعتمد من مذهب امامنا الشافعى رحمه الله تعالى الذى قاله الرافعى وهو أن النظر الى الامرد لا يحرم الا بشهوة هذا هو المعتمد المفتى به والذى قاله الامام النووى رحمه الله تعالى من اختيار انسداد الباب فى ذلك الزمان وأما زماننا هذا فقد كثر فيه الفساد كما هو ظاهر لكل أحد نسأل الله السلامة والعافية مما يوجب عقابه * وضابط الشهوة المحرمة كما قال الامام السبكى أن ينظر الى الوجه الجميل فيلتذ به فاذا نظر ليلتذ بذلك الجمال فهو النظر بالشهوة وهو حرام باجماع قال وليس المراد أن يشتهى زيادة على ذلك من الوقاع أو مقدماته فان ذلك ليس بشرط بل زيادة فى الفسق قال وكثير من الناس لا يقدمون على الفاحشة ويقتصرون على مجرد النظر والمحبة ويعتقدون أنهم سالمون من الاثم وليسوا من السالمين اه ولنذكر لك شيأ فى هذا الشأن فنقول قد قص الله علينا فى كتابه العزيز ما فعله بقوم لوط فقلب عليهم مدائنهم وأرسل عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد أى ما هذه العقوبة التى فعلتها بقوم لوط من ظالمى هذه الامة الذين يعملون كعملهم ببعيد * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على أمتى عمل قوم لوط وعنه صلى الله عليه وسلم سبعة يلعنهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ويقال لهم ادخلوا النار مع الداخلين الفاعل والمفعول به يعنى اللائط والملوط به وناكح البنت وأمها والزانى بامرأة جاره وناكح المرأة فى دبرها وناكح يده الا أن يتوبوا وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان اللوطى اذا مات يمسخ فى قبره خنزيرا وان الشيطان اذا رأى الذكر قد ركب الذكر هرب خشية من معاجلة العذاب واذا ركب الذكر الذكر اهتز العرش والكرسى وتكاد السموات أن تقع على الارض فتمسك الملائكة بأطرافها وتقرأ قل هو الله أحد سبعين مرة حتى يسكن غضب الجبار عز وجل * وقال الحسن بن ذكوان لا تجالسوا أولاد الاغنياء فان لهم صورا كصور العذارى وهم أشد فتنة من النساء * ودخل سفيان الثورى رحمه الله تعالى حماما فدخل عليه صبى حسن الوجه ظاهر الوضاءة فقال سفيان لاصحابه أخرجوه عنى أرى مع كل امرأة شيطانا ومع هذا بضعة عشر شيطانا * وذكر الشعبى رحمه الله تعالى أن وفد عبد قيس قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم وكان فيهم صبى حسن الوضاءة فأجلسه النبى صلى الله عليه وسلم خلف ظهره وقال انما كانت فتنة داود من النظر فاذا كان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجلسه خلف ظهره وهو سيد الاولين والآخرين وهو معصوم من كل سوء واثم وخاف فتنة النظر الى صبى أمرد وأجلسه خلف ظهره حتى لا ينظر اليه فكيف بغيره ممن ليس بمعصوم * وقال فتح

الموصلي رحمه الله تعالى صحبت ثلاثين كلهم يعدون من الابدال وكلهم ينهون عن صحبة الاحداث يعني المردان * وقال ابن عمر رضي الله عنهما النظر الى أبناء الملوك حرام لان لهم شهوة كشهوة النساء العذارى * أقول ابناء الملوك ليس بقيد بل المراد كل من كان جميلا حسنا وانما قيد بأبناء الملوك لان غالب أولادهم حسان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل غلاما بشهوة فكأنما زنى مع أمه سبعين مرة الحديث * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل غلاما بشهوة عذبه الله في نار جهنم ألف سنة وكان الامام مالك بن أنس رضي الله عنه يمنع الامرد من الدخول الى مجلسه فاحتال صبي حسن ودخل بين الرجال فلما علم به الامام مالك أخرجه * وقال بعضهم رآني الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ومعي ابن أختي وهو يمشي معي وكان صبيا حسنا فقال لي من هذا منك فقلت ابن أختي قال لا تمش معه ولا تماشه مرة أخرى لئلا تظن الناس بك الظنون * وروى أن عيسى عليه السلام مر في سياحته على نار تشتعل على رجل فأخذ ماء ليطفئها عنه فانقلبت النار صبيا وانقلب الرجل نارا فوقف عيسى عليه السلام متعجبا من ذلك فسأل ربه عزوجل أن يردهما الى حالهما ويخبره بحالهما فأوحى الله اليه سلهما عن حالهما فرجع الرجل الى حاله ورجع الصبي نارا تحرقه فقال عيسى عليه السلام للرجل ما أمرك فقال الرجل ياروح الله اني كنت في الدنيا مبتلى بحب هذا الصبي فلما كان بعض الايام أو الاوقات فعلت به الفاحشة فلما مت ومات الصبي فصار الصبي نارا تحرقني مرة وأصير نارا أحرقه مرة فهذا عذابنا الى يوم القيامة يانبي الله فتركهما ومشى الى حاله واستعاذ بالله من ذلك فنسأل الله العفو والعافية والحماية من الوقوع في الفواحش وأسأله النجاة من النار بجاه النبي المختار وقال أبو سهل من التابعين يكون في هذه الامة قوم يقال لهم اللوطيون على ثلاثة أصناف صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك الخبيث * وقال صلى الله عليه وسلم زنا العين النظر فلذلك بالغ الصالحون من السلف في الغض والاعراض عن مجالسة المردان حذرا من فتنة النظر وخوفا من عقوبته * وقال بعضهم اياك والنظر فانه ينقش في القلب صورة المنظور اليه ولا حيلة لحيلة عين كحيلة * وذكر عن رجل من الصالحين أنه نظر الى صبي حسن الوجه وقال تبارك الله أحسن الخالقين فجاء سهم فقلع عينه فبات تلك الليلة وهو مهموم بسبب ذلك فرأى الحق سبحانه وتعالى في منامه وهو يعاتبه بسبب نظره فقال يارب انما نظرت بعين الاعتبار والتفكر في خلقك فقال له الحق جل وعلا نظرت بعين الاعتبار فرميناك بسهم الادب ولو نظرت بعين الشهوة رميناك بسهم الحرمان وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من نظر الى صبي حسن بشهوة حبسه الله في النار أربعين عاما فاذا كان هذا في النظر فكيف حال من يفعل الفاحشة حمانا الله تعالى من ذلك آمين بجاه سيد المرسلين * وكان الربيع بن خيثم من شدة غض بصره واطراقه يظن الناس أنه أعمى وكان يختلف الى ابن مسعود رضي الله عنه مدة عشرين سنة فاذا طرق الباب خرجت اليه الجارية فتراه مطرقا غاضا ببصره فترجع الى سيدها وتقول صديقك ذلك الاعمى قد جاء فكان ابن مسعود رضي الله عنه يتبسم من قولها * وكان ابن مسعود رضي الله عنه اذا نظر اليه يقول وبشر المخبتين أما والله لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لفرح بك وأحبك وقال

محمد بن عبد الله رحمه الله تعالى كنت مع أستاذى أبى بكر رحمه الله فرضي حدث السن فنظرت اليه فرآنى أستاذى وأنا أنظر اليه فقال يابنى لتجدن غبها بالنكس أى عاقبتها ولو بعد حين فبقيت عشرين سنة وأنا أراعى ذلك الغب فنمت ليلة وأنا متفكر فيه فأصبحت وقد نسيت القرآن كله وقائل يقول هذا غب تلك النظرة وقال أبو بكر الكتانى رحمة الله عليه رأيت بعض أصحابنا فى المنام فقلت له مافعل الله بك قال عرض على سيآتى وقال فعلت كذا وكذا فقلت نعم قال وفعلت كذا وكذا فقلت نعم قال وفعلت كذا وكذا فاستحييت أن أقر فقلت له ما كان ذلك الذنب فقال مر بى غلام حسن الوجه فنظرت اليه فأقمت بين يدى الله سبعين سنة أنصبب عرقا من خجلى منه ثم عفا عنى * وروى عن أبى عبد الله رحمه الله تعالى أنه رأى فى المنام بعض أصحابه فقال له مافعل الله بك فقال غفر لى كل ذنب أقررت به الا ذنبا واحدا استحييت أن أقر به فأوقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى فقلت ما كان ذلك الذنب قال نظرت الى شخص جميل فعوقبت بذلك (واعلم) أن اللواط حرام أجمع المسلمون وغيرهم من أهل الملل على أنه من الكبائر واختلف فى حكمه فعند امامنا الشافعى رضى الله عنه انه حكم الزنا فيرجم المحصن ويجلد غيره مائة جلدة ويغرب عن وطنه فوق مسافة القصر وأما المفعول به فان كان صغيرا أو مجنونا أو مكرها فلا حد عليه وان كان مكلفا مختارا جلد وضرب محصنا كان أو غيره وعند السادة الحنفية رضى الله عنهم أنه لا يجب به الجلد الا اذا تكرر فيقتل على المفتى به وعند الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه يتحتم قتله وهو قول بعض فقهائنا رضى الله عنهم محصنا كان أو غير محصن لحديث من أولج ذكره يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وعلى هذا فيقتل بالسيف كالمرتد وقال ابن عباس رضى الله عنهما ينظر الى أعلى بناء فى القرية فيرمى اللوطى منكسا ثم يتبع بالحجارة (فائدة) ذكر بعضهم أن سبب احداث اللواط أن قوم لوط عليه الصلاة والسلام كانت لهم مدائن لم يكن فى الارض مثلها فقصدهم الناس فآذوهم فتعرض لهم ابليس لعنه الله فى صورة شيخ وقال لهم ان فعلتم بهم كذا أى لطتم بهم نجوتم منهم ولم يعودوا يقصدونكم فأبوا ذلك فلما ألح الناس قصدوهم فأصابوا غلمانا فأخشوا فيهم فاستحكم ذلك فيهم وصار ديدنهم حتى صاروا يحلفون به * وعن الكعبى أن أول من عمل عمل قوم لوط ابليس اعترض فى صورة أمرد حسن ودعاهم الى دبره فأمر الله سبحانه وتعالى السماء أن تمطر عليهم حجارة من سجين وأمر الارض أن تخسف بهم ﴿خاتمة﴾ تتعلق بهذا المحل وهى أن طريقة المطاوعة صحبتهم المردان ويجلسونهم خلف ظهورهم ويسمونهم بالبدايات وتراهم يفتخرون بذلك ولا يصحبون الا الامرد الجميل مع أن طريقتهم مرضية لانها فرع من طريقة السادة الصوفية وانما سموا مطاوعة لطاعتهم لربهم فيما أمرهم به ونهاهم عنه اذ شددوا به على أنفسهم فى العبادة والطاعة فنالوا بذلك السيادة ولم يتبعوا الرخص بل جعلوا فى حقهم المستحب كالواجب والمكروه كالمحرم والمحرم كأنه كفر ولزموا الادب مع سيدهم فلهذا بلغوا مرادهم لما أخلصوا اليهم ودادهم وأما صحبتهم للمردان فكان فى الزمن السابق لا يصحبه الا العارف به وبمكايد الشيطان ولهذا يصير عنده بمنزلة ولده بل أعز فان قلت ما الحكمة فى جعلهم البدايات خلف ظهورهم قلت لشدة اجتنابهم المكروهات والمحرمات

خلفهم خلف ظهورهم لا يحل أن لا ينظروا الى وجوههم ولا يمسوهم ولذلك أمروهم بغض البصر واطراق الرأس وخفض الاصوات وأرشدوهم الى طريق الخيرات فاذا رأوا من الامرد خيرا ورشادا وسلوكا أحبوه لا يحل ذلك وكتموا عنه المحبة ولم يعلموه بها حتى يكمل عقله ويطلع شعره فى وجهه لان الصغير مادام فى سن الصبا لا يؤلف به لانه ناقص سريع التغير فاذا طلع الشعر فى وجهه وكمل عقله وثبت قدمه فى الطريق أمنوا عليه فأعلموه بالمحبة له ونظروا فى وجهه (وحكى) عن سويد المالكى وهو من مشايخ هذه الطريقة التى أسسوها أنه ربى صغيرا وأدبه خلف ظهره حتى طلعت لحيته وبدأه الشيب ولا رآه فقال له يوما اعم اشترلى مشطا فقال له ما تصنع به قال أسرح به لحيتى فعند ذلك نظر اليه وقدمه فمثل هذا الذى يجوز له أن يربى الامرد خلف ظهره رضى الله عنه ويجاب أيضا عن جعلهم البدايات خلف ظهورهم بأن النظر الى الامرد من غير شهوة مختلف فيه فعلى المعتمد أنه لا يحرم حينئذ سواء كان للتعليم أو غيره فلمعلمه أن ينظر اليه من غير شهوة ومن غير مماسة بينهما وله أن يختلى به ان أمن الفتنة فلما كان النظر مختلفا فيه وتقدم أنهم نزلوا السنة فى حقهم منزلة الواجب والمكروه منزلة المحرم والمحرم منزلة الكفر جعلوهم خلف ظهورهم حسما للباب وخروجا من الخلاف رضى الله عنهم ونفعنا بهم ويجاب أيضا بأنهم انما فعلوا ذلك اقتداء بفعله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فى وفد عبد القيس وقال انما كانت فتنة داود من النظر مع أنه صلى الله عليه وسلم كان معصوما فغير المعصوم أولى أن يجتنب ما يجر الى الفتنة وأيضا الامرد لا بد له من مرشد يرشده فلما تعرضوا الارشاده جعلوه خلفهم وعلموه الخير من غير أن يمسوه أو يناموا معه واذا كانوا فى سفر أناموه وحده واذا كانوا فى الحضر أناموه فى خلوة ويكون بالنهار خلفهم وبالليل فى الخلوة وحده ولا ينظرون اليه حتى تطلع لحيته كما تقدم عن سويد المالكى رضى الله عنه فهذه طريقة المطاوعة المرضية وعليها يحمل قول الشيخ محمد بن داود الشربينى أنا صوفى وسلكت جميع الطرق فما رأيت أحسن من طريقة المطاوعة انتهى فكل من وجدت فيه الاوصاف المتقدمة يجوز له أن يربى الامرد وكل من كان خلاف ذلك لا يجوز له أبدا وان خالف فهو هالك ممقوت ومن المخالفين الهالكين مطاوعة أهل هذا الزمان فانهم مطاوعون للشيطان وعاصون للرحمن لانهم ينامون مع المردان ويجلسون معهم كأنهم نسوان ويأمرونهم بتكبيسهم وتحسيسهم ويجعلونهم فى اجتماعهم خلف ظهورهم صورة وهى فى الحقيقة معانقة بالظهور والصدور وغير ذلك وهذا خلاف ما كانت عليه المتقدمون من أهل هذه الطريق فنعم هؤلاء الاكابر ولكن بئسما خلفوا فقد لبس عليهم الشيطان وأوقعهم فى الطغيان وقال هذه طريقة الا من كذب عدو الله بل هى طريقة الشياطين فان اعتقدوا حل ما يفعلونه فى هذا الزمان من القبائح مع المردان فقد كفروا وأوجبت لهم النيران * قال القطب الربانى سيدى عبد القادر الجيلانى النظر فى محاسن الامرد كله شر ما فيه ذرة من خير انتهى وأقبح هذه الامور معانقة البدايات بالظهور والصدور مع ارخا ساتر عليهما لان أحدهم يجد بذلك لذة وراحة عظيمة ويسمونها راحة الفقراء وهو مع ذلك يزعم أن هذه محبة لله وليس كما زعم بل هى معصية تغضب الله تعالى وتوجب عذابه حمانا الله من كل فعل يبعدنا عن الرحمن ومن كل خصلة

ترضي الشيطان آمين بجاه سيد ولد عدنان عليه أفضل السلام (تتمة) من وظيفة أهل البدايات بالنهار خدمة الفقراء وتقلية ثيابهم وغسل أيديهم وحمل الاباريق والنعال وغير ذلك مع غض أبصارهم والمراقبة رؤسهم وخفض أصواتهم وطلبهم الدعاء من الفقراء الكبار وبالليل تهجدهم فيه على قدر نشاطهم ومن وظيفة كبارهم معهم تعليمهم الخير والشفقة عليهم وترغيبهم في الخصال الحميدة والافعال السديدة ولين الكلام لهم وتأليفهم للطريق الى غير ذلك مما يرضي الرحمن ويغضب الشيطان وهذا لا يكون الا من عالم عارف رباني كالمتقدمين من مشايخ هذه الطريق وقد أحوجنا الحال الى الخروج عن الاختصار في هذا المقام نسأل الله تعالى العفو والعافية وأن يجيرنا من النار وأن لا يهتك أستارنا بين يديه انه جواد كريم غفار ولله در القائل حيث قال

لا تصحبن أمردا ياذا النهى * واترك هواه وارتجع عن صحبته
فهو محل النقص دوما والبلا * كل البلاء أصله من فتنته

وقال بعضهم

لا ترتجي أمردا يوما على ثقة * من حسنه طامعا في الخصر والكفل
فذاك داء عضال لا دواء له * مستجلب الهم والاسقام والعلل

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿ان تبدى تنكسف شمس الضحى * واذا ماماس يزرى بالأسل﴾
﴿زاد اذ قسناه بالبدر سنى * أو عدلناه بغصن فاعتدل﴾

الغرض من هذين البيتين وصف الامرد المذكور في البيت الذي قبلهما وانما وصفه بذلك لحسنه وجماله الفائق حتى أنه ان تبدى أي ظهر تنكسف شمس الضحى أي تسود ويذهب ضوؤها وخص الضحى بالذكر لان شمسه أضوأ من غيره وحتى أنه اذا ماس أي حلق رأسه بالموسى يزرى أي يتهاون بالاسل يقال أزرى بالشئ ازراء تهاون به والاسل بالمهملة محركا الرماح لدقة أطرافها ومنه أسلة اللسان لطرفه المستدق وأسل الاسل نبات يتخذ منه الحصر شبهت به الرماح قاله في شرح لامية الطغرائي عند قوله

فالحب حيث العدا والأسد رابضة * حول الكناس لها غاب من الاسل

وفي الاشموني على الالفية عند قوله (وشذ اياي واياه أشذ) مانصه وشذ اياي في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتذك لكم أي لتذبح الأسل والرماح والسهام واياي وأن يحذف أحدكم الارنب والاسل اياي باعدوا عن حذف الارنب انتهى قال في حواشي الاشموني الاسل مارق من الحديد كالسيف والسكين انتهى ومقتضى عطف الرماح على الاسل أنه غيرها والمعنى هنا اذا حلق رأسه بالموسى ازداد جمالا على جماله وزاد قتله للناظرين له على قتل الرماح أو مارق من الحديد للضرو بين بها فأزرى بالرماح أي بما رق من الحديد وصارت دونه تأثيرا هكذا ظهر لنا والله أعلم وقد ذكر العلامة الشيرازي في روضة القلوب أنه رأى بحماه رجلا من أهل حمص يقال له ابن الدوري وكان فاضلا في فمه وعنده صبيان يعلمهم الخط فافتتن

قوله حلق رأسه بالموسى تفسيره بذلك غير مناسب بل هو بمعنى تبختر كما هو ظاهر اه

بغلام منهم واستهام به فبلغ ذلك أباه فمنعه من المضي اليه وأرسله الى مؤدب آخر وكان عدواله
فلما بلغته الخبر ارتاع لذلك واشتد به الهم والاسف ولم يكن له حيلة فكتب الى أبي الغلام
رقعة يسأله أن يعيده اليه و يستعطفه بكلام لطيف فكتب اليه أبو الغلام بقوله هيهات
لا تطمع نفسك بعود الغلام اليك أبدا بعد أن بلغني عنك ما بلغني ولئن ذكرت ولدي بعد ذلك
رفعتك الى السلطان فلما قرأ الرقعة أطرق ساعة الى الارض واحمرت عيناه ووجهه حتى
كاد أن يقطر منهما الدم ثم جاشت نفسه وجاءه القيء فخرج الى باب المسجد وتقايا دما اسود
ومضى الى بيته فاضطجع والدم يخرج من حلقه ساعة بعد ساعة فجاءه الطبيب وسأله
عن السبب فأخبره فحكم عليه أن كبده انفطرت ثم عالجه ثلاثة أيام فلم ينقطع الدم ومات
في اليوم الرابع انتهى رحمه الله ﴿فائدة﴾ ما بعد اذا زائدة وقوله زاد ان قسناه أي شبهناه
بالشمس سنى بالقصر أي ضوأ أي زاد ضياء على الشمس ان شبهناه بها وقوله وعدلناه بغصن
فاعتدل أي سويناه وأقمناه مقام الغصن فاعتدل أي استوى وقام مقامه أي أنه من كثرة
اعتدال قده يقوم مقام الغصن في ذلك وهذا التفسير الذي فسرنا به البيتين المذكورين
غالبه مأخوذ من المصباح والمقصود من كلام الناظم رحمه الله تعالى التغافل والتلاهي
عن الامرد الجميل جدا الجامع للصفات الخمسة التي ذكرها في قوله وعن الامرد مرتج
الكفل وان تبدى الى آخره واذا ما ماس الخ وزاد ان قسناه الى آخره وعدلناه الى آخره لانه
الذي يخاف منه الفتنة لجمال وجهه واعتدال قده وأما غيره ممن ليس فيه الصفات
المذكورة فالواجب التغافل عنه أيضا لانه تقدم أنه يحرم النظر الى الامرد بشهوة وان كان
غير حسن باتفاق النووي والرافعي وانما لم يذكره الناظم لان الغالب عدم الافتتان به هكذا
ظهر لنا والله أعلم قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿وافتكر في منتهى حسن الذي * أنت تهواه تجد أمرا جلل﴾

هذا معطوف على قوله واله عن آلة لهو أطربت وعن الامرد أي أرح نفسك عن الاشتغال
بآلة اللهو وبالامرد فاذا غلبت عليك نفسك ودعتك الى محبة شيء من زينة الحياة الدنيا فافتكر
وتذكر في منتهى أي في نهاية وآخر حسن ذلك الشيء الذي أنت تهواه وتحبه وتميل اليه تجده
أمرا جللا بفتحتين أي هينا غير عظيم لان الدنيا فانية عاقبتها الى الزوال فأميرها حقير وغنيها
فقير وعزيزها ذليل فاذا تفكرت في عاقبة الشخص الذي أنت تحبه تجد عاقبته الموت ثم يصير
جيفة قذرة لم يطق أحد الجلوس عنده ثم يصير ترابا وكذا كل من عليها من خلق وابل وبقر
وخيل وأشجار وورق وزخرفة فسبحان الباقي بعد فناء خلقه قال تعالى زين للناس حب
الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة
والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب وقال تعالى اعلموا انما الحياة
الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث أي هي في أعجابها
لكم وذهابها كمثل غيث أي مطر أعجب الكفار أي الزراع نباته لما نشأ عنه ثم يهيج أي ييبس
فتراه مصفرا ثم يكون حطاما أي فتاتا يذهب بالرياح وفي الآخرة عذاب شديد أي لمن آثر الدنيا
على الآخرة ومغفرة من الله ورضوان أي لمن يؤثر الآخرة على الدنيا وما الحياة الدنيا الا متاع

الغرور وخرج بما ذكره الناظم ما اذا كان تفكره في نهاية ما عند الله عز وجل من الملك الذي لا يبلى والنعيم الذي لا يفنى وما أعد الله لعباده المتقين في الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان الامر فيه عظيم وليس من ذلك بل هو من باب الاعتبار المنصوص عليه بقوله تعالى فاعتبروا يا أولي الابصار ﴿تنبيه﴾ قال الخليل والجوهري رحمهما الله تعالى الامر الجلل بضم الجيم العظيم وبفتحها الحقير وهذه اللفظة وقعت في بعض غزواته صلى الله عليه وسلم من امرأة قتل أبوها وابنها وزوجها في تلك الغزوة ورأتهم صرعى على الارض ورأت النبي صلى الله عليه وسلم راكبا على فرسه فقالت له يا رسول الله كل شيء دونك جلل أي هين حقير رضي الله عنها ونفعنا بها ﴿فائدة﴾ الهوى يطلق بمعنى المحبة كما في قول الناظم أنت تهواه أي تحبه وكما في قول البوصيري

لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل * ولا أرقت لذكر البان والعلم

ويطلق بمعنى الباطل كما في قوله تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقوله تعالى وما ينطق عن الهوى أي بالباطل فعن في الآية بمعنى الباء قال بعضهم وانما سمي الهوى هوى لانه يهوي بصاحبه الى ما لا راد له روى البزار عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فالمنجيات خشية الله تعالى في السر والعلانية والحكم بالعدل في الرضا والغضب والاقتصاد في الغنى والفقر والمهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء برأيه * وكان على خاتم بعض الحكماء مكتوب من غلب هواه على عقله افتضح وعن سليمان بن داود الغالب لهواه أشد من الذي يفتح المدينة وحده * وعن حذيفة بن قتادة قال كنت في مركب فكسرت بنا فوقعت أنا وامرأة على لوح فمكثنا سبعة أيام فقالت المرأة عطشنا فسألت الله أن يسقينا فنزلت علينا من السماء سلسلة فيها كوز معلق فيه ماء فشربت فرفعت رأسي أنظر الى السلسلة فرأيت رجلا جالسا في الهواء فقلت ممن أنت فقال من الانس فقلت فما الذي بلغك هذه المنزلة قال آثرت مراد الله على هواي فأجلسني كما تراني * وعن عبد الواحد بن محمد الفارسي قال سمعت بعض أصحابنا يقول رأيت غرفة في الهواء وفيها رجل فسألته عن حالته التي بلغته الى تلك المنزلة فقال تركت الهوى فأدخلت في الهواء * وقال رجل للحسن يا أبا سعيد أي الجهاد أفضل قال جهادك هواك وقيل ليحيى بن معاذ من أصح الناس عزما فقال الغالب لهواه ودخل خلف بن خليفة على سليمان بن حبيب وعنده جارية يقال لها البدر من أحسن الجواري وجها وأكمله فقال سليمان لخلف كيف ترى هذه الجارية فقال أصلح الله أمير المؤمنين ما رأت عيناي أحسن منها فقال خذ بيدها قال ما كنت لأفعل ولا أسلبها للامير وقد عرفت عجبه بها فقال خذها على عجبي بها ليعلم هواي أني غالبه فأخذ بيدها وخرج وهو يقول

لقد حباني وأعطاني وفضلني * من غير مسئلة مني سليمان
أعطاني البدر جودا في محاسنها * والبدر لم يعطه أنس ولا جان
ولست حقا بناسي عرفه أبدا * حتى يغيبني لحد وأكفان

واعلم أن الهوى بالقصر هو المراد هنا ويجمع على أهواء وأما الهواء بالمد فهو ما بين السماء

قوله بضم الجيم . الذي في كتب اللغة ان الجلل بالفتح العظيم والحقير ضد وأما بالضم فهو جمع جليل كجبل العظيم اه

والارض ويجمع على أهوية ويجمعها قول بعضهم

جمع الهواء مع الهوى في أضلعي * فتكاملت في مهجتي ناران
فقصرت بالممدود عن نيل المنى * ومددت بالمقصور في أكفاني

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿واهجر الخمرة ان كنت فتى * كيف يسعى في جنون من عقل﴾

أي اترك الخمرة وتجنبها ان كنت فتى أي شابا قويا حاذقا كاملا مستجمعا الخصال الكمال وجمعه فتية وفتيان كما قرئ بهما في السبع في قوله تعالى وقال لفتيته الآية وسمى الله تعالى يوشع بن نون عليه السلام فتى في قوله واذ قال موسى لفتاه الآية لانه كان سيدا أعظما ملازما لمن يأخذ العلم عنه ثم أظهر الناظم رحمه الله تعالى التعجب ممن أعطاه الله عز وجل جزأ من العقل الذي هو أحب المخلوقات اليه تعالى ومع ذلك يصدر منه هذا الفعل الذميم الذي لا يصدر الا من المجانين فقال كيف يسعى أي يذهب ويتسبب في جنون أي زوال عقل من عقل بفتحتين أي من تدبر ونظر في العواقب قال في المصباح عقلت الشئ عقلا من باب ضرب تدبرته انتهى (واعلم) أن حقيقة الخمرة هي المتخذة من عصير العنب خاصة واتفقت العلماء رضي الله عنهم على أن هذا خمر نجس يحد شاربه ويفسق ويكفر مستحله ولو لم يسكر وأما غيره كالمتخذ من التمر والحنطة والشعير والذرة والزبيب فلا يكون له حكم الخمرة الا اذا أسكر فحينئذ يكون نجسا ويحد شاربه ويفسق ويكفر مستحله انتهى وكانت مباحة في صدر الاسلام يحل تناولها لكل أحد كسائر المباحات ولما حرمها الله تعالى سلب منها جميع المنافع قال البغوي في تفسير قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر الآية مانصه وجملة القول على تحريم الخمر أن الله أنزل في الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال يومئذ ثم ان عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الانصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله افتنا في الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فأنزل الله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الى أن صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعا أناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا وحضرت صلاة المغرب وتقدم بعضهم ليصلي بهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون بحذف لا النافية فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم السكر في أوقات الصلاة فلما نزلت هذه الآية تركها قوم وقالوا لا خير في شئ يحول بيننا وبين الصلاة وتركها قوم في أوقات الصلاة وشربوها في غير أوقاتها حتى كان الرجل يشرب بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال عنه السكر ويشرب بعد صلاة الصبح فيصحو اذا جاء وقت الظهر واتخذ عتبان بن مالك طعاما ودعا رجالا من المسلمين فيهم سعد بن أبي وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم ثم انهم افتخروا عند عتبان وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فأنشد سعد قصيدة فيها هجو للانصار وفخر لقومه فأخذ رجل من الانصار لحى البعير فضرب به رأس سعد فشجه شجة

موضحة

موحشة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصار فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فانزل الله تعالى تحريم الخمر في سورة المائدة في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون وذلك بعد غزوة الاحزاب بأيام فقال عمر انتهينا يارب انتهى * قال في تنبيه الغافلين في الباب الخامس عشر مانصه عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بشارب الخمر يوم القيامة مسودا الوجه مزرقة عيناه خارجا لسانه على صدره يسيل لعابه يتقذره كل من رآه فلا تسلموا على شارب الخمر ولا تعودوهم اذا مرضوا ولا تصلوا عليهم اذا ماتوا أقول هذا محمول على المستحل لها والله أعلم قال كعب الاحبار رضي الله عنه لأن أشرب قدحا من نار أحب الي من أن أشرب قدحا من خمر وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كل مسكر حرام وكل مسكر خمر فمن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو مدمنها ولم يتب منها لم يشرب بها في الآخرة * وعن جابر بن عبد الله الانصاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أسكر كثيره فقليله حرام * وعن الزهري رضي الله عنه أن عثمان بن عفان قام خطيبا فقال أيها الناس اتقوا الخمر فانها أم الخبائث وان رجلا كان قبلكم من العباد وكان يختلف الى مسجده فلقيته امرأة سوء فأمرت جاريتها فادخلته المنزل وأغلقت الباب وعندها خمر وصبي فقالت لا تفارقني حتى تشرب كأسا من هذا أو تواقعني أو تقتل هذا الصبي والاصحت وقلت هذا دخل على في بيتي فمن الذي يصدقك فقال الرجل أما الفاحشة فلا آتيها وأما النفس فلا أقتلها فشرب كأسا من الخمرة والله ما برح حتى واقع المرأة وقتل الصبي فقال عثمان رضي الله عنه فاجتنبوها فانها أم الخبائث وانه والله لا يجتمع الايمان والخمر في قلب رجل الا يوشك أن يذهب أحدهما الآخر يعني أن شارب الخمر يجرى على لسانه كلمة الكفر فيضاق عليه أن يقولها عند الموت فيخرج من الدنيا على الكفر فيبقى في حسرة وندامة * وروى في بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يخرج شارب الخمر من قبره وهو أنتن من الجيفة والكوز معلق في عنقه والقدح بيده ويملأ ما بين جلده ولحمه حيات وعقارب ويلبس نعلا يغلي منها رأسه ويجد قبره حفرة من حفر النار ويكون في النار قرين فرعون وهامان (واعلم) أن في شربها عشر خصال مذمومة أولاها اذا شربها يصير بمنزلة المجنون ويصير مضحكة للصبيان ومذموما عند العقلاء كما ذكر عن ابن أبي الدنيا أنه قال رأيت سكران في بعض سكك بغداد يبول ويمسح بثوبه ويقول اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين وذكر أن سكرانا نام في الطريق فجاء كلب يلحس فاه وهو يقول ياسيدي حاشاك لا تفسد المنديل بارك الله فيك ثم ان الكلب رفع رجله وبال في وجهه وهو يقول وماء حار (الثانية) أنها مذهبة للعقل متلفة للمال كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اللهم أرنا رأيك في الخمر فانها متلفة للمال مذهبة للعقل * الثالثة أن شربها سبب للعداوة بين الاخوان والاصدقاء والناس كما قال تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر وهو القمار * الرابعة أن شربها يمنع من ذكر الله ومن الصلاة كما قال تعالى ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة * الخامسة أن شربها يحمل على الزنا وعلى طلاق امرأته وهو لا يدري * السادسة أنها مفتاح كل شر لانه اذا شرب الخمر سهل عليه جميع

المعاصي * السابعة أن شربها يؤذي الحفظة الكرام بالرائحة الكريهة * الثامنة أن شاربها أوجب على نفسه ثمانين جلدة فان لم يضرب في الدنيا ضرب في الآخرة بسياط من نار على رؤس الأشهاد والناس ينظرون اليه والآباء والأصدقاء * التاسعة أنه أغلق باب السماء على نفسه فلا ترفع حسناته ولا دعاؤه أربعين يوما * العاشرة أنه مخاطر بنفسه لانه يخاف عليه أن ينزع الايمان منه عند موته * وأما العقوبات التي له في الآخرة فانها لا تحصى كشرب الحميم والزقوم وفوت الثواب وعن أسماء بنت زيد رضي الله عنها قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شرب الخمر فصلت في بطنه لم يقبل الله منه صلاة سبعة أيام فان هي أذهبت عقله لم يقبل الله منه صلاة أربعين يوما * وروى عن بعض الصحابة أنه قال من زوج ابنته لشارب الخمر فكأنما ساقها الى الزنا معناه أن شارب الخمر يجري على لسانه الطلاق فربما حرمت عليه امرأته وهو لا يشعر * وروي عن ابن مسعود أنه قال اذا مات شارب الخمر فادفنوه ثم أجلسوني ثم انبشوه فان لم تجدوه مصروفا عن القبلة فاقتلوني * وروى عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حلف ربي بعزته لا يشرب عبد من عبيدي الخمر في الدنيا الا حرمتها عليه في الآخرة ولا يتركها عبد من عبيدي في الدنيا الا شربها في حظيرة القدس قيل وما حظيرة القدس قال الجنة وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال حق على الله أن لا يشرب الخمر عبد من عبيده في الدنيا الا شرب من طينة الخبال قيل يا رسول الله وما طينة الخبال قال صديد أهل النار وروى ابن عباس أنه قال لما نزلت آية تحريم الخمر قالوا كيف اخواننا الذين ماتوا وهم يشربونها فنزل قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية يعني لا اثم على الذين شربوا الخمر قبل تحريمها والله أعلم ومن أراد المزيد فعليه بالكتاب المذكور (فائدة) ذكر سيدي علي الاجهوري المالكي في غاية البيان لحل شرب ما لا يغيب العقل من الدخان نقلا عن الشيخ خليل ما نصه قاعدة تنفع الفقيه يعرف بها الفرق بين المسكر والمفسد والمرقد فالمسكر ما غيب العقل دون الحواس مع نشاط وطرب وفرح والمفسد ما غيب العقل دون الحواس لا مع نشاط وطرب وفرح والمرقد ما غيب العقل والحواس وينبني على الاسكار ثلاثة أحكام الحد والنجاسة وتحريم القليل اذا تقرر ذلك فالمتأخرين في الحشيشة قولان قيل انها مسكرة وبه قال الشيخ عبد الله المنوفي قال لانا رأينا من يتعاطاها يبيع أمواله لاجلها فلولا أن لهم فيها طربا لما فعلوا ذلك قلت وبهذا قال الزركشي من الشافعية فقال لا يجوز من الحشيشة لا قليل ولا كثير وقيل انها من المفسدات وصحح هذا القول الشيخ أبو الحسن في شرح المدونة والعلامة ابن مرزوق والشهاب القرافي وتبعه عليه المحققون لان المتعاطين لها لا يميلون الى القتال والنصرة بل عليهم الذلة والمسكنة قلت وبهذا قال ابن دقيق العيد من الشافعية فقال والافيون وهو لبن الخشخاش أقوى فعلا من الحشيشة لان القليل منه يسكر مع أنه طاهر بالاجماع وكذلك الحشيشة طاهرة وقال النووي في شرح المهذب لا يحرم أكل القليل الذي لا يسكر من الحشيشة بخلاف الخمر فانه يحرم قليلها الذي لا يسكر انتهى ومثل الحشيشة البنج والافيون فيجوز أكل القليل الذي لا يسكر من الثلاثة وأما الواصل الى التأثير في العقل والحواس منها فحرام ثم قال اذا تقرر هذا فنقول شرب الدخان المعروف ليس مما

يغيب العقل أصلا وليس بنجس وما كان كذلك لم يحرم استعماله لذاته بل لما يعرض عنه من ضرر ونحوه فمن لم يضره لم يحرم عليه ومن ضره باخبار عارف يوثق به أو بتجربة في نفسه حرم عليه وقد جرى الخلاف في الأشياء التي لم يرد في الشرع حكمها والمرجح منه تحريم الضار دون غيره وأنت خبير بان ما يحصل منه لبعض مبتدئي شربه من الفتور كما يحصل لمن ينزل في الماء الحار أو لمن يشرب مسهلا ليس من تغييب العقل في شيء كما يظنه بعض من لا معرفة وان سلم أنه مما يغيب العقل فليس من المسكر قطعا لانه ليس مع نشاط وفرح كما علم وحينئذ فيجوز استعماله لمن لا يغيب عقله كاستعمال الافيون لمن لا يغيب عقله وهذا يختلف باختلاف الامزجة والقلة والكثرة فقد يغيب عقل شخص ولا يغيب عقل آخر وقد يغيب منه استعمال الكثير دون القليل فلا يسع عاقلا أن يقول انه حرام لذاته مطلقا الا اذا كان جاهلا أو مكابرا معاندا فانه بعد الوقوف على كلام أهل المذهب ومعرفته يصير الحكم بحل ما لا يغيب العقل منه لذاته من قسم البديهي الذي لا يسع عاقلا انكاره ولنذكره بصورة الشكل الاول من القياس الذي هو بديهي الانتاج فنقول ان شرب الدخان المذكور على الوجه المذكور لا يغيب العقل مع نشاط وفرح وهو طاهر وكل ما كان كذلك يجوز استعمال القدر الذي لا يغيب العقل منه والصغرى بينة اذ هي من الوجدانيات والمشاهدات والكبرى دليلها ما سبق من كلام الائمة فالنتيجة بديهية فمنكرها منكر البديهي * فان قلت قولك ان الدخان المذكور طاهر ممنوع لانه يبل بالخمر قلت ان تحقق هذا فحرمته لامر عارض لا لذاته وان لم يتحقق ذلك فالاصل الطهارة وهذا على فرض صحته انما هو فيما يأتي من بلاد النصارى ونحوها وأما ما يأتي من بلاد التكرور ونحوها فهو محقق السلامة من هذا على أن ابن رشد جازم بطهارة دخان النجس * فان قلت استعمال هذا سرف وهو حرام قلت صرف المال في المباحات على هذا الوجه ليس بسرف * فان قلت هو مضر فيحرم لضرره قلت ان تحقق هذا فحرمته لامر عارض كما سبق فيحرم على من يضره خاصة دون غيره ودعوى أنه مضر مطلقا بلا دليل كيف وقد وجد نفعه بالمشاهدة في بعض الامراض كازالة الطحال * هذا وقد أفتى العلامة الشيخ محمد النحريري الحنفي بان شرب الدخان انما يحرم على من ضره باخبار طبيب عارف مسلم يوثق به أو بتجربة والا فهو حلال انتهى وأفتى مرة أخرى على سؤال رفع اليه بانه لا يحرم الا على من يغيب عقله أو يضره ونص السؤال ما قولكم رضي الله عنكم في شرب الدخان الحادث في هذا الزمان هل يحرم على من لا يغيب عقله ولا يضر جسده وهل ورد حديث في ذمه ولو ضعيفا أم لا أفتونا مأجورين * ونص الجواب الحمد لله رب العالمين رب زدني علما لا يحرم الا على من يغيب عقله أو يضره ومن لا فلا وأما ورود حديث في شأن ذلك فغير منقول في شيء مما وقفنا عليه من كتب الحديث لا على طريق الصحة ولا على طريق الضعف بل ولا على طريق الوضع ممن التزم ذكر الموضوعات * وأما ما ينقل على الالسنة فهو من أكاذيب أهل عصرنا والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال وكتبه عبد الله بن محمد النحريري الحنفي حامدا مصليا * وأفتى شيخ الشافعية في زمنه الشيخ علي الزيادي الشافعي على سؤال رفع اليه أنه يحرم شربه لمن يغيب عقله دون غيره وكذا أفاد الشيخ العارف بالله تعالى العلامة عبد الرؤف المناوي الشافعي

وكذلك الشيخ الفقيه المتقن المحرر الشيخ محمد الشوبرى الشافعى ونص ما كتبه ليس شرب الدخان حراما لذاته بل هو كغيره من المباحات ودعوى كونه حراما لذاته من الدعاوى التى لا دليل عليها وانما منشؤها اظهار المخالفة على وجه المجازفة فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وكتبه محمد بن أحمد الشوبرى الشافعى انتهى وقد أفاد ذلك العالم الكامل الشيخ مرعى الحنبلى رحمه الله تعالى فانه كتب على سؤال يتضمن حكم شرب الدخان المذكور مانصه شربه ليس بحرام لذاته حيث لم يترتب عليه مفسدة بل هو بمنزلة شرب دخان النار التى لم ينفعها نافخ وباتفاق لا قائل بتحريم ذلك ولا تقتضى قواعد الشريعة تحريم شرب الدخان المذكور ولا شبهة أنه من البدع الحادثة نعرض على قواعد الشريعة فان أشبهت المباح فمباحة أو الحرام فمحرمة الى غير ذلك من بقية الاحكام واذا ما تدبر العاقل أمر الدخان وجده ملحقا بالبدع المباحة ان لم يترتب عليه مفسدة ولم يرد فى ذمه حديث عند فقهاء الحنابلة والله أعلم وكتبه الفقير مرعى المقدسى الحنبلى وأفتى بذلك الشيخ العلامة العارف بالله تعالى الشيخ أحمد المالكى ونص ما كتبه الدخان المذكور حرام لمن يغيب عقله أو يؤذى جسده اذا أخبره بذلك طبيب عارف يوثق به أو علم ذلك من نفسه بتجربة والا فهو غير حرام والله أعلم اه وأما ما ورد من الاحاديث المتعلقة بذمه فهو باطل لا أصل له وقد ذكر الشيخ العلامة عبد الرؤف المناوى المذكور أنه ورد عليه أسئلة كثيرة تشتمل على أحاديث فى ذم الدخان لا أصل لها وانه لم يوجد حديث بذمه أصلا والله أعلم فقد اتضح لك أن شرب ما لا يغيب العقل من الدخان غير محرم لذاته باتفاق المذاهب الاربع واذا ثبت هذا فلا يحرم بمنع ولى الامر على من علم انتفاء عيبه ولم يغيبه لانه حينئذ صار مطالبا باستعماله فتركه استعماله تركا لما طلب منه وطاعة الامام لا تجب فى مثل هذا على أحد القولين الآتيين وكذا ان لم يعلم ذلك ولم يضره ولم يغيب عقله ان علم أن سبب منع ولى الامر من استعماله اعتقاد حرمته وان علم أن سبب المنع من استعماله مصلحة أخرى مع اعتقاد اباحته حرم لانه تجب طاعة السلطان فى غير المعصية فاذا منع من مباح وجبت طاعته وان لم يعلم سبب ذلك فانه يحمل على الاول والمظنون بل المحقق أنه لا يمنع الناس من المباح الذى لا يعتقد حرمته على أنه قد يقال ان منع الامام من المباح لا يعمل به الا اذا كان مذهبه ذلك وأفتى الشيخ عبد الله الحنفى المذكور بان منع الامام من المباح لغو لا يوجب حرمته وليس له منع الناس منه وأفتى العلامة ابن قاسم الشافعى بأن منع الامام من المباح انما يوجب المنع ظاهرا فقط ونص ما كتبه نهى الامام يمنع ارتكاب المنهى عنه وان كان مباحا على ظاهر كلام أصحابنا ويكفى الانكفاف ظاهرا وهذا آخر ما أردنا ايراده من رسالة سيدى على الاجهورى المذكور (فائدة) ذكر الزرقانى على العزية ما نصه سئل سيدى على الاجهورى عن الدخان وأن شخصا ينقل فيه أحاديث وهى الحاكم والحمر والخضرة وأن حذيفة قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى شجرة فهز رأسه فقلت يارسول الله لم هززت رأسك فقال يأتى ناس فى آخر الزمان يشربون من أوراق هذه الشجرة ويصلون بها وهم سكارى أولئك هم الاشرار بريؤن منى والله برىء منهم وعن على من شربها فهو فى النار أبدا ورفيقه ابليس فلا تعاشروا شارب الدخان

ولا تصافحوه ولا تسلموا عليه فانه ليس من أمتي وفي خبرانهم من أهل الشمال وهو شراب الاشقياء وهي شجرة خلقت من بول ابليس حين سمع قول الله عز وجل ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الآية فدهش فبال فخلقت من بوله بينوا لنا الجواب عن هذه الاحاديث وهل هي واردة وماذا يترتب على راويها بالكذب وماذا يلزمه حيث نفي الايمان والاسلام عن شاربها من غير أصل وهل يحرم استعماله أم لا فأجاب بما نصه دعوى أن هذه الاحاديث واردة في الدخان كذب وافتراء كما بينه الحفاظ الاعيان وركاكة تلك الالفاظ دالة أيضا على ذلك قال الربيع بن خيثم ان للحديث ضوأ كضوء النهار ولغيره ظلمة كظلمة الليل ومن كذب عليه صلى الله عليه وسلم متعمدا فهو من أهل النار كما في خبر الصحيحين من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار والكذب عليه صلى الله عليه وسلم كبيرة اجماعا حتى في الترغيب والترهيب ولا التفات لقول امام الحرمين بتكفير الكاذب عليه ولا لمن شذ فجوزه في الترغيب والترهيب ويلزمه التعزير اللائق بحاله بحسب اجتهاد الحاكم بسبب كذبه على الوجه المذكور وبنفيه الايمان والاسلام عن شاربه ولا يحرم استعماله الا لمن يغيب عقله أو يضره في حسده أو يؤدي استعماله الى ترك واجب عليه كنفقة من تلزمه نفقته أو تأخيره الصلاة عن وقتها أو نحو ذلك والله أعلم * وسئل أيضا عن جواز بيع الافيون ونحوه فأجاب بما نصه يجوز بيع الأفيون ونحوه من المفسدات التي لا تغيب العقل لا مع نشاط وطرب لمن يأكل منه القدر الذي لا يغيب عقله وكذا لمن اعتاد أكله حتى صار يحصل له الضرر الشديد بالترك وكذا لمن يستعمله في غير الاكل من الادوية ونحوها ثم قال وأما بيع العشب المسمى بالدخان في هذا الزمان وان كان اسمه في كتب الطب الطباق بكسر الطاء المهملة وفتح الموحدة المشددة فلا يمنع بيعه الا لمن تحقق أو غلب على الظن أنه اذا استعمله غيب عقله وهو نادر جدا كما هو مشاهد اه قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿واتق الله فتقوى الله ما * جاورت قلب امرئ الا وصل﴾

أي اتبع الامر واجتنب النهي لان اتباع المأمور واجتناب المنهي ما جاور قلب شخص سواء كان ذكرا أو أنثى الا وصل لربه سبحانه وتعالى فالمراد بالتقوى اتباع الاوامر واجتناب النواهي فمن المأمور به أنواع الطهارة كالوضوء والغسل والتيمم وازالة النجاسة ومنه الصلاة بأنواعها فرضا ونفلا عينا وكفاية ومنه أيضا الزكاة بأنواعها والصوم بأنواعه والحج والعمرة بأنواعهما ومنه أيضا أنواع المعاملات كالبيع والسلم والصلح والحوالة والاجارة ونحو ذلك ومنه أيضا الانكحة والاصدقة والطلاق والرضاع والنفقات ونحو ذلك ومنه أيضا فروض الكفايات كالجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحياء الكعبة بالحج كل عام وغير ذلك ومنه أيضا ما كلف الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من مكارم الاخلاق كالزهد والورع والتوكل والقناعة وحسن الخلق وكظم الغيظ والعفو عند القدرة وقضاء حوائج المسلمين وغير ذلك ومن المنهي عنه الشرك بالله تعالى وقتل النفس بغير حق والزنا والربا وشرب الخمر والسرقة وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات المصونات المؤمنات الغافلات والغيبة والنميمة وأكل أموال الناس ظلما وعدوانا كالغصب ونحو ذلك قال وكل هذه

المأمورات والمنهيات شيداخلة تحت قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ومثلها قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واذا اتبع الانسان الامر واجتنب النهي فقد جاورت التقوى قلبه وصار في كل وقت يشاهد ربه فيكون حينئذ سامعا بالله ناطقا بالله باطشا بالله ماشيا بالله متحركا بالله ساكنا بالله وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل وما تقرب الى عبدي بشئ أفضل مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه اه قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿ليس من يقطع طرقا بطلا * انما من يتق الله البطل﴾

أي ليس الشخص الذي يقطع الطرق أي يمنع الناس من المرور فيها بطلا أي شجاعا ماهرا سمي بذلك لبطلان الحياة عند ملاقاته بل البطل والشجاع هو الشخص المتقي الله سبحانه وتعالى لانه من شجاعته قهر نفسه وأبطل كيدها التي هي أقوى من سبعين شيطانا حيث جعلها متبعة للمأمورات ومجتنبة للمنهيات وقد قال صلى الله عليه وسلم حين رجوعه من بعض الغزوات رجعتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر جهاد النفس * وقال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد من يملك نفسه عند الغضب * وفي الجامع الصغير قال صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على أشدكم أملككم لنفسه عند الغضب رواه الطبراني عن أنس (واعلم) بأن التقوى وان قل لفظها كلمة كثيرة المعنى شاملة لخير الدارين اذ هي تجنب كل منهي عنه وفعل كل مأمور به كما سبق وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن التقوى فقال هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل وقال عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فما رزق الله بعد ذلك فهو خير الى خير وقيل تقوى الله أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك ولهذا قال بعضهم لشخص اذا أردت أن تعصي الله فاعصه حيث لا يراك واخرج من داره وكل رزقا غير رزقه وقال أكثر المفسرين في قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب انها نزلت في عوف بن مالك الاشجعي أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا الفاقة اليه وقال ان العدو أسر ابني وجزعت الام فما تأمرنا فقال عليه الصلاة والسلام اتق الله واصبر وآمرك واياها أن تكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فعاد لبيته وقال لامرأته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني واياك أن نكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قالت فنعم ما أمرنا به فجعلا يقولانها فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى أبيه وهي أربعة آلاف شاة فنزلت الآية وقال مقاتل أصاب غنما ومتاعا وكتب لابنه أما بعد فاني أوصيك بتقوى الله عز وجل من اتقاه وقاه ومن أقرضه جازاه ومن شكره زاده فاجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك ولما ولي علي رضي الله عنه الخلافة بعث رجلا على سرية فقال أوصيك بتقوى الله الذي لا بد لك من لقائه

ولا

ولا منتهى لك من دونه وهل تملك الدنيا والآخرة الا بالتقوى * وفي منهاج العارفين أن بعض الصالحين قال لبعض أشياخه أوصني بوصية قال أوصيك بوصية رب العالمين الاولين والآخرين وهي قوله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله قال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم ولبعضهم رضي الله عنه

من عرف الله فلم تغنه * معرفة الله فذاك الشقي
ما يصنع العبد بعز الغنى * والعز كل العز للمتقي

وقال بعضهم

اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى * تقلب عريانا ولو كان كاسيا
وخير لباس المرء طاعة ربه * ولا خير فيمن كان لله عاصيا

ولابي الدرداء رضي الله عنه

يريد المرء أن يعطى مناه * ويأبى الله الا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي * وتقوى الله أفضل ما استفادا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم يقول الله عز وجل يا أيها الناس اني قد جعلت لي نسبا وجعلت لكم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت ان أكرمكم عند الله أتقاكم وأبيتم الا فلان بن فلان فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي أين المتقون فينصب للمتقين لواء فيتبعون لواءهم فيدخلون الجنة بغير حساب اه واذا تأملت ما تقدم ظهرت لك ثمرة التقوى وعلمت أنها كافلة للسعادة في الدارين نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المتقين المنسوبين اليه آمين قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿صدق الشرع ولا تركن الى * رجل يرصد بالليل زحل﴾

الكلام على حذف مضاف أي صدق صاحب الشرع وهو النبي صلى الله عليه وسلم في جميع ما جاء به من عند الله وصار معلوما بالضرورة والامر في عبارة الناظم للوجوب لانه يجب التصديق بالقلب والاقرار باللسان لكل ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والمعاملات بأنواعها والجنة والنار واللوح والقلم والحوض والصراط والميزان وعذاب القبر ونعيمه وسؤال منكر ونكير والشفاعة العظمى واخراج قوم من النار بشفاعة الشافعين والبعث بعد الموت وان الجنة والنار خلقهما الله للبقاء وان أهل الجنة فيها منعمون أبدا وان أهل النار غير أهل الكبائر من المؤمنين فيها معذبون أبدا ويحتمل أن المراد بالشرع الدين المبعوث به المصطفى صلى الله عليه وسلم وعليه فليس في عبارته حذف أي صدق الشرع فيما جاء به من أمر ونهي ووعد ووعيد وفي كونه ناسخا لجميع الشرائع القديمة وغير ذلك (فائدة) الدين والملة والشرع والشريعة ألفاظ مترادفة مختلفة اعتبارا وذلك لان الاحكام من حيث اشتهارها وظهورها وتشريعها تسمى شرعا وشريعة ومن حيث املاء الشارع اياها لنا تسمى ملة ومن حيث انقياد الخلق لها تسمى دينا وقوله ولا تركن الى رجل يرصد بالليل زحل أي ولا تعتمد على رجل يرصد اي يترقب وينظر في الليل

زحل أي لا تصدق قول المنجمين لان أقوالهم كاذبة قال الله تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون فمن صدقهم فقد سلك طريقا مهلكا * وتخصيص الناظم رحمه الله تعالى النهي عن الارصاد بزحل ليس بقيد بل الكواكب السبعة السيارة كذلك وهي القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشترى وزحل وكل واحد منها له فلك يختص به فالفلك الاول للقمر والثاني لعطارد والثالث للزهرة والرابع للشمس والخامس للمريخ والسادس للمشترى والسابع لزحل وكل فلك منها في سماء وقد جمع ذلك بعضهم مبتدئا بالسابعة فما دونها على الترتيب في قوله

زحل شرى مريخه من شمسه * فتزاهرت لعطارد الاقمار

قال الثعالبي رحمه الله تعالى سعة القمر ألف فرسخ في ألف فرسخ مكتوب في وجهه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن أجرى الله الخير على يديه والويل لمن أجرى الله الشر على يديه * وفي الجامع الصغير قال صلى الله عليه وسلم ان من الناس ناسا مفاتيح للشر مغاليق للخير فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه رواه ابن ماجه عن أنس وأما الشمس فقال الثعالبي أيضا سعتها سبعة آلاف فرسخ وأربعمائة فرسخ في مثلها مكتوب في وجهها لا اله الا الله محمد رسول الله سبحان من رضاه كلام وغضبه كلام ورحمته كلام وعقابه كلام سبحان القادر الحكيم الخالق المقتدر اه فقد علم من كلام الناظم رحمه الله تعالى أنه لا تأثير لهذه الكواكب المذكورة ولا لغيرها من المخلوقات فقد ذكر الشبرخيتي على الاربعين النووية مانصه عن علي رضي الله عنه أنه لما أراد لقاء الخوارج قال له مسافر بن عوف يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة وسر بعد ثلاث ساعات تمضي من النهار فقال له علي رضي الله عنه ولم قال لانك ان سرت في هذه الساعة أصابك أنت وأصحابك بلاء عظيم وضر شديد وان سرت في الساعة التي آمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت مطلوبك فقال علي رضي الله عنه ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده فمن صدقك في هذا القول أخاف عليه أن يكون كمن اتخذ مع الله ندا أو ندا اللهم لا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم قال له نكذبك ونخالفك ونسير في هذه الساعة التي تنهانا عنها ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها لاخلدنك في الحبس ما بقيت ولامنعنك العطاء ما بقي لي من سلطان ثم سار في الساعة التي نهاه عنها فلقي القوم وقتلهم وهي واقعة النهروان انتهى وذكر الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء أنه في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة اجتمعت الكواكب في الميزان فحكم المنجمون بخراب العالم في جميع البلاد بريح عظيمة فشرع الناس في حفر مغارات في الارض وتوثيقها وسد منافسها على الريح ونقلوا اليها الماء والزاد وانتقلوا اليها وانتظروا الليلة التي أخبروا فيها بريح كريح عاد وهي الليلة التاسعة من جمادى الآخرة فلم يأت فيها شيء ولاهب فيها نسيم بحيث أوقدت الشموع فلم يتحرك فيها ريح يطفئها فظهر بذلك كذب المنجمين اه والاحاديث في النهي عن تصديقهم كثيرة منها ما ذكره في الجامع الصغير عن الامام أحمد عن بعض أمهات المؤمنين أنه

صلى الله عليه وسلم قال من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل صلاته أربعين ليلة قال العلامة المناوي العراف بفتح العين المهملة وتشديد الراء المهملة أيضا من يخبر بالأمور الماضية أو بما خفي وقوله فسأله عن شيء أي من نحو المغيبات وانما خص الاربعين على عادة العرب في ذكر الاربعين والسبعين والتسعين للتكثير وخص الليلة لان عادتهم ابتداء الحساب بالليالي وخص الصلاة بعدم القبول لكونها عماد الدين فصومه كذلك ومعنى عدم القبول عدم الثواب وان كانت مجزئة في سقوط الفرض عنه ولا يحتاج معها الى اعادة ونظير هذا الصلاة في الارض المغصوبة مسقطة للقضاء ولكن لا ثواب فيها اه ومنها ما ذكره في الجامع أيضا عن الامام أحمد عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما نزل على محمد قال العلامة المناوي بعد قوله أو كاهنا وهو ما يخبر عما يحدث وقوله فصدقه أي أتاه وسأله معتقدا صدقه فلو سأله معتقدا كذبه لم يلحقه الوعيد اه ومنها ما ذكره في الجامع أيضا عن واثلة بن الاسقع أنه صلى الله عليه وسلم قال من أتى كاهنا يسأله عن شيء حجبت عنه التوبة أربعين ليلة فان صدقه بما قال كفر قال العلامة المناوي بعد قوله كفر أي ستر النعمة فان اعتقد صدقه في دعواه الاطلاع على الغيب كفر حقيقة اه وقال العلقمي قال النووي قال القاضي عياض كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب أحدها أن يكون للانسان ولي من الجن يخبره بما يسترقه من السماء وهذا القسم بطل من حين بعث نبينا صلى الله عليه وسلم * وثانيها أن يخبره بما يطرأ ويكون في أقطار الارض وما خفي عنه مما قرب أو بعد وهذا لا يبعد وجوده ونفت المعتزلة وبعض المتكلمين هذين الضربين وأحالوهما ولا استحالة في ذلك ولا بعد في وجود الثاني منها * وثالثها المنجمون وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما لكن الكذب فيه أغلب ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عراف وهو الذي يستدل على الامور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها بها ومنه الضرب بالحصى الذي تفعله النساء ومنه أيضا الخط بالرمل والنجوم وهذه الاضرب كلها تسمى كهانة وقد كذبهم الشرع ونهى عن تصديقهم واتيانهم وقال الخطابي وغيره العراف هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ونحوهما اه قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿حارت الافكار في قدرة من * قد هدانا سبلنا عز وجل﴾

أي تحيرت الافكار في قدرة الله تعالى الذي هدانا وبين لنا الطرق الموصلة الى النعيم الدائم وذلك كالايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من الاعمال الصالحة التي لا تنحصر فهذه الطرق بينها لنا المولى سبحانه وتعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وهي موصلة الى الجنة قال تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون (واعلم) أن دخول الجنة بمحض فضل الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته وأما القصور والحور والولدان وغير ذلك من النعيم فعلى قدر الاعمال قلة وكثرة وما ذكره الناظم رحمه الله تعالى من أن الافكار تحيرت في قدرة الله مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله رواه

الطبرانى فى الاوسط عن ابن عمر قال المناوى تفكروا فى آلاء الله أى نعمه التى أنعم بها عليكم ولا تتفكروا فى الله فان كل ما خطر بالبال فهو بخلافه ومن قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله رواه أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس قال المناوى لانه لا تحيط به الافكار بل تحير فيه العقول والانظار ومن قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا فى كل شئ ولا تتفكروا فى الله فان بين السماء السابعة الى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك رواه أبو الشيخ فى كتاب العظمة عن ابن عباس ومن قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله رواه أبو الشيخ عن أبى ذر قال المناوى تفكروا فى خلق الله أى مخلوقاته التى يعرف العباد أصلها جملة لا تفصيلا كالسماء بكواكبها وحركاتها والارض وما فى جبالها وأنهارها وحيواناتها ونباتها ومعدنها فلا تتحرك ذرة الا ولله فيها حكمة دالة على على عظمته ومن قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدره رواه أبو الشيخ عن ابن عباس قال المناوى تفكروا فى الخلق أى تأملوا فى المخلوقات ودوران هذا الفلك ومجارى هذه الانهار فمن تحقق ذلك علم أن لها صانعا لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا تتفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدره أى لا تعرفونه حق معرفته قال رجل لعلى يا أمير المؤمنين أين الله قال أين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان اه (واعلم) أن من فى كلام الناظم اسم موصول بمعنى الذى كما تقرر والافكار جمع فكر بالكسر وهو تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعانى يقال فى الامر فكر أى نظر وروية ويقال هو ترتيب أمور فى الذهن يتوصل بها الى مطلوب يكون علما أو ظنا كذا فى المصباح وما مشى عليه الناظم رحمه الله تعالى من عدم تعدى هدى بالحرف هو لغة الحجازيين قال فى المصباح هديته الطريق أهديه هداية هذه لغة الحجاز ولغة غيرهم يتعدى بالحرف فيقال هديته الى الطريق وللطريق اه وقوله عز أى غلب وقوى فلا يساويه أحد فى ذلك قال تعالى وهو القاهر فوق عباده وجل أى عظم فالعزة القوة والجلالة العظمة كذا فى المصباح قال بعض العارفين النظر فى المصنوعات من أقرب القربات قال تعالى أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض الآية فالمصنوعات المعلومة بالضرورة شيآن علوية وسفلية * فالعلوية كالشمس والقمر والسموات السبع وسكانها من الملائكة على اختلافهم والعرش والكرسى والبيت المعمور وما فيه من الملائكة الذين يعبدون الله عز وجل ويسبحونه ولا يفترون عن عبادته طرفة عين والجنة وما فيها من القصور والانهار والحور والولدان والنعيم الذى أعده الله فيها لأوليائه المؤمنين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والنار وما أعده الله فيها لاعدائه الكافرين من العذاب والنكال والسلاسل والاغلال والحيات والعقارب وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من أنواع العذاب نسأل الله العافية والسلامة * والمصنوعات السفلية كالارضين السبع والجبال والانهار والبحار والشجر والدواب وبنى آدم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم الى غير ذلك مما خلق الله فيها وأوجده على ظهرها وأودعه فى بطنها من الكنوز والمعادن والنبات وغير ذلك ففى كل جزء من هذه

المصنوعات

المصنوعات دلالة كافية على أن الله هو خالقها وموجدها من غير شك ولا معين ولذلك سئل بعض الاعراب عن الدليل على وجود الله تعالى فقال البعرة تدل على البعير وأثر الاقدام يدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج أفلا يدلان على اللطيف الخبير وأقرب المصنوعات اليك نفسك قال تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون ففي نظرك الى نفسك وما اشتملت عليه من سمع وبصر وذوق وشم ورضا وغضب وكفر وايمان وشهوة وضدها كفاية في الاعتبار ودلالة على أن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ وبيده الاعطاء والمنع والوصل والقطع والخفض والرفع والضر والنفع ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن * قال بعض العارفين من تفكر في عجائب المخلوقات كان من المقربين وقال بعضهم تفكر ساعة خير من قيام ليلة فان الفكر مخ العقل وقال بعضهم الفكر مرآة تريك حسناتك وسيآتك وتدلك على أن الله هو الصانع المختار وغيره صائر الى الزوال وما أحسن ما قال الاستاذ اللقاني

فانظر الى نفسك ثم انتقل * للعالم العلوي ثم السفلي * تجد به صنعا بديع الحكم
لكن به قام دليل العدم * وكل ما جاز عليه العدم * عليه قطعا يستحيل القدم

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿ كتب الموت على الخلق فكم * فل من جمع وأفنى من دول ﴾

أي أوجب الموت الذي هو مفارقة الروح للجسد على جميع الخلق من صغير وكبير وجليل وحقير وغني وفقير وانس وجن وملك وطير ووحش وذباب ونمل وبعوض وبراغيث وغير ذلك من كل ما خلق الله وبسبب ذلك الموت الدال على قدرة الله تعالى وقهره جميع خلقه قلت الجموع وخلت الربوع فكم فل ذلك الموت من جمع وأفنى من دول فأين أهل المدن والحصون أين أهل المعاني والفنون أين الامم الماضية أين أرباب القصور العالية ﴿ تنبيه ﴾ قال في المصباح الموت ضد الحياة والميتة مالم تلحقها الذكاة الشرعية والموات بضم الميم الموت وبالفتح الارض التي لا مالك لها ولا ينتفع بها أحد اه وقال فيه أيضا تداول القوم الشئ هو حصوله في يد هذا تارة وفي يد هذا تارة أخرى والاسم الدولة بفتح الدال وضمها وجمع المفتوح دول بالكسر مثل قصعة وقصع وجمع المضموم دول مثل غرفة وغرف اه فعلم من عبارته أنه يجوز في كلام الناظم كسر الدال وضمها (فائدة) الدول قبل الاسلام كثيرة كالفراعنة والعمالقة والقياصرة والاكاسرة والتبابعة ونحوها وأما دول الاسلام من لدن عصره صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا فهي سبع دول * الاولى دولة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة بعده الثانية دولة بني أمية وهم اثنا عشر الثالثة دولة بني العباس رضي الله عنه وهم ثلاثة وثلاثون الرابعة دولة العبيديين وهم ثمانية الخامسة دولة الاتراك وهم ثلاثة عشر السادسة دولة الجراكسة وهم من برقوق الى آخر ولاية الغوري ولم يوقف لهم على عدد * السابعة دولة بني عثمان أدام الله دولتهم ومكن خلافتهم وأيد سلطنتهم أولهم مولانا السلطان سليم رحمه الله قدم الى مصر المحروسة في أواخر سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة بتقديم المثناة على السين وهذا بالنسبة لمن ولي الخلافة منهم بمصر المحروسة والا فلهم أسلاف في السلطنة والخلافة بالبلاد الرومية قبل السلطان سليم

بكثير فأولهم السلطان عثمان الاكبر ولي الخلافة بالبلاد الرومية في سنة ست وتسعين بتقديم المثناة على السين وستمائة من الهجرة النبوية وليس منسوبا الى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه كما توهمه كثيرون وقد نقل أهل السير أنه كان رجلا صالحا عابدا حافظا لكتاب الله تعالى ملازما للتلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار وكان قبل ورود الامر عليه يعاني حرفة الزراعة ويأكل من عمل يده فاصطفاه الله تعالى واختاره للخلافة الشرعية ثم توفاه الله تعالى وجعل الخلافة باقية في ذريته أدام الله سلطنتهم وخلافتهم وأهلك أعداءهم الكافرين آمين (فائدة) ذكر في تنبيه الغافلين ما جاء في هول الموت وشدته ما نصه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قيل يا رسول الله كلنا نكره الموت قال ليس ذلك كراهة ولكن اذا احتضر المؤمن جاءه البشير من الله تعالى بما يصير اليه فليس شئ أحب اليه من لقاء الله تعالى فأحب الله لقاءه قال وان الفاجر الكافر اذا احتضر جاءه النذير من الله تعالى بما هو صائر اليه من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه وروى عن جابر بن عبد الله الانصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج فانه قد كانت فيهم الاعاجيب وأنشأ يحدث فقال خرجت طائفة من بني اسرائيل حتى أتوا مقبرة فقالوا لو صلينا ثم دعونا حتى يخرج لنا بعض الموتى فيخبرنا عن الموت فصلوا ثم دعوا ربهم فبينما هم كذلك اذا برجل قد طلع عليهم من قبر برأسه أسود اللون وقال يا هؤلاء ما أردتم فوالله لقد مت منذ سبعين سنة أو مائة سنة وان مرارة الموت ما ذهبت مني الى الآن وكان بين عينيه أثر السجود وعن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شدة الموت وكربه على المؤمن أشد من ثلثمائة ضربة بالسيف وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ملك الموت عند رأس رجل من الانصار فقال له ارفق بصاحبي فانه مؤمن فقال له ملك الموت أبشر يا محمد فاني بكل مؤمن رفيق والله يا محمد اني لاقبض روح ابن آدم فاذا صرخ صارخ من أهله قلت ما هذا الصارخ والله ما ظلمناه ولا سبقنا أجله ولا استعجلنا قدره ومالنا في قبضه من ذنب فان ترضوا بما صنع الله تعالى تؤجروا وان تسخطوا وتجزعوا تأثموا ومالكم عندنا من عتبة وان لنا عليكم لغيبة وعودة فالحذر ثم الحذر ومامن أهل بيت شعر ولا مدر في بر ولا بحر الا ولنا التصفح في وجوههم في كل يوم وليلة خمس مرات حتى اني لأعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم والله يا محمد لو أني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الذي يأمر في قبضها وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكعب الاحبار حدثني عن الموت فقال كأنه غصن شوك أدخل في جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم أخذها رجل شديد الجذب فجذبها جذبة شديدة فقطع منها ما قطع وأبقى ما أبقى وقال حاتم الاصم أربعة لا يعرفها الا أربعة لا يعرف قدر الشباب الا الشيوخ ولا قدر العافية الا أهل البلاء ولا قدر الصحة الا المرضى ولا قدر الحياة الا الموتى وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو علمت البهائم ما تعلمون من الموت ما أكلتم منها سمينا أبدا وذكر أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى باذن الله تعالى فقال له بعض الكفرة انك تحيي حديث العهد بالموت ولعله لم يكن ميتا

فأحى لنا من مات فى الزمن الاول فقال لهم اختاروا من شئتم فقالوا له أحى لنا سام بن نوح فجاء الى قبره وصلى ركعتين ودعا الله تعالى فأحيا الله تعالى سام بن نوح واذا برأسه ولحيته قد ابيضا فقال له ماهذا الشيب ولم يكن فى زمانك فقال سمعت النداء فظننت أنها القيامة فشاب رأسى ولحيتى من الهيبة فقال له منذ كم أنت ميت فقال منذ أربعة آلاف سنة فما ذهبت عنى سكرات الموت ويقال مامن ميت يموت الا ويعرض عليه الحياة والرجوع الى الدنيا فيكره الرجوع الى الدنيا لما يلقى من شدة الموت الا الشهداء فانهم لم يجدوا شدة الموت فيتمنوا الرجوع لكى يقاتلوا ويقتلوا ثانيا وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال مامن نفس بارة ولا فاجرة الا والموت خير لها فان كان بارا فقد قال الله تعالى وما عند الله خير للابرار وان كان فاجرا فقد قال الله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولم يلحد بعد فجلس النبى صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله وكأن على رؤسنا الطير وفى يده عود ينكت به فى الارض فرفع رأسه الى السماء وقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال ان العبد المؤمن اذا كان فى اقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزل عليه ملائكة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ومعهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة فيجلسون منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس المطمئنة اخرجى الى مغفرة الله ورضوانه فتخرج وتسل كما تسل الشعرة من العجين فيأخذها فلا يدعونها فى يده حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن والحنوط فيخرج منها ريح كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض فيصعدون بها الى السماء فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون روح فلان بأحسن أسمائه حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون لها أبواب السماء فيشيعه من كل سماء ملائكتها الى السماء التى تليها حتى ينتهوا بها الى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه فى عليين وأعيدوه الى الارض التى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فتعاد الروح الى جسده ويأتيه ملكان فيقولان له من ربك فيقول ربى الله ثم يقولان له ما دينك فيقول دينى الاسلام فيقولان له ما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له ما علمك وما عملك فيقول قرأت كتاب الله تعالى فآمنت به وصدقت قال فينادى مناد من السماء صدق عبدى فافرشوا له فراشا من الجنة وألبسوه لباسا من الجنة وافتحوا له طاقة من الجنة فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره ويأتيه شخص حسن الوجه طيب الريح فيقول له أبشر بالذى يسرك الله تعالى به هذا يومك الذى كنت توعد به فيقول له من أنت فيقول أنا عملك الصالح فيقول يارب أقم الساعة حتى أرجع الى أهلى ومالى يعنى فى الجنة قال وأما الكافر اذا كان فى اقبال من الدنيا وانقطاع من الآخرة أنزل الله اليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجى الى سخط الله وغضبه فتفرق فى أعضائه كلها فينزعها كما ينزع الشوك من الصوف المبلول فيتقطع منها العروق والعصب فيأخذها فاذا أخذها لم

يدعوها إلى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في تلك المسوح فتخرج منها رائحة كأنتن ريح
جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرّون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا
ما هذه الروح الخبيثة فيقولون روح فلان بن فلان بأقبح أسمائه حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا
فيستفتحون فلا يفتح لها وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية لا تفتح لهم أبواب السماء
ولا يدخلون الجنة ثم يقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين ثم تطرح روحه طرحا ثم قرأ ر
سول الله صلى الله عليه وسلم ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به
الريح في مكان سحيق فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك
فيقول هاه لا أدري فيقولان له وما دينك فيقول هاه لا أدري فيقولان له ما تقول في هذا الرجل
الذي بعث فيكم فيقول هاه لا أدري فينادي مناد من السماء كذب عبدي فافرشوا له فراشا
من نار وألبسوه لباسا من نار وافتحوا له طاقة من نار فيدخل عليه من حرّها وسمومها ويضيق
عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه شخص قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول له
أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد به فيقول له من أنت فيقول أنا عملك السيئ
فيقول يا رب لا تقم الساعة اهـ وقال الحريفيشي في الفصل الثاني ما نصه روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال ما الميت في قبره إلا كالغريق ينتظر دعوة تلحقه من أب أو أخ أو صديق له
فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها وعن كعب الأحبار رضي الله عنه أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا يمر أحد من المقابر إلا وتناديه أهل القبور يا غافلا لو علمت ما نحن فيه لذاب
لحمك وجسدك كما يذوب الثلج على النار وقال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم يا أبا حازم ما لنا
نكره الموت فقال لأنكم عمرتم دنياكم وخربتم أخراكم فأنتم تكرهون النقلة من العمار
إلى الخراب فقال كيف القدوم على الله قال يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يأتي أهله
فرحا مسرورا وأما المسيء فكالعبد الآبق يأتي مولاه خائفا محزونا وقال بعض العارفين كان
رجل يحاسب نفسه فحسب يوما سنيه فوجدها ستين سنة فحسب أيامها فوجدها أحدا وعشرين
ألف يوم وخمسمائة فصرخ صرخة عظيمة وخرّ مغشيا عليه فلما أفاق قال يا ويلتاه أنا آتي
ربي بأحد وعشرين ألف ذنب وخمسمائة ذنب ثم قال آه علي عمرت دنياي وخربت أخراي
وعصيت مولاي ثم لا أشتهي النقلة من العمران إلى الخراب ثم شهق شهقة عظيمة ووقع على
الأرض فحركوه فإذا هو ميت رحمة الله تعالى عليه وإذا كان هذا حال من يكسب كل يوم ذنبا
واحدا فكيف بمن له ذنوب لا تحصى * ويروى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه وقف على
قبر فبكى فقيل له إنك تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا فقال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول إن القبر أول منزلة من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم
ينج منه فما بعده أشد * ويروى أن رجلا جاء إلى مقبرة فصلى ركعتين ثم اضطجع فرأى صاحب
القبر فقال له يا هذا إنكم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل ولأن تكون ركعتان في صحيفتي
خير من الدنيا وما فيها * ويروى أن فارسا مرّ بغلام فسأله يا غلام أين العمران فقال له اصعد
الشرف فصعد فأشرف على مقبرة فقال هذا الغلام إما جاهل وإما حكيم فرجع إليه فقال
سألتك عن العمران فدللتني على المقابر فقال الغلام إني رأيت أهل تلك القرية ينتقلون إلى هذه

ولم أر أحدا ينتقل من هذه الى تلك القرية وانما ينتقل من الخراب الى العمران ولو سألتني عمن يزورك لدللتك * وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من يوم الا وملك يهتف في المقابر فينادي يا أهل القبور من تحسدون اليوم فيجيبونه فيقولون نحسد أهل المساجد في مساجدهم يصلون ولا نقدر أن نصلي ويصومون ولا نقدر أن نصوم ويتصدقون ولا نقدر أن نتصدق ويذكرون ولا نقدر أن نذكر فيتندمون على ما مضى من زمانهم ولله در القائل

رب يا رباه هذا جسدي * تحت أطباق الثرى مرتهنا
ما أرى لي عملا لكن أرى * يا الهي فيك ظني حسنا
وعلى عفوك يا ذا الفضل قد * كنت في دنياي أحسنت الثنا
فأقل عثرة عبد مذنب * وتجاوز واعف عنه محسنا

وعن الاوزاعي رحمة الله تعالى عليه قال كان ميسرة بن حسين بالمقابر يوما وقائده يقوده وكان كفيف البصر فقال له قائده هذه المقبرة فقال السلام عليكم يا أهل القبور أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع فرحمنا الله واياكم وغفر لنا ولكم وبارك لنا ولكم في القدوم عليه اذا صرنا الى ما صرتم اليه قال فرد الله تبارك وتعالى الروح الى رجل منهم فقال بلسان فصيح طوبى لكم يا أهل الدنيا تحجون في الشهر أربع مرات قال ميسرة الى أين نحج في الشهر أربع مرات يرحمك الله قال الى الجمعة أما تعلمون أنها حجة مبرورة متقبلة قال فقلت له أخبرنا ما قدمتم عليه يرحمك الله فقال الاستغفار يا أهل الدنيا أنفع الاشياء في الآخرة قال ميسرة فما منعك أن ترد علينا السلام قال السلام حسنة والحسنات قد رفعت عنا فلا حسنة تزيد ولا سيئة تنقص قد رضينا منكم يا أهل الدنيا بقولكم رحم الله فلانا المتوفى (حكاية عجيبة) قال الحرث بن نبهان رحمة الله تعالى عليه كنت أخرج الى الجبانات وأترحم على أهل القبور وأتفكر فيهم وأعتبر بأحوالهم وأنظرهم سكوتا لا يتكلمون وجيرانا لا يتزاورون قد صار لهم من بطن الارض وطاء ومن ظهرها غطاء وأنادي يا أهل القبور محيت من الدنيا آثاركم وما محيت عنكم أوزاركم وسكنتم الى دار البلاء فتورمت أقدامكم قال ثم بكى بكاء شديدا ثم مال الى قبة فيها قبر فنام في ظلها قال فبينما أنا نائم الى جانب القبر واذا أنا بصاحب القبر والسلسلة في عنقه وقد ازرقت عيناه واسود وجهه وهو يقول ويلي ما حل بي لو رآني أهل الدنيا لما ركبوا معاصي الله تعالى أبدا طولبت والله باللذات فأوثقتني وبالخطايا فأغرقتني فهل من شافع أو مخبر أهلي بأمري قال الحرث فاستيقظت وأنا مرعوب وكاد أن يخرج قلبي من هول ما رأيت فمضيت الى داري وبت ليلتي وأنا متفكر فيما رأيت فلما أصبحت قلت دعني الى الموضع لعلي أجد به أحدا من زوار القبور وأعلمه بالذي رأيت فلما مضيت الى المكان الذي كنت فيه بالامس لم أجد به أحدا فنمت واذا أنا بصاحب القبر يسحب على وجهه وهو يقول يا ويلتاه ماذا حل بي ساء في الدنيا عملي وطال فيها أملي قد غضب علي رب الارباب فالويل لي ان لم يرحمني وينقذني من العذاب قال الحرث فاستيقظت وقد توله عقلي مما سمعت ورأيت فرجعت الى داري وبت ليلتي فلما أصبحت أتيت القبر لعلي أجد أحدا فأخذني النوم فنمت فرأيت صاحب القبر وقد قيد بين قدميه وهو يقول

ما أغفل أهل الدنيا عني ضوعف علي العذاب وانقطعت عني الحيل والاسباب وغضب علي
رب الارباب وغلق في وجهي كل باب فالويل لي ان لم يرحمني رب العزة الوهاب قال الحرث
فاستيقظت من منامي مرعوبا وهممت بالانصراف واذا بثلاث جوار أقبلن كأنهن الاقمار
فتباعدت عنهن وتواريت منهن في المقبرة لكني أسمع كلامهن فتقدمت الصغرى حتى وقفت على
القبر وقالت السلام عليك يا أبتاه كيف قدومك في مضجعك قد انقطعت عنا أخبارك لما أشد
حزننا عليك وشوقنا اليك ثم بكت بكاء شديدا ثم تقدمت الاثنتان فسلمتا على القبر ثم قالتا هذا
قبر أبينا الشفيق علينا والرحيم بنا آنسك الله برحمته وصرف عنك شر عذابه ونقمته يا أبتاه
جرت بعدك هموم لو عاينتها لأهمتك ولو اطلعت عليها لأحزنتك كشف الرجال وجوهنا وقد
كنت أنت تسترها قال الحرث فبكيت لما سمعت كلامهن ثم قمت مسرعا اليهن وسلمت عليهن
وقلت لهن أيتها الجواري ان الأعمال ربما قبلت وربما ردت على صاحبها لما كان عمل أسكن
المخلد في هذا القبر الذي عاينت من أمره ما أحزنني وأبكاني وأهمني قال الحرث فلما سمعن كلامي
كشفن عن وجوههن وقلن لي أيها العبد الصالح وما الذي رأيت قلت لهن لي ثلاثة أيام أختلف
الى هذا القبر أسمع صوت المقمعة والسلسلة قال فلما سمعن ذلك قلن لي هذه بشارة ما أشرها
ومصيبة ما أحرها نحن نقضي الاوطار ونهجر الديار وأبونا يعرق بالنار فوالله ما يقر لنا قرار حتى
نتضرع الى الملك الغفار فلعله بعفوه وكرمه يعتق أبانا من النار ثم مضين يتعثرن في أذيالهن قال
الحرث فمضيت الى داري فبت ليلتي فلما أصبحت أتيت القبر فجلست عنده وأنا متفكر في حاله
فغلبني النوم فنمت واذا أنا بصاحب القبر له حسن وجمال وفي رجليه نعل من ذهب ومعه خدم
وغلمان قال الحرث فسلمت عليه وقلت له يرحمك الله من أنت قال أنا الرجل الذي عاينت من
أمري ما أحزنك واطلعت من حالي على ما أوجعك فجزاك الله خيرا عني فقلت له وكيف كان
حالك قال لما أطلعك الله علي وأخبرت بناتي بالامس جاءت أهملن عيونهن وأسبلن شعورهن
وتضرعن لمولاهن ومرغن خدودهن بالتراب واستوهبنني من العزيز الوهاب فغفر لي الذنوب
والاوزار وأسكنني دار القرار فاذا رأيت بناتي فأعلمهن بأمري ليزول عنهن روعهن وحزنهن
وأعلمهن أني قد صرت الى جنان وقصور وولدان وحور ومسك وكافور وفرح وسرور وقد عفا
عني العزيز الغفور قال الحرث فاستيقظت فرحا مسرورا ومضيت الى داري وبت ليلتي فلما
أصبحت أتيت المقبرة فوجدتهن حافيات الاقدام عليهن آثار الحزن والاغتمام فسلمت عليهن
وقلت لهن أبشركن فقد رأيت أباكن في خير عظيم وقد أخبرني أن الله تعالى استجاب دعاءكن
وقد وهب لكن أباكن قال الحرث فلما سمعن ذلك رفعت الصغرى يدها وقالت اللهم يا مؤنس
القلوب يا ساتر العيوب يا كاشف الكروب يا غافر الذنوب يا علام الغيوب قد علمت ما كان من
مسكنتي واعتذاري في خلوتي واقالتي من زلتي وتنصلي من خطيئتي وأنت اللهم المالك لي
والآخذ بناصيتي ورجائي عند شدتي ومؤنسي في وحدتي فان كنت قصرت عما أمرتني وارتكبت
ما عنه نهيتني فبجاهك حميتني وبسترك سترتني فيا أكرم الاكرمين ان كنت قضيت حاجتي
بفضلك وشفعتني في عبدك أبي الفقير اليك الكسير الذليل الحقير فاقبضني اليك وأنت على كل شيء
قدير ثم صرخت صرخة فارقت الدنيا قال ثم قامت الثانية ونادت بأعلى صوتها اللهم يا رب

الارباب

الارباب يا معتق الرقاب خلص من الشك قلبي يا من أقالني من عثرتي وأعانني في شدتي ان كنت قبلت دعوتي وقضيت حاجتي وعمرت بذكرك وقتي فألحقني بأختي ثم صاحت صيحة فارقت الدنيا ثم قامت الثالثة ونادت بأعلى صوتها يا أيها الجبار الأعظم والملك الاكرم لك الفضل العظيم والوجه الكريم السعيد من أسعدته والشقي من أشقيته والمحروم من أحرمته أسألك باسمك العظيم ووجهك الكريم وباسمك الذي جعلته على الليل فدجا وعلى النهار فأضا وعلى الجبال فتدكدكت وعلى السموات فارتفعت وعلى الارض فسطحت وعلى الملائكة فسجدت اللهم اني أسألك ان كنت قضيت حاجتي وأسعدت وقتي فألحقني باختي ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا رحمه الله تعالى عليهن قال الحرث فتعجبت من أحوالهن وتقارب آجالهن اه قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿وأين نمروذ وكنعان ومن * ملك الارض وولى وعزل﴾

صدّر الناظم رحمه الله تعالى هذا البيت والبيوت الثلاثة التي بعده بلفظ أين الاستفهامية تقرير الموعظة المذكورة للموت الذي ذكره في البيت السابق كالخطيب الذي يقول أين من مضى من القرون أين الانبياء والمرسلون قال في المصباح وأين ظرف مكان يكون استفهاما فاذا قيل أين زيد لزم الجواب بتعيين مكانه ويكون شرطا أيضا ويزاد ما فيقال أينما تقم أقم اه فكأن الناظم رحمه الله تعالى يقول لك يا أخي أنت غافل عن ذكر الموت وكأنك عن قريب وقد نقلت من هذه الدار فان كنت تنكر ذلك فأين نمروذ وكنعان وعاد وفرعون وغيرهم ممن ذكرته لك فانهم مع عتوهم وفسادهم في الارض وقوتهم وشدة بأسهم وتكبرهم أخذهم الموت على بغتة وهم لا يشعرون هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا فهل ترى لهم من باقية فينبغي لك يا أخي أن تعتبر وتتذكر الموت وتكثر من ذكره وتستعد له فانه ليس له أجل محدود ولا وقت معروف بل يأتي بغتة فان أتاك وأنت مستعد له كنت من السعداء الفائزين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون هذا هو المراد من كلامه رحمه الله تعالى ولنتكلم على من ذكرهم من الجبابرة فنقول * أما كنعان فهو أبو النمروذ من أولاد حام بن نوح كما سيأتي وكان من الجبابرة العتاة الذين يعبدون الاصنام (واعلم) ان الجزاء من جنس العمل فكل من تجبر على عباد الله في الدنيا أذله الله يوم القيامة فقد روى الامام أحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجاء بالجبارين يوم القيامة رجالا في صورة الذر تطؤهم الناس من هوانهم على الله تعالى حتى يقضي بين الناس ثم يذهب بهم الى نار الانيار قيل يا رسول الله وما نار الانيار قال عصارة أهل النار * وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صورة الناس يغشاهم الصغار في كل مكان ويساقون الى سجن يقال له بولس يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار وأما نمروذ فهو بالدال المهملة وبالذال المعجمة وهو ابن كنعان وهو نمروذ ابراهيم الخليل عليه السلام وذكر في الخازن أنه كان ابن زنا وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الارض وادعى الربوبية وملك الارض كلها وذكر الشريف الحسيني النسابة في شرحه على منظومة ابن العماد في الاسكنة أن نمروذ ابراهيم عليه السلام من أولاد نمروذ الاكبر ونص عبارته ومن أولاد حام بن نوح كوش

وولد كوش نمروذ الجبار ومن أولاد نمروذ هذا نمروذ الذي ابتلى به ابراهيم عليه السلام اه قال بعضهم كانت سيرة النمروذ هذا مذمومة عند الله وعند الناس وذلك أنه كان بخيلا في قومه جائرا في حكمه محتجبا عن رعيته ولهذا لم يذكره الله تعالى في القرآن العظيم بلفظ العلم وانما ذكره بلفظ الكناية كقوله تعالى ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الى قوله فبهت الذي كفر وغير ذلك وحاصل قصة ممع سيدنا ابراهيم عليه السلام كما ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أن الله تعالى أعطى ابراهيم عليه الصلاة والسلام الاهتداء لوجوه الصلاح في الدين والدنيا في صغره قبل بلوغه حتى تفكر في الرب وظهرت له الكواكب واستدل بها على ربه فرأى قومه يعبدون الاصنام وكانت اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من رصاص وبعضها من نحاس وبعضها من حجر وبعضها من خشب وكان كبيرهم من ذهب مطلي بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان تضيآن بالليل فقال لهم على سبيل التنبيه هل هذه الاصنام تستحق أن تعبد فلم يكن لهم جواب الا التقليد فقالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فاقتدينا بهم وهذا التقليد الواقع منهم باطل لعدم استناد الآباء الى دليل فقال لهم لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين فقالوا له أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين فقال لهم هؤلاء الاصنام ليست أربابا لكم بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وأنا على ذلكم الذي قلت لكم من الشاهدين وتالله لأكيدن أصنامكم بالتكسير فكسرها بالفعل بعد ذهابهم الى عيد لهم وقد ذهب ابراهيم معهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال اني سقيم أشتكي رجلي فتركوه ومضوا ثم نادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس حيث قال بصيغة الحلف وتالله لأكيدن أصنامكم فسمعها الضعفاء منه فرجع ابراهيم الى بيت الاصنام وقبالة البيت صنم عظيم والى جانبه أصغر منه وهكذا كل منهم أصغر من الذي يليه وكانوا وضعوا عند الاصنام طعاما يأكلون منه اذا رجعوا من عيدهم اليهم فقال لهم ألا تأكلون فلم يجيبوه فكسرها فلما رجعوا ورأوهم مكسرين قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فقال الضعفاء من قوم ابراهيم الذين سمعوا حلفه بقوله لأكيدن اصنامكم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم فقالوا وافشا بينهم فأتوا به على أعين الناس أي ظاهرا مكشوفا للناس لعلهم يشهدون على فعله بان يكون أحد رآه يكسرها فأتوا به وقالوا له أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون فتفكروا وتذكروا وقالوا من لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه بوجه من الوجوه يستحيل أن يقدر على دفع مضرة عن غيره فكيف يستحق أن يكون معبودا وأقروا على أنفسهم بانهم كانوا ظالمين في عبادتهم لها ثم نكسوا على رؤسهم اى انقلبوا الى المجادلة بعدما استقاموا ورجعوا الى كفرهم وقالوا لقد علمت ماهؤلاء ينطقون وقال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المجادلة وضاقت عليهم الحيل حرقوه وانصروا آلهتكم والقائل هو نمروذ بن كنعان ابن السحاريب بن نمروذ بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام وقيل القائل رجل من فارس اسمه غيبون خسف الله به الارض وهكذا شأن المبطل المغلوب اذا فرغت شبهته بالحجة القاطعة لا يبقى له مفزع الا المغالبة والمقاتلة فجمعوا له الحطب وكانت مدة الجمع شهرا ومدة الايقاد سبعة ايام وكانوا يتقربون الى آلهتهم بجمع الحطب حتى كانت المرأة منهم التي لا دراهم عندها تبيع غزلها وتشترى بثمنه

حطبا وتلقيه في النار حتى صارت النار من شدة حرها تؤذي البعيد عنها وامتنع الطير من الذهاب في الهواء المقابل لها فعجزوا عن القاء سيدنا ابراهيم عليه السلام فيها من شدة حرها على بعد فأمرهم ابليس بفعل المنجنيق فوضعوه فيه ورموه في النار وكان له من العمر حينئذ ست عشرة سنة وأوجد الله له فيها عين ماء عذب وورداً أحمر ونرجساً أصفر فصارت في حقه روضة وبعث الله له جبريل بقميص من حرير وطنفسة فألبسه القميص أولا وفي الرازي أن مدة مكثه فيها أربعون يوما أو خمسون يوما أو سبعة ايام ولما ألقوه فيها قال الله سبحانه وتعالى للنار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم أي ابردي برداً غير ضار ولو لم يقل على ابراهيم لما أحرقت نار ولا اتقدت أصلا وذلك لانه طفئت جميع النيران في ذلك اليوم قال العلماء رضي الله عنهم لولا أن الله عز وجل تدارك ابراهيم بالنعمة فقال وسلاما على ابراهيم لهلك من شدة البرد اه وورد أن سيدنا جبريل عليه السلام أتى لسيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهو في النار فقال هل لك من حاجة فقال له أما اليك فلا قال له جبريل فسل ربك فقال له ابراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي قال سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام ما كنت قط بأنعم أياما من الايام التي كنت فيها في النار (فائدة) ذكر بعض حواشي البيضاوي أنه لما ألقي سيدنا ابراهيم عليه السلام في النار جاء الوزغ وهو سام أبرص فنفخ على ابراهيم فصم بسبب ذلك وأمر صلى الله عليه وسلم بقتل الوزغ وقال كان ينفخ على ابراهيم ومن قتل وزغة في أول ضربة كتبت له مائة حسنة وفي الثانية دون ذلك وفي الثالثة دون ذلك * وذكر بعض الحكماء أن الوزغ لا يدخل بيتا فيه زعفران وأنه يبيض اه * وأما من ملك الارض وولي غيره المناصب وعزل غيره عنها فكثير كما هو معلوم فكل زمان لا بد فيه من نافذ الامر والنهي يجلس مدة ثم يزول وتتداول عليه الايام حتى يذهب رسمه وينسى اسمه فسبحان من لا يزول ولا يتغير قال بعضهم ملوك الارض الذين ملكوها من شرقها الى غربها ومن يمينها الى شمالها أربعة اثنان مسلمان واثنان كافران فأما المسلمان فسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام واسكندر ذو القرنين أما سليمان فقد ذكره الله تعالى في القرآن العزيز في قوله عز من قائل قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي انك انت الوهاب فسخرنا له الريح الآيات وأما اسكندر ذو القرنين فذكر الله قصته في قوله تعالى ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض الآيات وهو من أولاد سام بن نوح وأسلم على يدي ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وكان رجلا صالحا ولم يكن نبيا وعاش ألف سنة وستمائة سنة رضي الله عنه وهو ذو القرنين الاكبر وأما الاثنان الكافران فالنمروذ بن كنعان المتقدم ذكره والثاني ذو القرنين الاصغر وهو من أولاد العيص بن اسحق وكان بينه وبين المسيح ثلاثمائة سنة وهو كافر باتفاق وهو الذي نسبت اليه الاسكندرية المدينة المشهورة وذكر في الخازن أن الثاني من الكافرين بختنصر بدل ذي القرنين الاصغر قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿أين عاد أين فرعون ومن * رفع الاهرام من يسمع يخل﴾

أي تذكر الموت وانظر الى هؤلاء الجبابرة كيف قصمهم الله تعالى وأبادهم وأهلكهم ولم تنفعهم أموالهم ولا جنودهم ولا حصونهم العالية المرتفعة كما سيأتي في قول الناظم هلك

الشكل ولم تغن القلل وقوله أن عاد شامل لعاد الاولى ولعاد الثانية * أما عاد الاولى فهو عاد بن عوض بن ارم بن سام بن نوح وكان جبارا عنيدا عاش الف سنة ومائتي سنة وتزوج الف بكر ورزق من صلبه أربعة آلاف ولد من الذكور وكان طول الطويل منهم أربعمائة ذراع ورزقوا من القوة مالا يرزقه أحد كما قال تعالى فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة فلم تكن قبيلة في الارض أشد منهم لانه لو كان هناك قبيلة في الارض أشد منهم لرد الله عليهم بها فلما لم يكن أشد منهم الا الله الذى خلقهم قال أولم يروا الآية وكان من قصتهم ماذكره ابن اسحق أنهم كانوا ينزلون اليمن وكانت مساكنهم بالاحقاف وهي رمال بين عمان وحضرموت وقهروا الخلق جميعا وكانوا يعبدون صنما يقال له صداء وصنما يقال له هباء وصنما يقال له صمود فبعث الله اليهم أخاهم هودا نبيا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا فأمرهم أن يوحدوا الله تعالى ويكفوا عن مظالم الناس ولم يأمرهم بغير ذلك فكذبوه وقالوا من أشد منا قوة وبطشوا بطشة الجبارين فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى أجهدهم ذلك فخرج منهم نحو سبعين رجلا وتوجهوا الى مكة للاستسقاء لان الناس في ذلك الزمان كانوا يعظمون البيت الحرام مؤمنهم وكافرهم وكان فيهم رجل مؤمن من اليهود يكتم ايمانه فقال والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وتبتم الى ربكم سقيتم وأظهر اسلامه في ذلك الوقت وأنشد يقول

عصت عاد رسولهم فأمسوا * عطاشا ماتبلهم السماء * لهم صنم يقال له صمود
يقابله صداء والهباء * فبصرنا الرسول سبيل رشد * فأبصرنا الهدى وجلى العماء
وان اله هود هو الاله * عليه لي التوكل والرجاء

فلما سمعوا منه ذلك منعوه أن يصحبهم للاستسقاء ولما توجهوا الى مكة وكان فيهم ولد لعاد فدعا الله وقال الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فأنشأ الله سحائب ثلاثة بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء وقال له اختر لنفسك وقومك من هذه السحائب فقال ولد عاد اخترت السحابة السوداء لانها أكثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت بها بلاء ولهذا لم يبق من آل عاد أحد وساق الله السحابة السوداء بما فيها من البلاء على عاد حتى خرجت عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال لهم بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها وكان أول من أبصر مافيها وعرف أنها ريح امرأة منهم فصاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا لها ما رأيت قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فلم تدع من عاد أحدا الا هلك ونجا هود ومن اتبعه قال السدى بعث الله عليهم الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل تطير بها الريح بين السماء والارض فهربوا وأغلقوا بيوتهم فجاءت ريح فقلقت أبوابهم ثم دخلت عليهم فأهلكتهم ثم أخرجتهم من البيوت فلما أهلكتهم أرسل الله عليهم طيرا أسود فنقلهم الى البحر قالوا ولم يخرج ريح قط الا بمكيال الا في ذلك اليوم فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها وأما عاد الثانية فهو نسل وعقب عاد الاولى لانه لما مات عاد كافرا ترك ابنا له يقال له شداد وكان أعتى من أبيه وهو الذى هلك

وطا ئفته بالصيحة قال الشعبي ان شداد بن عاد ملك سائر الدنيا وكانت قومه بقية قوم عاد الاولى
الذين زادهم الله بسطة في الأجساد وقوة في الاعضاء فبعث الله اليهم هودا عليه السلام
نبيا كما بعثه الى عاد الاولى فدعاهم الى الله تعالى فقال شداد بن عاد اذا آمنت بربك فما لى
عنده قال يعطيك في الآخرة جنة مبنية من ذهب وياقوت ولؤلؤ وبارضها أنواع الجواهر
والمسك والعنبر فقال شداد أنا أبني مثل هذا ولا أحتاج الى ما تعدني به ثم أمر شداد ألف أمير
من جبابرة قومه أن يخرجوا ويطلبوا أرضا واسعة كثيرة الماء طيبة الهواء بعيدة من
الجبال ليبني فيها مدينة من الذهب قال فخرج أولئك الامراء مع كل أمير ألف من خدمه
وحشمه فساروا الى أرض اليمن حتى وصلوا جبل عدن فوجدوا هنالك أرضا واسعة طيبة
الهواء فأمروا البنائين والمهندسين فخطوا مدينة طولها أربعون فرسخا من كل جهة عشرة
فراسخ ثم حفروا الاساس الى الماء وبنوه بحجارة الجزع اليماني بفتح الجيم وسكون الزاي خرز
فيه بياض وسواد الواحدة جزعة مثل تمر وتمرة حتى ظهروا على وجه الارض ثم أحاطوا بها
سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع وصفحوه بصفائح الفضة المطلية بالذهب حتى صار لا يدركه
البصر اذا أشرقت عليه الشمس وقد جمع المعادن من سائر الدنيا واتخذها للبنا حتى انه لم يبق
في يد أحد شيأ منها الا أخذه واستخرج الكنوز المدفونة ثم بنى داخل المدينة ألف قصر كعدد
رؤساء مملكته كل قصر على ألف عمود من أنواع الزبرجد معقودة بالذهب والفضة طول كل
عمود مائة ذراع وأجرى في وسطها أنهرا وأوصل منه جداول لتلك القصور والمنازل وجعل
حصاها من الذهب والفضة وأنواع الجواهر واليواقيت وجعل في حافات الانهار أشجارا من
الذهب وجذوعها من الزبرجد وطلى حيطانها بالمسك والعنبر وجعل بها جنة مزخرفة لنفسه
وجعل أثمارها الزبرجد واليواقيت ونصب عليها الطيور المطربة وعبر ذلك ثم بنى حول
المدينة ألف منارة فلما كمل بناؤها أمر عماله بمشارق الارض ومغاربها أن يتخذوا من
البلاد بسطا وستائر وفراشا من أنواع الحرير المرقوم بالذهب والفضة لتوضع في تلك الغرف
والقصور وأمر باتخاذ أواني الذهب والفضة لتوضع فيها الاطعمة والشراب فتخذوا جميع
ما أمر به فلما فعلوا ذلك كله خرج شداد من أرض حضرموت مع أكابر دولته وأمراء مملكته
وقصدوا مدينة ارم ذات العماد فلما أشرفوا عليها قال لقد صدقت في قولي ولا أنتظر ما قال
هود ووعدني به فانه بعيد وهذا قريب وقد قدرت عليه في الدنيا فلما أراد دخولها أمر الله
تعالى ملكا من الملائكة أن يصيح فصاح بهم صيحة فخروا على وجوههم صرعى وقبض ملك
الموت أرواحهم جميعهم في طرفة عين كما قال تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد
التي لم يخلق مثلها في البلاد ومدة بنائها ثلاثمائة سنة كما قاله الشيخ خالد على البردة وأخفاها
الله تعالى عن أعين الناس الى يوم القيامة وقد قيل ان رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم يقال له عبد الله بن قلابة الانصاري دخل فيها وذلك أنه ضلت له ابل فخرج في طلبها فنظر
الى المدينة فلما رآها دهش لرؤيتها فلما وصل اليها أناخ ناقته ودخلها فرأى تلك القصور
والأثمار والاشجار ولم ير أحدا فقال ارجع الى معاوية فأخبره بهذه المدينة وما فيها ثم حمل
معه شيأ من تلك اليواقيت والجواهر وعلم على المدينة بعلامة ثم سار بعد ما ظفر بابله الى

معاوية بدمشق وأخبره بما رأى فقال له معاوية رضي الله عنه في اليقظة رأيتها أم في المنام فقال بل في اليقظة وحملت من حصبائها فقال أرني فأخرج له شيأ من الجواهر واليواقيت فتعجب معاوية من ذلك وأرسل الى كعب الاحبار فلما دخل عليه قال له معاوية يا أبا اسحق هل بلغك ان في الدنيا مدينة حصباؤها الدر والياقوت فقال نعم وقد ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز فقال ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وقد أخبرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخفاها الله تعالى عن أعين الناس الى يوم القيامة وسيدخلها رجل من هذه الامة يقال له عبد الله بن قلابة الانصاري ثم التفت كعب فرأى عبد الله فقال هذا يا أمير المؤمنين وصفته واسمه في التوراة ولا يدخلها أحد بعده الى يوم القيامة وقيل ان ذلك كان في خلافة عمر رضي الله عنه اه * وأما فرعون فابتداء أمره أنه كان بمصر رجل يقال له مصعب بن عمير وكان يرعى البقر لقومه وكانت له امرأة من أولاد العمالقة ولم يكن له ولد فبينما هو ذات يوم واذا ببقرة قد وضعت عجلا فقتا وحزنا على أنه عمر ولم يرزق ولدا فنادته البقرة يا مصعب لا تحزن فانك ترزق ولدا يكون ركنا من أركان جهنم فرجع الى امرأته فأخبرها بذلك فحملت بفرعون ومات أبوه قبل ولادته فلما ولدته سمته الوليد بن مصعب فربته وعلمته التجارة ثم ولع بالقمار فعاتبته أمه على ذلك فقال يا أماه كفي عني فاني عون نفسي ولزم اللعب فلم يكن يدعى الاعون نفسه فخرج يوما يقامر فقمر وه بقميصه فأخذوه منه ولم يبق عليه شيء يواري عورته فهرب على وجهه حتى صار الى قرية من قرى مصر فخدم عند رجل بقال فكساه البقال ثم فر من البقال ورجع الى أمه فقالت له انك نجار حاذق فلو اشتغلت بصنعتك لكفتك فقال يا أماه أنا عون نفسي فلقبوه بفرعون نفسه وكان يشتري بطيخا وبقلا ويبيع على قارعة الطريق وجعل يدور في أهل مصر يسرق ويهرب مرة ويقع مرة ثم خدم عند رجل من العمالقة وجعل يسوس فرسه حتى مات الرجل ولم يخلف ورثة فاحتوى فرعون على ماله فأكله ثم ضاق به الامر فقعد على مقابر مصر يطالب أصحاب الموتى الكبير والصغير فاستمر مدة ويظهر أنه باذن الملك حتى جمع مالا كثيرا وجعل بين يديه أعوانا ولم يعرف الملك بشيء من ذلك فما تنبته فتعلق بها فبلغ ذلك الملك فغضب منه وهم بقتله فقال أيها الملك لا تعجل علي فحمل له من المال الذي قد جمعه مالا كثيرا فانخدع له الملك فهو أول من أسس البرطيل على وجه الارض فطاب قلب الملك عليه وأقره على ما كان يأخذه من الجنائز فرتب على جنازة الملوك ألف درهم وعلى جنازة الوزراء سبعمائة درهم وعلى جنازة الجند خمسمائة درهم واستمر مدة على ذلك ثم اجتمع أشراف مصر ودخلوا على الملك وقالوا ما هذه الا سمعة قبيحة بين الملوك بأنك تأخذ على الموتى الحق فاستدعى الملك بفرعون وأخذ جميع ما حصله فطلب منه فرعون أن يجعله واليا على حراسة الليل وكانت حراسة الملك في ذلك الوقت شديدة لان الملك كان يخاف ممن يقتله فقال لفرعون كل من لقيته بالليل اقتله أي شخص كان فخلع عليه الملك وجعل بين يديه أعوانا واتخذ فرعون لنفسه قبة في وسط البلد وجعل يفرق الاعوان في نواحي البلد فكل من وجدوه في الليل يقتلونه ثم اتفق أن الملك رأى مناما أفزعه وهو أنه رأى أربعة قرون في وسط كل قرن شعلة من نار قد جمع شعاعها جميع أهل مصر ثم جاءت عقربة وصعدت الى سريره وفتحت فاها

قال فرأيت لها أنيابا حدادا وقالت أيها الملك قد قرب أجلك فاختر لك واحدة من هذه الثلاثة اما أن أبلعك واما أن أقتلك واما أن أطرحك فقامت العقرب فضربتني ضربة رمتني بها الى الارض ثم استوت جالسة على سريري ثم قالت يا أهل مصر كونوا الى عبيدا ثم رأيت بعد ذلك عمران بن صهيب وقد خرجت من ظهره حية سوداء لها قرون من فضة وذهب ونحاس وحديد فقرن الذهب بلغ السماء وقرن الفضة بلغ المشرق وقرن الحديد بلغ المغرب وقرن النحاس تعلق به ناس بيض الوجوه لهم نور ساطع فقالت المعبرون أيها الملك رؤياك شأن عظيم فأجل لنا شهرا ننظر فيها فوقع في قلب الملك ليلا أنه يخرج عند بعض وزرائه ليسليه عن ما به فخرج سرا وليس معه أحد من الخدم فوقع به أعوان فرعون فحملوه اليه فصار يقول أنا الملك فلم يسمعوا منه مخافة أن يكون كاذبا حتى أتوا به الى فرعون فقال أنا الملك فلم يسمع منه وأمر بانزاله عن فرسه فضرب عنقه وبادر فرعون من ساعته هو وجميع أعوانه ودخلوا قصر الملك فاستوى فرعون على سرير الملك ووضع التاج على رأسه واستدعى بالامراء والوزراء وكبار الدولة فأمرهم ونهاهم فدانوا له بأجمعهم فأول من سجد له هامان وكان غلاما للملك ثم الوزراء ثم الملوك ثم العوام ثم بعث الى أسباط بني اسرائيل فدعاهم الى الطاعة فامتثلوا له ظاهرا وعبدوا الله سبحانه وتعالى باطنا فعلم بذلك فرعون فأمر بقدور من نحاس وحديد وملأها زيتا وأضرم تحتها النيران وألقاهم فيها فجعلوا يقولون أدركنا يا الهنا واله آبائنا ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط فانا بك مؤمنون وعليك متوكلون فاقض يا فرعون ما أنت قاض فلما طرحوا فيها طارت أرواحهم الى الجنة واختفى من بني اسرائيل جماعة يعبدون الله سرا فبينما فرعون جالس على سريره قبل ولادة موسى بن عمران بن صهيب اذ أشرف عليه رجل من جدار قصره وهو عاض على أنامله وهو يقول يا فرعون أتظن أن الهك غافل عن سوء فعلك واستعبادك للناس دون رب العالمين ففزع فرعون من هذا القول وتحول الى قصر آخر فلما استقر به أتاه ذلك الرجل بعينه فقال له مثل تلك المقالة وقال هلكت يا ملعون ان لم تؤمن بربك الذي خلقك ورزقك فانتقل الى قصر آخر فسمع مثل تلك المقالة فلم يزل ينتقل من قصر الى قصر الى أن دخل اربعين قصرا ثم ان فرعون خاف من كثرة ما أهلك من الخلق وقال ما أظن أن يكون هلاكي الا على يد بني اسرائيل فائتوني بعمران فانه كبيرهم لاصنع اليه ولن يبقى معه معروفا فلما دخل عليه عمران قال له فرعون يا عمران أحب أن تكون لي وزيرا فقال عمران بين يديك فخلع عليه وتوجه بتاج وجعله سيد وزرائه حتى بقي هامان وغيره تحت نظره ثم وصفت آسية لفرعون فارسل الى أبيها مزاحم بن صهيب فزاحم أخو عمران وبعث اليه بالمال الجزيل وامر باتخاذ قصر وتزيينه فلما دخلت آسية الى دار فرعون ونظرت الى حسن بنائها قالت ما أحسنها لو كان بناؤها من رجل طائع لله تعالى ودخل عليها فرعون فلما هم بها اخذه الله عنها وكان ذلك حاله معها الى أن ماتت ولم يقدر عليها أبدا فبينما فرعون مع آسية اذ سمع هاتفا يقول ويلك يا فرعون لقد قرب زوال ملكك على يد فتى من بني اسرائيل فعند ذلك استشار وزراءه فقالوا الرأي في ذلك أن توكل بالنساء الحبالى من يحفظهن فيذبح البنين ويترك البنات ففعل ذلك حتى قتل اثني عشر الف طفل فضجت الملائكة الى ربها فأوحى الله اليهم ان له أجلا محدودا فبينما عمران بن صهيب

جالس على كرسي فرعون ذات ليلة اذ نظر الى امرأته نوحانة قد دخلت عليه على جناح ملك
ففزع وقال لها ما جاء بك فقال له الملك ان الله يأمرك أن تواقعها على فراش فرعون فواقعها
فحملت بموسى عليه السلام فلما أصبح فرعون دخل عليه المنجمون وقالوا له المولود الذي كنت
تخاف منه قد حملت به أمه الليلة وظهر نجمه فشدد فرعون في الطلب فلما تم لموسى تسعة أشهر
وضعته أمه وهي شديدة الخوف من فرعون وسمع فرعون في تلك الليلة هاتفا يقول ولد موسى
وهلاك فرعون فاغتم فرعون وشدد في الطلب فأدخلته أمه في التنور وخرجت وكانت أخته
قد خبزت فسجرت التنور فدخل هامان دار عمران ففتش فلم يجد فيها شيأ ورأى التنور
مسجورا فانصرف ورجعت أم موسى الى منزلها فاسرعت نحو التنور فاخرجته ولم تمسه النار
ثم أقبلت على نجار وكان قريبا لها فلذلك أخبرته بمولودها فقالت له اتخذ لي تابوتا محكما فقال
ما تصنعي به فقالت قد ولدت مولودا وأخاف عليه من فرعون فلما انصرفت قام ليخبر هامان
فاخذته الارض الى كعبيه وسمع الارض تقول وعزة ربي لئن لم ترجع وتتخذ تابوتا والا ابتلعتك
فتاب فخلته الارض واتخذ التابوت وحمله في الليل الى دار عمران وسلمه الى أم موسى وطلب منها
أن تريه المولود فلما رآه قبله وكان أول من آمن بموسى ومات عمران فعمدت أم موسى الى التابوت
ووضعته فيه وبكت وسمعت النداء انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فاطبقت باب التابوت
وطرحته في النيل وأمر الله الملائكة بحفظ التابوت وبقي أربعين يوما في البحر قاله وهب وقيل
ثلاثة أيام قاله كعب وقال ابن عباس ليلة فبينما فرعون جالس وهو مشرف على النيل فاذا هو
بتابوت والرياح تضرب به حتى أوقفته الى قصر فرعون فلم يزل يجري في النهر حتى ركض في الحوض
الذي في دار فرعون فنظرت اليه آسية وأخرجته وقبلته وهي لا تعلم أنه ابن عمها عمران فحملته
الى فرعون فلما رآه فرعون فزع منه فقالت آسية ايها الملك لا تخف هو في أيدينا متى رأينا منه
شيأ قتلناه ولم تزل تشير عليه حتى صدق وفعل ما قالت له ثم ان موسى صاح وبكى فأتوه بالمراضع
كلهن فلم يقبل ثدي واحدة منهن فسمعت أمه بأن التابوت صار الى دار فرعون فقامت من
ساعتها ودخلت على آسية وموسى بين يديها فقربتها آسية حين عرفت أنها امرأة عمها عمران
فقالت لها خذي هذا المولود فلما أخذته أمه وجد موسى رائحة أمه فضحك وقبل ثديها
فارضعته فقال لها فرعون اني أرى لك لبنا غزيرا فهل لك ولد فقالت وهل نزل الملك لاحد ولدا
فقالت آسية لام موسى اني أرى أن تكوني عندي الى أن يفطم من الرضاع فقامت واتخذت له
مهدا من صفائح الذهب فلما أرادت أم موسى الانصراف الى منزلها امرت لها آسية بشئ
من الذهب ومن القماش الفاخر وغيره فلما صار لموسى عليه الصلاة والسلام ثلاث سنين دعاه
فرعون وأقعده في حجره وجعل يلاعبه فقبض موسى على لحية فرعون ونتف منها شعرا كثيرا
ثم لطمه لطمة فقال فرعون هذا المولود الذي أخافه وهم بقتله فجاءته آسية وقالت له ان
الصبيان لهم جراءة ولعب من غير عقل وأمرت بطشت فيه جمرة ودينار فمد موسى يده الى الجمرة
وجعلها في فيه فأحرقته فقالت له لو كان يعقل لما كان يؤثر الجمرة على الدينار فعند ذلك سكن
غضبه ولما تم لموسى سبع سنين قربه فرعون وهو قاعد معه فغضب موسى ونزل عن السرير
وضرب قوائمه برجله فتكسر السرير فسقط فرعون عن السرير وسال الدم من أنفه فغضب

فرعون

فرعون فقالت آسية ألا يسرك أن يكون لك ولد بهذه القوة يعينك على هؤلاء الجنود فسكن
غضبه فلما بلغ موسى ثلاثين سنة فاذا هو برجلين يقتتلان وذلك أن طباخا لفرعون أمر فتى من
بني اسرائيل يحمل معه الحطب الى دار فرعون وخاف أن ينفلت منه فلم يقدر عليه حتى استجار
بموسى فقال موسى للطباخ اتركه ياقبطي فقال لا أتركه فوكزه موسى في صدره فمات ومضى
الفتى فندم موسى وأخبر فرعون بفعل موسى فلم يصدق فلما كان من الغد خرج موسى خائفا
يترقب فاذا الذي الى آخر الآية فدخل قبطي على فرعون وأخبره بقتل موسى للرجل بالامس
فارسل فرعون في طلب موسى وأذن لاولياء القتيل أن يقتلوه حيثما وجدوه فسمع حزقيل
وهو رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه فاقبل الى موسى وقال له ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك
فاخرج اني لك من الناصحين فخرج موسى نحو أرض مدين فلم يزل يسير حتى سار الى اهل مدين وبه
جهد من الجوع والعطش واذا بجماعة يسقون من بئر لاغنامهم بدلو عظيم يجره جماعة منهم
واذا بامرأتين تذودان غنمهما عن غنم الرعاة فسكت موسى حتى فرغوا من سقي أغنامهم
وأطبقوا الحجر على البئر وانصرفوا ثم قال موسى للمرأتين قربا أغنامكما الى الحوض ثم تقدم
وضرب الحجر برجله فبعد أربعين ذراعا مع ضعفه من الجوع وسقى أغنامهما فتمنى موسى في ذلك
الوقت شبعة من خبز الشعير فانصرفا الى أبيهما وأخبراه بما كان فقال لاحداهما اذهبي فأتي به
فاقبلت الى موسى وهي شديدة الحياء وقالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام موسى
وهي تمر بين يديه فكشف الريح عن ساقيها فقال لها موسى تأخري فتأخرت ودلته على الطريق
حتى دخل على شعيب وهو يومئذ شيخ كبير فلما قص عليه القصص دعا له شعيب بالطعام فأكل
وقالت ابنته ياابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين فرغب فيه وقال اني أريد أن
أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فرضي موسى فجمع شعيب المؤمنين
وزوجه ابنته والتمس موسى عصا فقال شعيب ادخل البيت وخذ عصا وكان فيها عصي كثيرة
فدخل موسى ونظر الى عصي الانبياء فأخذ من جملتها عصا حمراء فقال شعيب ياموسى هذه من
أشجار الجنة أهداها الله الى آدم فلا تخرجها من يدك واني موصيك ان أهل مدين قوم
حساد فلا تقبل قولهم وان ههنا واديا كثير الخير وفيه حية عظيمة فان دلوك على هذا الوادي
فلا تدخل فيه فخرج موسى بغنم شعيب وهم يومئذ أربعون رأسا فعمد موسى الى الوادي
الذي فيه الحية فاقبلت تلك الحية على الغنم فأخذ موسى عصاه وضربها ضربة فقتلها ثم رجع
الى شعيب فاخبره بذلك ففرح وأحبه أهل مدين محبة عظيمة ولم تزل تزيد غنم شعيب حتى بلغت
أربعمائة رأس ثم عزم موسى على الخروج فقال ياشعيب قد طالت غيبتي عن أمي وخالتي وأخي
هرون فانهم في مملكة فرعون فبادر الى موسى وتعانقا ثم أقبل على ابنته وقال لها لاتخالفيه
فنعم الصاحب لك وودعهما ودعا لهما وشيعهما مشايخ مدين ثم سار موسى بزوجته جادا في
السير حتى بلغ جانب الطور الايمن في ليلة شديدة البرد وجن الليل وهبت الرياح وغيمت
السماء فانزل موسى أهله عن الاتان وضرب خيمته على شفير الوادي وأدخل أهله فيها
وأمطرت السماء فأخذ أهله الطلق في ذلك الوقت فجمع الحطب ليوقد نارا فضرب الزند
بالحجر فلم يخرج نارا فغضب من ذلك وبقي متحيرا فاذا هو بنار تلمع على البعد فأسرع حتى

أتاها ولم تسكن نار افلما أتاها نودي ياموسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس
طوى اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من
لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى
يعنى فى النبوة والرسالة ثم تذكر موسى ما كان منه من قتل القبطى فقال رب انى قتلت
منهم نفسا فأخاف أن يقتلون فنودى ياموسى لا تخف انى لا يخاف لدى " المرسلون ثم قال
لهما اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا اننا نخاف أن
يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا اننى معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل
معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم أى بالبنيان ونقل الحجارة وكانت هذه المخاطبة لموسى وحده
والرسالة له ولاخيه هرون وفى ذلك الوقت أى وقت مخاطبة الرب لموسى قد اشتد بامرأته شعيب
الطلق فسمع أنينها سكان الوادى من الجن فحضروا عندها وأوقدوا لها نارا وعالجوها حتى ولدت
ثم قيض الله لها راعيا من أرض مدين فعرفها وحملها وأتى بها الى والدها شعيب فلم تزل
عنده حتى فرغ موسى من أمر فرعون وعاد الى بلاد التيه فبلغ ذلك شعيبا فرد اليه امرأته
فلما خاطب الله موسى بالرسالة الى فرعون سار حتى أتى الى بلاد مصر فأوحى الله الى هرون
بقدوم موسى وهو يومئذ وزير من وزراء فرعون لا يفارقه ليلا ولا نهارا على مرتبة أبيه عمران
ثم ان الله تعالى اذن لهما بالالتقاء فالتقيا وتعانقا وبشره بالشركة فى الرسالة ثم انهما أقبلا
يريدان أمهما وجبريل معهما وهرون خائف يقول اخفض صوتك ياموسى فقال موسى
ذهب الباطل وجاء الحق فلا أخاف من فرعون ولا جنوده فان الله تعالى قال لى اننى معكما أسمع
وأرى وأقبلا حتى أتيا باب أمهما فقال هرون ان أمى لا تعرف قرعك فقرع هرون الباب
وكانت تصلى فأنكرت القرع لانه كان فى الليل فى غير وقته ثم قالت هو قرع ابنى هرون
فقامت من محرابها وقالت من هذا فلم يقل لك موسى حين سمع صوتها حتى قال ولدك موسى
وهرون ففتحت الباب فلما نظرت اليهما صاحت صيحة عظيمة فغشى عليها وبقيت شاخصة
فقال جبريل انها لا تفيق الا بدموعك ياموسى فوضع موسى وجهه على وجهها ولم يزل يبكى رحمة
لها حتى أفاقت فدخلوا الدار وذكر لها موسى كيف خرج الى مدين وكيف رعى الغنم لشعيب
وكيف تزوج بابنته وكيف خرج من هذا الـ وكيف صيره الله رسولا وكيف سأل ربه الشركة
لاخيه هرون فى الرسالة فخرت ساجدة شكر الله وأقام موسى بقية ليلته عند أمه فلما كان من
الغد خرج متنكرا فجعل ينظر الى ما أحدثه فرعون من البنيان بأرض مصر ثم رجع الى أمه
حين أقبلت الليلة الثانية فلما انتصف الليل خرج الى فرعون حتى صار الى بابه فنظر الى
الحجاب والجنود فوجدهم نياما ما فيهم من يرفع رأسه فتقدم موسى فقرع باب فرعون بعصاه فانفتح
فدخل القصر وله عدة أبواب وصار موسى يقرع كل باب قرعة بعصاه ويقول بسم الله الفتاح
العليم حتى دخل الدار ولم يزل يتقدم حتى صار الى المحل الذى فيه فرعون فاذا بفرعون نائم
وهرون جالس على رأسه فلما رآه قام اليه وأخرجه من القبة وقال له يا أخى قد تعجلت فانصرف
الآن فانصرف موسى وانغلقت الابواب فرجع موسى وأخبر أمه بجميع ما كان فلما كان من
الغد سار موسى الى باب فرعون فوقف عليه والقوم ينظرون اليه فمنهم من عرفه ومنهم من

قوله لا تخف الخ هذا [illegible] لموسى عن الخوف من انقلاب العصا حية اه

أنكره فلم يزل كذلك حتى دخل عليه وزير من وزرائه فقال أيها الملك اني رأيت اليوم على بابك رجلا أنكرته فسألت عنه فقيل لي هذا موسى بن عمران فتغير وجه فرعون ثم قال لذلك الوزير وما صفته قال رجل طويل تام أسمر حسن الوجه كث اللحية عليه جبة من صوف وفي يده عصا حمراء فأقبل فرعون على هامان وقال ياهامان ألك معرفة به فقال لا فخرج هامان اليه وسأله عن اسمه وحسبه فعرفه ولم ينكره فقال لاعوانه خذوا هذا واحبسوه حتى يأتيكم أمر الملك فسجن وأخبر فرعون أنه موسى وانه أمر بحبسه فالتفت فرعون الى هرون وقال له أخوك موسى قد قدم من أرض مدين ولم تخبرني به فقال أيها الملك أردت أن أخبرك به فخفت أن تغضب والآن هو في حبسك وتحت حكمك فأحمله بين يديك فدعا فرعون بالفراش بين قصره ومحله الذي هو فيه وهو سرير من ذهب بقوائم من الفضة يصعد اليه بالمرقاة فلما فرغ من زينته أرسل الى موسى فأحضره فلما أتى به خافت عليه بنو اسرائيل ولم يشكوا في قتله له فلما جاء الى باب فرعون قال اللهم اني أعوذ بك من شره فانك على كل شئ قدير ثم دخل ووقف بين يديه فعرفه فرعون حق المعرفة ولكن قال له من أنت فقال له موسى أنا عبد الله ورسوله وكليمه فقال له فرعون انك عبد فرعون فقال موسى الله أعز من أن يكون له ند فقال له فرعون ولأى شئ جئت فقال أرسلني ربي اليك والى جميع أهل مصر فقال فرعون فيم أرسلت فقال له موسى بقول لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن موسى عبده ورسوله فقال فرعون لموسى ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك يعني قتله القبطي فقال موسى فعلتها اذا وأنا من الضالين عن النبوة ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين اليك يافرعون وقال له تذكر يافرعون احسانك وتدع اساءتك لبني اسرائيل وهم عبيد لرب العالمين وكان فرعون متكئا فاستوى جالسا فقال وما رب العالمين الى قوله قال أي موسى أولو جئتك بشئ مبين قال فرعون فائت به ان كنت من الصادقين فاضطربت العصا في كف موسى عليه الصلاة والسلام وقال جبريل ألقها يانبي الله فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين قيل تمثلت مثل الجمل البختي ثم قام ذلك الثعبان الذي هو صورة العصا على رجليه حتى أشرف برأسه على حيطان قصر فرعون ثم رفع القصر على يده وتنفس في البيوت والخزائن فاشتعلت نارا وصارت رمادا وجعلت تلك العصا لاتمر بشئ الا ابتلعته ثم تهيج كهيجان الجمل ولها صوت كصوت الرعد القاصف وآسية تنظر وهي متعجبة ثم أقبلت الحية الى القبة التي فيها فرعون فوضعت لحيها الاسفل تحت القبة ولحيها الاعلى فوق القبة ثم رفعت القبة في الهواء ثمانين ذراعا ثم قالت يافرعون وعزة ربي لئن أذن لي لابتلعنك مع قصرك فوثب فرعون عن سريره وكان به عرج فجعل يعدو ويدمر جته ويقول ياموسى بحق التربية وبحق الرضاع وبحق آسية فلما سمع موسى يذكر آسية صاح بالحية فأقبلت نحوه فأدخل يده في فيها وقبض على لسانها فاذا هي عصا كما كانت فلما انظر فرعون ذلك رجع الى موضعه وقال ياموسى تعلمت سحرا عظيما فقال يافرعون أسحر هذا ولا يفلح الساحرون فبعث فرعون في المدائن حاشرين للسحرة فاجتمع اليه سبعون ألف ساحر فاختار أحذقهم ثم بعث الى موسى وقال له اجعل بيننا وبينك موعدا لانخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى هذا الموضع فقال موسى موعدكم يوم الزينة وهو أول يوم من

السنة كانوا يخرجون فيه الى ظاهر البلد فلما كان ذلك اليوم اجتمع الناس من أطراف مصر واجتمعت السحرة فقال لهم فرعون اجتهدوا والأحسن أن تغلبوا موسى فقالوا ان لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال لهم نعم وانكم اذا لمن المقربين أى الجالسين لى واجتمع الناس فى صعيد واحد صفوفا لينظروا الى الغالب منهم وخرج فرعون الى ذلك الوادى وفرش فيه من الفرش شيأ كثيرا ونصبت له الاسرة والكراسى وكان موسى فى منزله فأرسل اليه فأقبل ومعه أخوه هرون فقال لهم موسى أيها السحرة لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فقالوا ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى فقال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وسحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم قال الله تعالى فأوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الأعلى وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا الآية فألقى موسى عصاه فى وسط الوادى فصارت ثعبانا لها سبعة رؤس فابتلعت حبالهم وعصيهم جميعا ثم ابتلعت جميع ما فى الوادى من الزينة التى أخرجها فرعون فوثب فرعون ووزراؤه فوقفوا على تل ينظرون ثم حملت الحية على السحرة فولوا هاربين ثم اجتمعوا فى موضع وقالوا ما هذا سحر ثم خروا جميعهم سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون الى قوله والله خير وأبقى ثم قال فرعون لهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى فجمع هامان خمسين بناء وصانعا فقوم يطبخون الآجر وآخرون ينقلون الجص الى غير ذلك فبنوا الليل ونهارا حتى ارتفع الصرح فى الهواء ارتفاعا ما انتهى اليه أحد فاشتد ذلك على موسى وهرون فأوحى الله اليهما لا تعجلا ثم أمر الله عز وجل جبريل عليه السلام فهدم الصرح وجعل أعلاه أسفله ومات كل من كان فيه من الجملة الذين كانوا على دين فرعون وجعل المؤمنون يزيدون مع موسى عليه السلام حتى كثروا ثم ان جبريل عليه السلام أتى الى فرعون فى صورة آدمى حسن الوجه واللباس فوقف بين يديه فقال له فرعون من أنت فقال أنا عبد من عبيد الملك جئتك مستفتيا على عبد من عبيدى مكنته من نعمتى وأحسنت اليه كثيرا وجحد حقى وتسمى باسمى فما جزاؤه عندك قال جزاؤه عندى أن يغرق فى هذا البحر كلمة أجراها الله على لسانه قال فأسألك أن تكتب لى خطا بذلك فأعطاه خطه بذلك فأخذه جبريل عليه السلام وعرج به من عنده والصحيفة معه حتى صار الى موسى وأطلعه عليها فقال جبريل لموسى ان الله يأمرك أن ترحل مع قومك فنادى موسى فى بنى اسرائيل بالرحيل فارتحلوا وهم ستمائة ألف والكل من ولد يعقوب فسمع فرعون بارتحالهم فنادى فرعون بجنوده فاجتمعوا وكانوا لا يحصون عددا لكثرتهم واعتقد فرعون أن موسى خرج هاربا منه فسار فرعون وجنوده خلف موسى حتى قربوا من بنى اسرائيل فقالوا ياموسى قد لحقنا فرعون فقال موسى كلا ان معى ربى سيهدين فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضرب فانفلق اثنى عشر طريقا للاسباط الاثنى عشر لكل سبط طريق فجعلوا يسيرون فى البحر ويتحدثون ويرى بعضهم بعضا وموسى أمامهم وهارون وراءهم حتى خلصوا من البحر فجاء فرعون وحوله وزراؤه فنظر الى البحر يابسا فحدثته فى نفسه أن يدخل فى تلك الطريق قبل الاختلاط ليجد أن يلحق موسى فهبط جبريل على فرسه فى صورة آدمى فقال أيها الملك ما يمنعك من العبور وتقدم بجنبه فاشتم مهر

فرعون رائحة فرس جبريل فتبعها وتبعته جنوده وجعل جبريل يقول أيها الملك لا تعجل وميكائيل يسوق الناس حتى لم يبق من جنود فرعون أحد فأخرج جبريل الصحيفة وقال أيها الملك أتعرف هذه الصحيفة فلما فتحها علم أنه هالك ثم أخذت الطريق تلتطم بعضها بعضا والناس يغرقون وفرعون ناظر اليهم فلما استيقن الموت قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين فقال له جبريل الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين قال تعالى فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ثم ان بنى اسرائيل قال بعضهم لبعض ان فرعون لم يغرق فأمر الله تعالى البحر فألقاه الى الساحل ليراه بنو اسرائيل فلما رأوه عرفوا أنه قد غرق وهلك فسبحان الملك الجبار الذى يمهل على الطغاة ولا يهملهم بل يأخذهم أخذ عزيز مقتدر * ولنرجع الى قول الناظم ومن رفع الاهرام أى بناها فنقول هو رجل من جبابرة العمالقة يقال له سنان بن المشلشل بنى الاهرام الموجودة باقليم الجيزة باستعانة جماعة من العمالقة وأحكم بناءها وجدرانها وأعدها لخزن الغلال وهى باقية الى يومنا هذا هكذا قيل وقيل ان البانى لها ملك من ملوك مصر يقال له سوريد قبل الطوفان وسبب ذلك أن الملك المذكور قد رأى فى منامه كأن الارض قد انقلبت باهلها وكأن الكواكب قد تساقطت وسار يضرب بعضها بعضا بأصوات هائلة فأغمه ذلك ولم يذكره لاحد وعلم أنه سيحدث فى العالم أمر عظيم ثم رأى بعد ذلك بايام كأن الكواكب نزلت الى الارض فى صورة طيور بيض وكأنها تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين وكأن الجبلين انطبقا عليهم وكأن الكواكب النيرة صارت مظلمة مكسوفة فانتبه مذعورا فلما أصبح جمع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر وكانوا مائة وثلاثين كاهنا فخلا بهم وحكى لهم ما رآه أولا وآخرا فأولوه بامر عظيم فقال الملك خذوا الارتفاع للكواكب وانظروا هل من حادثة فبالغوا فى استقصاء ذلك وأخبروا بأمر الطوفان فقال الملك انظروا هل تلحق هذه الآفة بلادنا قالوا نعم يأتى الطوفان عليها وتخرب مدة سنين قال فانظروا هل تعود عامرة كما كانت أو تبقى مغمورة بالماء فقالوا بل تعود البلاد كما كانت وتعمر فأمر عند ذلك بعمل الاهرام وشرع فى بنائها وجعل ارتفاع باب كل واحد من الاهرام فى الهواء مائة ذراع بذراعهم وهو خمسمائة ذراع بذراعنا الآن فلما فرغت كساها ديباجا ملونا من فوقها الى أسفلها وعمل لها عيدا حضره أهل مملكته باجمعهم ثم عمل فى الهرم الغربى ثلاثين مخزنا من حجارة صوان ملون وملئت بالاموال الجمة والآلات والتماثيل المعمولة من أنواع الجواهر النفيسة والسلاح الذى لا يوصف والزجاج الذى ينطوى ولا ينكسر وذكر القبط فى كتبهم أن عليها كتابة منقوشة تفسيرها أنا سوريد الملك بنيت هذه الاهرام وأتممت بناءها فى ستين سنة فمن أتى بعدى وزعم أنه ملك مثلى فليهدمها فى ستمائة سنة وقد كسوتها الديباج عند فراغها فليكسها الحصر فنظروا فوجدوا أنه لا يقوم بهدمها شئ من الازمان الطوال ولما مات سوريد دفن فى الاهرام ومعه ما جمع من أمواله وكنوزه ووكل بها روحانيات تحفظها ممن يقصدها وقال بعض الحكماء ليس شئ لا يخشى عليه من الدهر الا الاهرام فان الدهر يخاف منها * وقد نظم ذلك عمارة اليمنى وأجاد وقال

خليلى ما تحت السماء بنية * تماثل فى اتقانها هرمى مصر

بناء يخاف الدهر منه وكل ما * على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
تنزه طرفي في بديع بنائها * ولم يتنزه في المراد بها فكري

ولله در القائل

انظر الى الهرمين واسمع منهما * مايرويان عن الزمان الغابر
لو ينطقان لخبرانا بالذي * فعل الزمان بأول وبآخر

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿أين من شادوا وسادوا وبنوا * هلك الكل فلم تغن القلل﴾

الاولى بالشين المعجمة اى بنوا بيوتهم بالشيد والثانية بالسين المهملة أى سادوا أقرانهم ونظراءهم بما اعطاهم الله من القوة والبأس والعتو وفى نسخة بدل الثانية جادوا أى تكرموا قال في المصباح جاد الرجل يجود من باب نال جودا بالضم تكرم فهو جواد أى كريم وجاد بالمال بذله وأعطاه انتهى * وقال في المصباح أيضا الشيد بالكسر الجص وشدت البيت أشيده من باب باع بنيته بالشيد فهو مشيد وشيدته تشييدا طولته ورفعته انتهى * وقوله وبنوا بفتح النون وسكون الواو أى دورا من خرفة يحتمل أن الناظم رحمه الله تعالى أراد بذلك ثمود قوم صالح فقد ذكرهم بعد عاد كما هو الغالب في ترتيب القران العظيم فهم الذين بنوا الارض واتخذوا من سهولها قصورا ونحتوا من الجبال بيوتا بقوتهم وكثرتهم استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا فاهلكوا بالطاغية واخذتهم الصيحة كما قال تعالى فأصبحوا في ديارهم جاثمين ويحتمل أنه أراد غيرهم من مطلق الناس فيكون شاملا لكل من شاد وساد وبنى وقوله هلك الكل أى الجميع من نمروذ ومابعده ولم تغن القلل بضم القاف أى القصور العالية قال في المصباح قلة الجبل أعلاه والجمع قلل وقلال وقلة كل شئ أعلاه اه ولله در الملاح حيث قال في تخميسه

أين من من روضة الفضل جنوا * أين من من بهجة العلم دنوا * أين من حازوا المعالى واقتنوا
أين من شادوا وسادوا وبنوا * هلك الكل فلم تغن القلل

واعلم أنه قد جرت عادة الله في خلقه أنه لا يمضى قرن من القرون الا وتموت أهله وتبطل معالمه وتندرس رسومه كل ذلك اظهارا للقدرته وتحقيقا لعجز الخالق وقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز في آيات كثيرة بهلاك الامم الماضية قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل وعالما بعد عالم قال تعالى وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد والآيات في هلاك القرون السابقة كثيرة جدا فكفى بالقرآن واعظا * قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿أين أرباب الحجا أهل النهى * أين أهل العلم والقوم الاول﴾

هذا شروع من الناظم في ذكر موت الصالحين بعد أن ذكر هلاك الجبابرة فالدنيا ليست دار اقامة لا لصالح ولا لطالح كما هو مشاهد أى أين اصحاب الحجا بالكسر والقصر أى العقل ويسمى العقل أيضا نهية على وزن غرفة وجمعها نهى كما في قوله تعالى ان في ذلك لآيات لاولى النهى أى لاصحاب العقول ويسمى أيضا لبا وجمعه ألباب كما في قوله تعالى ان في ذلك لعبرة لاولى الالباب ويسمى أيضا قلبا كما في قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى عقل قال بعضهم وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى فليس شئ أفضل من العقل ولذلك كان نبينا عليه

أفضل الصلاة والسلام أعقل الناس وقوله اهل النهى بالرفع بدل من أرباب الحجا لان النهى جمع نهية والنهية هي العقل كما تقدم فهي مرادفة للحجا وقوله أين أهل العلم كالائمة الاربعة المجتهدين وأتباعهم المتقدمين وقوله والقوم بالرفع عطف على أهل أى وأين القوم الاول بضم الهمزة وفتح الواو جمع أول كالصحابة والتابعين أى فالكل قد حكم الله عليهم بالموت قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل فسبحان الباقي بعد فناء خلقه * قال الناظم رحمه الله تعالى

﴿سيعيد الله كلا منهم * وسيجزى فاعلا ما قد فعل﴾

أى سيجمع الله نمروذ وكنعان ومن ذكرهما الناظم بعدهما ويجمع غيرهم أيضا من جميع الحيوانات ويجازى كل فاعل بما فعله من خير وشر وفى كلامه اشارة الى أن الله سبحانه وتعالى يجمع الخلق بعد الموت من التراب والخزف واللبن ومن أجواف السمك والسباع والطيور والهوام كيف كانوا وان الله تعالى يفيئهم من الارض نباتا كما بدأهم أول مرة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ويجمعهم فى صعيد واحد ويحاسبهم على القتيل والنقير والقطمير وغير ذلك قال تعالى ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون وقال تعالى انه يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون وقوله تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وقال تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين وقال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * وقال صلى الله عليه وسلم الناس مجزيون بأعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر والآيات والاحاديث الدالة على اثبات البعث كثيرة شهيرة وقد ذكر مولانا وشيخنا سيدى احمد السحاعى فى رسالة سماها القول الازهر فيما يتعلق بأرض المحشر ما نصه وقع السؤال عن الارض فى يوم المحشر من أى شئ تكون هى وهل تبدل جميعها أو البعض وما المراد بقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وما مكان حشر الناس الجواب أنه ذكر المفسرون فى معنى هذا التبديل قولين أحدهما أنه تبدل صفة الارض والسماء لا ذاتهما فاما تبديل الارض فتتغير صفتها وهيئتها مع بقاء ذاتها وهو أن تدك جبالها ويستوى منخفضها ومرتفعها وتذهب أشجارها وجميع ما عليها من العمارات ولا يبقى على وجهها شئ الا ذهب وأما تبديل السماء فهو أن تنتثر كواكبها وتطمس شمسها وقمرها ويكوران وتكون تارة كالدهان كما قال تعالى فكانت وردة كالدهان أى صارت حمراء كالاديم وتارة كالمهل كما قال تعالى يوم تكون السماء كالمهل أى النحاس المذاب ويدل على صحة هذا القول ما روى عن سهل ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيها معلم لاحد قال فى تفسير الخازن العفراء بالعين المهملة وهى البيضاء الى حمرة ولهذا شبهها بقرصة النقى وهو الخبز الابيض المائل الى حمرة والنقى بفتح النون وكسر القاف الدقيق الذى نقى من الشعير والنخالة وقوله ليس فيها معلم لاحد بفتح الميم واللام بينهما مهملة ساكنة الشئ الذى يستدل به على الطريق يريد أنها مستوية ليس فيها حدب يرد البصر ولا بناء يستر ما وراءه اه والحدب ما ارتفع من الارض وثانيهما أن تبدل ذات الارض والسماء ثم اختلف أصحاب هذا القول فى معنى هذا التبديل فقال ابن مسعود فى معنى الآية تبدل الارض بأرض كالفضة البيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم تعمل عليها خطيئة *

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه تبدل الارض من فضة والسماء من ذهب * وقال
أبو هريرة وسعيد بن جبير تبدل الارض من خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه
قال ابن حجر ويستفاد منه أن المؤمنين لا يعاقبون بالجوع في طول زمان الموقف بل يقلب
بقدرته طبع الارض حتى يأكلوا منها من تحت أقدامهم ماشاء الله بغير علاج ولا كلفة
وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال تصير الارض كلها نارا يوم القيامة * وعن كعب الاحبار
رضي الله عنه أنه قال يصير مكان البحر نارا وعن كعب الاحبار رضي الله عنه أنه قال تصير
الارض والجبال غبرة على وجوه الكفار لا على وجوه المؤمنين * وعن ابن عباس في تفسير قوله
تعالى واذا البحار سجرت قال تسجر حتى تصير نارا (واعلم) أنه لا تنافي بين أحاديث مصيرها
خبزة وغبرة ونارا بل يجمع بأن بعضها يصير خبزة وبعضها غبرة وهي أرض البحر خاصة بدليل
ما تقدم وفي تفسير الخازن فان قلت اذا فسرت التبديل بما ذكرت فكيف يمكن الجمع بينه وبين
قوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها وهو أن تحدث بكل ما عمل عليها قلت وجه الجمع أن الارض
تبدل أولا صفتها مع بقاء ذاتها كما تقدم وفيها القبور والبشر على ظهرها وفي بطنها فحينئذ
تحدث أخبارها ثم بعد ذلك تبدل فذلك تبديل ثان وهو أن تبدل ذاتها بغيرها كما تقدم أيضا أي
وذلك اذا وقفوا في المحشر فتبدل لهم الارض التي يقال لها الساهرة يحاسبون عليها وهي
أرض عفراء بيضاء من فضة لم يسفك فيها دم ولم تعمل عليها معصية وحينئذ يقوم الناس على
الصراط وهو لا يسع جميع الخلق فيقوم من فضل على متن جهنم وهي كاهالة جامدة والاهالة
بالكسر الودك المذاب وهي الارض التي قال عبد الله انها أرض من نار فاذا جاوزوا الصراط
ودخل أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة من وراء الصراط وقاموا على حياض الانبياء
يشربون بدلت الارض كقرصة النقي فأكلوا من تحت أرجلهم وعند ذهابهم الى الجنة كانت
خبزة واحدة أي قرصا واحدا يأكل منه جميع الخلق ممن دخل الجنة وأدمهم زيادة كبد
الحوت قاله الجلال السيوطي في البدور السافرة ويدل على صحة هذا التأويل ما أخرجه الامام
أحمد عن أبي أيوب قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم حبر من اليهود فقال أرأيت اذ يقول الله يوم
تبدل الارض غير الارض فأين الخلق عند ذلك قال أضياف الله لن يعجزهم ما لديهم والمبدل
هو الارض جميعها كما يؤخذ ذلك من عدة أحاديث منها ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوي السموات بيمينه ثم يقول
أنا الملك أين ملوك الارض * ومنها ما أخرجه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك
أنا الجبار أين المتكبرون ثم يطوي الارضين ثم يأخذهن بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون
أين المتكبرون قال القاضي عياض القبض والطي والاخذ كلها بمعنى الجمع ثم يرجع ذلك الى
معنى الرفع والازالة والتبديل فعاد ذلك الى ضم بعضها الى بعض وابادتها وقال القرطبي المراد
بالطي هنا الاذهاب والافناء يقال قد انطوى عنا ما كان فيه وجاءنا غيره أي مضى وذهب
* وأما اليد واليمين والشمال فهو من باب أحاديث الصفات التي لا يعتقد ظاهرها والناس
فيها على قسمين فبعضهم وهم السلف يعتقدون ورودها ويعلمون استحالة ظاهرها ويكلون

أمرها الى الله وبعضهم وهم الخلف يعتقدون ورودها ويعتقدون تنزيه الله تعالى عن ظاهرها ويؤولون تأويلا موافقا كتأويل اليمين بقبضة الرحمة والشمال بقبضة النقمة اه ﴿فائدة﴾ أخرج الطبراني في الاوسط وابن عدي بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تذهب الارضون كلها يوم القيامة الا المساجد فانه ينضم بعضها الى بعض اه ومكان الحشر الشام كما ذكره الجلال السيوطي في البدور السافرة وذلك أخرج البزار والطبراني بسند حسن عن سمرة بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لنا انكم تحشرون الى بيت المقدس ثم تجتمعون * وأخرج أبو نعيم في الحلية عن وهب بن منبه قال يقول الله لصخرة بيت المقدس لاضعن عليك عرشي ولأحشرن اليك خلقي وليأتينك داود يومئذ راكبا (واعلم) أن الارض المبدلة لا تسمى بعد التبديل شيأ تاما الا باعتبار ما كان * وقد نظم سيدي أحمد السجاعي رحمه الله تعالى السؤال المتقدم فقال

ألا أيها الأحبار ما أرض حشرنا * وما مقصد التنزيل أن تتبدلا
وأي مكان فيه حشر لجسمنا * أجيبوا وأتوا بالنصوص ذوي العلا

وأجاب رحمه الله تعالى بقوله

لربي حمد مع صلاة لحبه * وصحب كذا والتابعين من الملا
فل ارض سماء يوم حشر تبدلا * بورق وقيل التال عسجد ابدلا
فيأكل ذو الايمان من تحت أرجل * لكيلا يذوق الجوع منه تفضلا
وليس مناف للتبدل أكلهم * فتشبيهها المقصود اذ خبز تجعلا
وقيل بنار تبدلا وغبرة ولا * تنافي اذا البعض المراد فحصلا
وناحية للشام محشرنا أتى * في الاخبار عن هاد شفيع مجملا
وأحمد راج القبول بجاهه * عليه صلاة مع مصل ومن تلا

وقوله بورق أي بفضة مضروبة أي في البياض والمقاورة وقوله وقيل التال وهو السماء أبدلت عسجدا أي ذهبا وقوله وليس مناف المقصود من هذا البيت بيان أن اكلهم لا ينافي ابدالها لانها كالفضة في نقاوتها وبياضها والا فهي خبزة وقوله ولا تنافي اذا البعض المراد فحصلا هذا جواب عن سؤال وهو أنه تقدم أن المؤمن يأكل منها وأنها كالفضة البيضاء فكيف يقال انها تبدل نارا وغبرة وحاصل الجواب أن المراد به أن بعضها يبدل بذلك لا جميعها فلا تنافي اه قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿أي بني اسمع وصايا جمعت * حكما خصت بها خير الملل﴾

لفظة أي للنداء فأي من أدوات النداء مثل يا وبني منادى يحتمل أن يكون ابنه من النسب حقيقة والخطاب له ويحتمل أن يكون الخطاب لغيره مطلقا على سبيل العموم وعلى وجه النصيحة ويكون النداء له على حد نداء النكرة غير المقصودة كقول الواعظ يا غافلا والموت يطلبه وقول الأعمى يا رجلا خذ بيدي والوصايا جمع وصية والمراد بها هنا نشر العلم ونفع المسلمين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والدلالة على الخير وغير ذلك والحكم جمع حكمة والمراد بها العلم المقرون بالعمل وقيل هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره

وحلاله وحرامه وأمثاله وقيل هي الامانة في القول والفعل وقيل هي معرفة معاني الاشياء
وفهمها وقيل هي النبوة وقيل غير ذلك قال تعالى يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا والملل جمع ملة وخيرها ملة الاسلام قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وقد
فضل الله تعالى هذه الامة على سائر الامم قال الله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . قال تعالى حديثا قدسيا وجعلت أمتك
وسطا وجعلت أمتك هم الاولون والآخرون وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم الى آخر
ما من الله به عليه وعلى أمته في ليلة المعراج * وفي كتاب طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب
قال وهب بن منبه لما قرأ موسى عليه السلام الالواح ووجد فيها فضيلة أمة محمد صلى الله عليه
وسلم قال يارب من هذه الامة المرحومة التي أجدها في الالواح قال هي أمة محمد صلى الله عليه
وسلم يرضون مني باليسير أعطيهم اياه وأرضى منهم باليسير من العمل أدخلهم الجنة بشهادة أن
لا اله الا الله قال يارب فاني أجد في الالواح أمة يحشرون يوم القيامة ووجوههم على صورة القمر
ليلة البدر فاجعلهم أمتي فقال هي أمة محمد احشرهم يوم القيامة غرا محجلين قال يارب اني أجد
في الالواح أمة يطلبون الجهاد بكل أرض حتى يقاتلوا الاعور الدجال فاجعلهم أمتي قال هي أمة
محمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة يصلون في اليوم والليلة خمس صلوات في خمس ساعات من
النهار والليل وتفتح لهم أبواب السماء وتنزل عليهم الملائكة فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد
قال يارب اني أجد في الالواح أمة الارض لهم مسجد وطهور وتحل لهم الغنائم فاجعلهم أمتي قال
هي أمة محمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة يصومون لك شهر رمضان فيغفر لهم ما كان قبل
ذلك فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة يحجون لك البيت الحرام
يعجون بالبكاء عجيجا ويضجون ضجيجا فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال فما تعطيهم على ذلك
قال المغفرة وأشفعهم فيمن وراءهم قال يارب اني أجد في الالواح أمة يرفع احدهم اللقمة الى فيه
ويقذفها باسمك ويختمها بحمدك فلا تستقر في جوفه حتى يغفر له فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد
قال يارب اني أجد في الالواح أمة هم السابقون يوم القيامة وهم الآخرون من الخلق فاجعلهم
أمتي قال تلك أمة أحمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤنها فاجعلهم
أمتي قال تلك أمة أحمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة اذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت
له حسنة واحدة وان عملها كتبت له عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف فاجعلهم أمتي قال تلك
أمة محمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة اذا هم أحدهم بسيئة ثم لم يعملها لم تكتب عليه وان
عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم أمتي قال تلك امة أحمد قال يارب اني أجد في الالواح
أمة هم خير الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أمتي قال هي أمة أحمد قال
يارب اني أجد في الالواح أمة يحشرون يوم القيامة على ثلاثة ثلل ثلة يدخلون الجنة بغير حساب
وثلة يحاسبون حسابا يسيرا وثلة يمحصون ثم يدخلون الجنة فاجعلهم أمتي قال تلك امة محمد قال
يارب بسطت هذا الخير لأحمد وأمته فاجعلني من أمته قال الله تعالى يا موسى اني اصطفيتك
على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وعن ابن عباس رضي الله

عنهما

عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لاصحابه ما تقولون في هذه الآية وما كنت بجانب
الطور اذ نادينا قالوا الله ورسوله أعلم فقال لما كلم الله موسى عليه السلام قال يارب هل في الامم
أكرم عليك من أمتي ظللت عليهم الغمام وأنزلت عليهم المن والسلوى فقال الله تعالى أما
علمت أن فضل أمة محمد على سائر الامم كفضلي على سائر خلقي قال موسى يارب أفأراهم قال لن
تراهم ولكن اذا أحببت أن تسمع كلامهم فعلت قال فاني أحب ذلك قال الله تعالى يا أمة محمد
فاجابوه كلهم بصيحة واحدة يقولون لبيك اللهم لبيك وهم في أصلاب آبائهم ثم قال الله تعالى
صلاتي عليكم ورحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عذابي واني قد غفرت لكم قبل أن تستغفروني
لمن لقيني منكم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله غفرت له ذنوبه فأراد الله أن يمن
علي بذلك فقال وما كنت بجانب الطور اذ نادينا أمتك وفي بعض كتب الله المنزلة أنا الله الذي
لا اله الا أنا وحدي لا شريك لي محمد المختار عبدي ورسولي أمته الحامدون رعاة الشمس فيهم
صلاة لو كانت في قوم نوح ما هلكوا بالطوفان ولو كانت في قوم عاد ما هلكوا بالريح ولو كانت
في قوم ثمود ما هلكوا بالصيحة اهـ قال في تنبيه الغافلين في الباب الرابع والسبعين ما نصه
قال كعب الاحبار ان الله تعالى أكرم هذه الامة بثلاثة أشياء قد أكرم بها الأنبياء أحدها أنه
جعل كل نبي شاهدا على قومه وجعل هذه الامة شهداء على الناس والثاني أنه قال للرسل
يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقال لهذه الامة كلوا من طيبات ما رزقناكم والثالث قال
لكل نبي دعوة مستجابة وقال لهذه الامة ادعوني أستجب لكم ويقال ان الله تعالى أكرم هذه
الامة بست كرامات أولها أنه خلقهم ضعفاء حتى لا يستكبروا وثانيها خلقهم صغارا في
أنفسهم حتى تكون مؤنة الطعام والثياب عليهم أقل * وثالثها جعل أعمارهم قصارا حتى
تكون ذنوبهم أقل ورابعها خلقهم فقراء حتى يكون حسابهم في الآخرة أقل وخامسها خلقهم
آخر الامم حتى يكون مقامهم في القبر أقل * وسادسها جعلهم آخر الامم لئلا يفتضحوا
بين الامم * وعن كعب الاحبار قال قرأت في بعض ما أنزل الله على موسى عليه السلام ياموسى
ركعتان يصليهما أحمد وأمته وهي صلاة الغداة يقول الله تعالى ما صلاهما أحد الا غفرت له
ما أصاب من الذنوب في يومه وليلته ويكون في ذمتي ياموسى أربع ركعات يصليهن أحمد وأمته
وهن الظهر أعطيهم بأول ركعة منها المغفرة وبالثانية أثقل موازينهم وبالثالثة أوكل عليهم
الملائكة يسبحون ويستغفرون لهم وبالرابعة أفتح لهم أبواب السماء وتشرف عليهم الحور
العين ياموسى أربع ركعات يصليهن أحمد وأمته وهي صلاة العصر فلا يبقى ملك في السموات
ولا في الارض الا استغفر لهم ومن استغفرت له الملائكة لم أعذبه أبدا ياموسى ثلاث ركعات
يصليهن أحمد وأمته وهي صلاة المغرب حين تغرب الشمس افتح لهم أبواب السماء فلا يسألوني
حاجة الا قضيتها لهم ياموسى أربع ركعات يصليهن أحمد وأمته وهي صلاة العتمة حين يغيب
الشفق خير لهم من الدنيا وما فيها ويخرجون من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم ياموسى اذا
توضأ أحمد وأمته كما أمرتهم أعطيتهم بكل قطرة تقطر من الماء جنة عرضها كعرض السماء
والارض ياموسى يصوم أحمد وأمته شهرا من كل سنة وهو شهر رمضان أعطيهم بصيام كل
يوم مدينة في الجنة وأعطيهم بكل خير يعملون فيه من التطوع أجر فريضة وأجعل فيه ليلة

القدر فمن استغفر منهم فيها مرة واحدة نادما صادقا من قلبه فان مات من ليلته أو شهره أعطيه أجر ثلاثين شهيدا اه واعلم أن الله تعالى اختار أمة محمد على الامم وخيار الامة علماؤها وأعلم هذه الامة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خيار كل قرن علماؤه اه قال الناظم رحمه الله تعالى

﴿اطلب العلم ولا تكسل لما * أبعد الخير على أهل الكسل﴾

أى اجتهد فى تحصيل العلم وطلبه وهو ادراك المعلوم على ما هو عليه فى الواقع أو هو حكم العقل الجازم المطابق للواقع فخرج بالاول الشك والوهم بناء على القول بانه لا حكم فيهما وخرج بقيد الجازم الظن وبقيد المطابق للواقع غيره فهو الجهل المركب وهو اعتقاد الشئ خلاف ما هو عليه فى الواقع كادراك الفلاسفة قدم العالم وسمى مركبا لتركبه من جهلين عدم العلم واعتقاد أنه عالم وقوله ولا تكسل أى لا تسأم أيها الطالب عن الاشتغال به لان آفة الكسل والسآمة قبيحة شنيعة كما قال الناظم فما أبعد الخير على أهل الكسل والخير اسم جامع لأنواع الفضائل فهو خلاف الشر ويرحم الله القائل

اطلب ولا تضجر من مطلب * فآفة الطالب أن يضجرا

ألم تر الحبل بتكراره * فى الصخرة الصماء قد أثرا

وقال بعضهم

العلم نور فلا تهمل مجالسه * واعمل جميلا يرى فالفضل فى العمل

لا ترقد الليل ما فى النوم فائدة * لا تكسلن ترى الحرمان فى الكسل

﴿تنبيه﴾ الامر فى قول الناظم اطلب للوجوب فطلب العلم واجب كما قال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة قال بعض العلماء أراد به علم التوحيد وعلم أحوال القلب وعلم الشريعة فأما علم التوحيد فهو أن يعرف الشخص أن له الها عالما قادرا مختارا مريدا متكلما سميعا بصيرا واحدا متصفا بصفات الكمال منزها عن النقصان والزوال ليس كمثله شئ وأن يعرف أن له ملائكة وهم عباده لا يعصونه فيما أمرهم به ويفعلون ما يأمرهم به لا يأكلون ولا يشربون وأن يعرف أن له كتبا منزلة وكلها منسوخة بالقرآن وأن يعرف أن له رسلا أرسلهم الى الخلق أولهم آدم عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وان شريعته باقية الى يوم القيامة وأن يعرف أن سؤال منكر ونكير حق والحشر والنشر حق والجنة والنار حق والحساب والميزان حق والصراط حق وأن يعرف أن القدر خيره وشره من الله تعالى لا يجرى شئ فى الوجود الا بارادته ومشيئته * وأما علم أحوال القلوب فهو أن يعرف الشخص أن للقلب أخلاقا محمودة فيفعلها وأخلاقا مذمومة فيتباعد عنها أما المحمودة فكالتوكل على الله تعالى والاخلاص له سبحانه وتعالى والحمد والشكر على النعم والتوبة من المعاصى والخوف والرجاء والزهد والصبر والمحبة والرضاء بالقضاء وذكر الموت وأما المذمومة فكالحرص على الطعام والشراب وكراهية الجوع مع أن فيه فوائد منها صفاء القلب ورقته وذل النفس وكسر الشهوات وزوال النوم المانع من العبادة وكالحرص على الكلام فيما لا يعنى لان للسان آفات كثيرة والغالب عليه منها الغيبة والكذب والمدح والمزاح كالغضب والحسد والبخل وحب الجاه وحب الدنيا والكبر والعجب والرياء وغير ذلك من أمراض القلوب * وأما علم

الشريعة فكل ما يتعين عليك فعله فالواجب عليك معرفته لتؤديه على حقيقته كالطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من أنواع العبادات والمعاملات والمناكحات وأفضل العبادات البدنية الصلاة لأن العبادات اما قلبية كالايمان والتفكر والتوكل والصبر والورع والزهد ونحوها واما بدنية كالاسلام والصلاة والصوم والحج والقلبية أفضل من البدنية وأفضل القلبية الايمان ولا يكون الا واجبا وقد يكون تطوعا بالتجديد وأفضل البدنية الصلاة كما تقدم لانه اجتمع فيها ما تفرق في غيرها من ذكر الله ورسوله وقراءة وتسبيح ولبث وطهارة وستر واستقبال وترك أكل وشرب وغير ذلك وزادت بالركوع والسجود ونحوهما (واعلم) أن أعضاءك كالاغنام السائمة وأنت راعيها وقد رعت في أودية المعاصي فتجمعها في وقت الصلاة بين يدي الله تعالى فاذا قمت بين يدي مولاك سبحانه وتعالى فاذا كبرت فقد أذعنت بان الكبرياء والعظمة له سبحانه وتعالى واذا ركعت فكانك قلت يارب رقبتي لك وأنا عبدك وثقل المعصية أنقض ظهري فاطرحه عني واذا سجدت فكانك تقول عفرت وجهي بالتراب تائبا خاضعا لك فاذا قمت للصلاة فاجتهد في تطهير قلبك وتذكر في قيامك أنك واقف بين يديه كوقوفك يوم العرض عليه سبحانه وتعالى واذا كبرت بلسانك فلا يكذبك قلبك فاذا كان فيه شئ كبير سوى الله تعالى فاطرحه عنه ويكفينا في فضيلة الصلاة ماروى أنه سئل البخاري ماتقول فيمن لا يصلي فنكس رأسه طويلا ثم رفع رأسه فقال للسائل لا تظن أني فعلت ذلك عجزا عن جوابك ولكن نظرت بقلبي في كتب شرائع الاسلام وعرضت جميع القرآن من أوله الى آخره هل أجد فيه أن من لا يصلي يكون مسلما أم لا فما وجدت أن من ترك الصلاة متعمدا يكون مسلما نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لاداء ما افترض علينا من الصلوات وغيرها على وجه يرضيه سبحانه وتعالى آمين قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿ واحتفل للفقه في الدين ولا * تشتغل عنه بمال وخول ﴾

أي اجمع حواسك للفقه أي للفهم في الدين أي في أحكامه ولا تشتغل أي لا تلته عنه بمال ولو كثر ولا خول بفتح الخاء المعجمة والواو كخدم وحشم وزنا ومعنى أفاده في المصباح ففي هذا البيت الامر بالاجتهاد في طلب العلم الذي لا بد منه وهو العلم الشرعي كالفقه والحديث والتفسير والآلات الموصلة الى فهم ذلك لانه هو الذي يجب على الانسان الاشتغال به لاجل أن يعرف ماهو مطلوب منه من فرض ونفل وما هو منهي عنه من حرام ومكروه فعلم من هذا التقرير أن المراد بالفقه في النظم معناه اللغوي وهو الفهم فقوله واحتفل للفقه أي للفهم في الدين أي في أحكامه وليس المراد به معناه الاصطلاحي الذي هو العلم بالاحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية لانه بهذا المعنى قاصر على الفقه فقط والدين في اللغة يطلق على معان منها الجزاء قال تعالى مالك يوم الدين أي الجزاء ومنها الطاعة يقال دان له أي أطاعه واصطلاحا ما شرعه الله من الاحكام على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والدين والملة والشريعة والشرع ألفاظ متحدة في المعنى مختلفة بالاعتبار لان الاحكام من حيث اشتهارها وظهورها وتشريعها تسمى شرعا وشريعة ومن حيث املاء الشارع اياها لنا تسمى ملة ومن حيث انقياد الخلق لها تسمى دينا اه وفي هذا البيت أيضا النهي عن الاشتغال عن العلم

بما هو من القواطع عنه كالمال والحشم والخدم والامور المتعلقة بتحصيل الدنيا وغير ذلك ولله در القائل

تعلم فان العلم زين لأهله * وفضل وعنوان لكل المحامد
وكن مستفيدا كل يوم زيادة * من العلم واسبح فى بحور الفوائد
تفقه فان الفقه أفضل قائد * الى البر والتقوى وأعدل قاصد
هو العلم الهادى الى سنن الهدى * هو الحصن ينجى من جميع الشدائد
فان فقيها واحدا متورعا * أشد على الشيطان من ألف عابد

وذكر فى الجامع الصغير انه صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿واهجر النوم وحصله فمن * يعرف المطلوب يحقر ما بذل﴾

أى اترك النوم وحصله أى العلم الشرعى مع آلاته لا كل علم لان العمر يقصر عن تحصيل كل علم خصوصا فى هذا الزمن الذى كثرت فيه الشواغل ولا تستعظم ترك النوم فى تحصيله لان من يعرف المطلوب وعظمته ونفعه يحقر بفتح الياء التحتية وكسر القاف من باب ضرب أى لا يعبأ ولا يعتنى بالشئ الذى بذله وأعطاه عن طيب نفس هكذا يستفاد من المصباح فقد أمر الناظم رحمه الله تعالى بهجر النوم وتحصيل العلم لان من طبع النفس النوم والكسل والميل الى اللهو واللعب والتنعم والفتور عن الطاعات خصوصا عن العلم والليل تتفرغ فيه الحواس عن الشواغل وتنقطع فيه الامور المتعلقة بالدنيا غالبا فينبغى سهره وتحصيل العلوم فيه فهو ان فاتته لذة النوم فقد حصلت له لذة أعلى وأعظم من ذلك لان العلوم عند أهلها أنهم لا يلتذون بشئ أحلى منه حتى أن المشتغلين به الملازمين لتحقيق مسائله وتدقيق فضائله يحصل لهم به من الفرح والسرور والطرب ما لا يحصل لغيرهم ممن يتحرى سماع الآلات والمآكل والمشارب وغير ذلك كما قال بعضهم

سهرى لتنقيح العلوم ألذ لى * من وصل غانية وطيب عناق
وتمايلى طربا لحل عويصة * أشهى وأحلى من مدامة ساقى
وصرير أقلامى على أوراقها * احلى من الدوكاه والعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفها * نقرى لألقى الرمل عن أوراقى
أأبيت سهران الدجا وتبيته * نوما وتبغى بعد ذاك لحاقى

ثم ان الناظم رحمه الله تعالى ذكر مثالا بين به أن من يعرف فضل العلم وما أعده الله لطالبه فى الدار الآخرة من الاجر العظيم والنعيم المقيم احتقر فى جنب ذلك ما يلاقيه من الامور الشاقة فى الدنيا وما يحصل له من التعب والسهر وترك اللذات الدنيوية وما يصيبه من المصائب كنقص فى رزقه أو ولده أو نحو ذلك وهو قوله فمن يعرف المطلوب يحقر ما بذل ولله در امامنا الشافعى رضى الله عنه حيث قال

اصبر على مر الجفا من معلم * فان رسوب العلم فى نفراته
ومن لم يذق ذل التعلم ساعة * تجرع ذل الجهل طول حياته
ومن فاته التعليم وقت شبابه * فكبر عليه أربعا لوفاته
حياة الفتى والله بالعلم والتقى * اذا لم يكونا لا اعتبار لذاته

وله

وله أيضا نور الله ضريحه رأيت العلم صاحبه كريما * ولو ولدته آباء لئام
وليس يزال يرفعه الى أن * تعظم أمره القوم الكرام
ويتبعونه فى كل حال * كراعى الضأن تتبعه السوام
فلولا العلم ماسعدت رجال * ولا عرف الحلال ولا الحرام

وقال بعضهم العلم مغرس كل فضل فاجتهد * أن لا يفوتك فضل ذاك المغرس
واعلم بأن العلم ليس يناله * من همه فى مطعم أو ملبس
الا أخو العلم الذى يعنو به * فى حالتيه عاريا أو مكتسى
واحرص لتبلغ فيه حظا وافرا * واهجر له طيب المنام وغلس
لتعز حتى ان حضرت بمجلس * كرمت فيه وكنت صدر المجلس
ان الخلى من العلوم مقامه * عند المعال له صموت الاخرس

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿لا تقل قد ذهبت أربابه * كل من سار على الدرب وصل﴾

أى لا تقل قد مضت أربابه أى أصحابه بموتهم وانقراضهم لان فى المثل المشهور أن كل من سار على الدرب وصل الى مطلوبه والدرب المدخل بين الجبلين والجمع دروب مثل فلس وفلوس وليس أصله عربيا والعرب استعملته فى معنى الباب فيقال لباب السكة درب وللمدخل الضيق درب لانه كالباب فى التوصل بكل قاله فى المصباح وهذا البيت جواب عن سؤال مقدر فكأن قائلا قال للناظم رحمه الله تعالى كيف يتيسر الاشتغال بالعلم وقد انقرض بانقراض أهله وتعذر تحصيله فأجابه بقوله لا تقل قد ذهبت أربابه فانه قد جرت عادة الله فى خلقه على ممر الاعوام والدهور أنه لا تخلو زمن من العلماء اقامة لشريعته صلى الله عليه وسلم وانه اذا ماتت طائفة خلفتها أخرى كما قال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وانما أنا قاسم والله معطى ولن يزال أمر هذه الامة مستقيما لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله فينبغى الاجتهاد فى العلوم لان لكل مجتهد نصيبا قال صلى الله عليه وسلم كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامسة فتهلك وهو الذى يكره العلماء وقال صلى الله عليه وسلم لعلى لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وقال الشافعى رضى الله عنه مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء حديث صحيح وأما حديث علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل فتكلم فيه وقال صلى الله عليه وسلم ان العالم والمتعلم اذا مرا على قرية فان الله تعالى يرفع العذاب عن مقبرة تلك القرية أربعين يوما وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أمتى وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ان الله عز وجل وملائكته وأهل السموات والارضين حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير ذكره فى الجامع الصغير * وفى تنبيه الغافلين فى الباب السابع والخمسين مانصه عن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع أبى الدرداء فى مسجد دمشق فأتاه رجل فقال يا أبا الدرداء جئتك من المدينة فى حديث بلغنى أنك حدثته عن النبى

صلى الله عليه وسلم فقال ما جئت لتجارة ولا حاجة وما جئت الا لهذا فقال ما جئت الا له قال أبشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يطلب فيها علما سهل الله له طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض والحيتان في جوف الماء * وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين والذى نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف الى باب العالم الا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة وبنى له بكل قدم مدينة في الجنة ويمشي على الارض والارض تستغفر له ويمسي ويصبح مغفورا له وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فرأى مجلسين أحدهما يذكر الله تعالى فيه والآخر يتعلمون فيه الفقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل المجلسين على خير وأحدهما أفضل من الآخر أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل وانما بعثت معلما فهؤلاء أفضل ثم جلس معهم وعن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان بابا من العلم يتعلمه الرجل خير له من أن لو كان له أبو قبيس ذهبا فينفقه في سبيل الله تعالى وعن الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال لا أعلم شيأ أفضل من الجهاد في سبيل الله الا أن يكون طلب العلم فانه أفضل من الجهاد في سبيل الله ومن خرج من بيته في طلب باب من العلم الا حفته الملائكة بأجنحتها وصلت عليه الملائكة في جو السماء والسباع في البر والحيتان في البحر وآتاه الله أجر اثنين وسبعين صديقا وعن أبي الدرداء قال مالي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون تعلموا العلم قبل ان يرفع بموت العلماء ويقال العلماء سرج الازمنة فكل عالم مصباح زمانه وروى عن سالم بن أبي الجعد رضي الله عنه قال اشترانى مولاى بثلاثمائة درهم فاعتقنى فقلت في نفسي بأى الحرفة أحترف فاخترت العلم على كل حرفة فلم يمض بي كثير مدة حتى أتاني الخليفة زائرا فلم آذن له وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال الناس رجلان عالم ومتعلم ولا خير فيما سوى ذلك ويقال من ذهب الى عالم وجلس عنده ولم يقدر على حفظ شئ مما قاله الا أعطاه الله سبع كرامات أولها ينال فضل المتعلمين وثانيها مادام عنده جالسا كان محبوسا عن الذنوب والخطايا وثالثها اذا خرج من منزله نزلت عليه الرحمة ورابعها اذا جلس عنده نزلت الرحمة على العالم فتصيبه ببركته وخامسها تكتب له الحسنات مادام مستمعا وسادسها تحفهم الملائكة بأجنحتها وهو فيهم وسابعها كل قدم يرفعها ويضعها تكون كفارة للذنوب ورفعا للدرجات وزيادة في الحسنات هذا لمن لم يحفظ شيأ وأما الذى يحفظ فله أضعاف ذلك مضاعفة وعن عمر رضي الله عنه انه قال ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العلم خاف الله واسترجع من ذنوبه فينصرف الى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فان الله لم يخلق على وجه الارض أكرم من مجالسهم قال بعض العلماء ولو لم يكن لحضور مجلس العلم منفعة سوى النظر الى وجه العالم لكان الواجب على العاقل ان يرغب فيه فكيف وقد أقام النبي صلى الله عليه وسلم العلماء مقام نفسه فقال من زار عالما فكأنما زارني ومن صافح عالما فكأنما صافحني ومن جالس عالما فكأنما جالسني ومن جالسني في الدنيا أجلسه الله تعالى معي يوم القيامة في الجنة وروى الحسن قال مثل

العلماء كمثل النجوم اذا بدت اهتدوا بها واذا أظلمت تحيروا وموت العالم ثلمة في الاسلام لا يسدها شئ ما اختلفت الليالي والايام اه قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

*(في ازدياد العلم ارغام العدا * وجمال العلم اصلاح العمل)*

أي في زيادة العلم والاكثار منه ارغام أي اذلال واهانة العدا بكسر العين جمع عدو ويجمع أيضا على اعداء والعدو خلاف الصديق قاله في المصباح وانما كانت الزيادة في العلم ارغاما للاعداء لان من زاد علما بلغ مناه وارتفع قدره بين الانام وتكامل فخره بين الخاص والعام وطاب عيشه وظفر بسعادة الدنيا والآخرة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا خير في عيش الا لعالم ناطق أو مستمع أو واع وقول الناظم رحمه الله تعالى وجمال العلم أي زينته اصلاح العمل أي تحسينه وموافقته للشريعة فحينئذ يكون عالما عاملا وهذا هو الممدوح وما سواه مذموم قال في تنبيه الغافلين في الباب الثامن والخمسين ما نصه قال أبو الدرداء رضي الله عنه لا يكون الرجل عالما حتى يكون بالعلم عاملا وعنه أيضا رضي الله عنه انه قال ويل للذي لا يعلم مرة وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات وعن سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام انه قال من علم وعمل فذلك الذي يدعى في ملكوت السموات عظيما * وعن علي كرم الله وجهه انه قال اذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل ان يتعلم منه وان جمع العلم كله * وقال سفيان بن عيينة من عمل بما علم فهو العالم ومن ترك العمل بما علم فهو الجاهل وذكر في الخبر أن الملائكة يتعجبون من ثلاثة من عالم فاسق يحدث الناس بما لا يعمل ومن قبر الفاجر يبنى بالجص والآجر ومن النقش على قبر الفاجر ويقال أشد الحسرات يوم القيامة ثلاثة رجل له مملوك صالح يدخل الجنة ومولاه يدخل النار ورجل جمع مالا حلالا فمنع منه حقوق الله تعالى ومات فانفقه ورثته في الطاعة فينجون به والذي جمعه في النار ورجل عالم غير عامل ينجو الناس بعلمه وهو يصير الى النار وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل أي الناس أشر فقال العالم اذا فسد * وروى عن بشر بن الحارث انه كان يقول لاصحاب الحديث أدوا زكاة هذه الاحاديث قالوا كيف نؤدي زكاتها قال ان تعملوا من كل مائتي حديث بخمس أحاديث وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من تعلم العلم لاربع دخل النار ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يقبل به وجوه الناس اليه أو يأخذ به الاموال من الامراء وقال الفضيل بن عياض اذا كان العالم راغبا في الدنيا حريصا عليها فان مجالسته تزيد الجاهل جهلا والفاجر فجورا وتقسي قلب المؤمن * وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء أمناء الرسول على عباد الله تعالى مالم يخالطوا السلطان ولم يدخلوا في الدنيا فاذا دخلوا في الدنيا فقد خانوا الرسل فاعتزلوهم واحذروهم على دينكم اه قيل لابراهيم بن عيينة أي الناس أطول ندامة قال أما في الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره وأما في الآخرة فعالم مفرط اه فعلم من هذا ان جميع ما ذكر في فضل العلم وارد في شأن العلم النافع وهو الذي يعمل به صاحبه وغيره مذموم (فائدة) ينبغي للعالم أن يعرف نعمة الله عليه التي لا تحصى وأن يتخلق بالمحاسن الشريفة التي ورد الشرع بها من الزهد في الدنيا وعدم المبالاة بها أو بأهلها والسخاء والجود والكرم ومكارم الاخلاق وطلاقة الوجه من غير خروج الى حد الخلاعة والتواضع واجتناب الضحك والاكثار في المدح

وملازمة الوظائف الشرعية كالتنظف بازالة الاوساخ والشعور التى ورد الشرع بازالتها كقص الشارب وتقليم الاظفار وتسريح اللحية ونتف الابط وحلق العانه وازالة الروائح الكريهة والملابس المكروهة وأن يطهر باطنه من الانجاس المعنوية كالحسد والكبر والرياء والعجب واحتقار غيره وان كان دونه وينبغى أن يترفق بمن يقرأ عليه ويعظمه ويحسن اليه بحسب حاله فقد روى الترمذى وابن ماجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الناس لكم تبع وان رجالا يأتونكم من أقطار الارض ليتفقهوا فى الدين فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا والخطاب فى قوله لكم للعلماء من أصحابه والمراد منه العموم وينبغى أن يبذل لهم النصيحة بأن يكون محرضا لهم على التعليم ومؤلفا لقلوبهم وان يذكرهم فضيلة العلم ليكون سببا لنشاطهم وزيادة فى رغبتهم فى الخير وان يجعل المتعلمين كأولاده فى الشفقة عليهم والاهتمام بمصالحهم والصبر على جفائهم وسوء أدبهم وان يسامحهم فى قلة أدبهم فى بعض الاحيان فان الانسان معرض للنقصان لاسيما اذا كان صغير السن وهذا باب واسع جدا وفيما ذكرناه كفاية لاولى الالباب قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿جمل المنطق بالنحو فمن * يحرم الاعراب بالنطق اختبل﴾

أى زين وحسن المنطق اى النطق والكلام بالنحو فمن يحرم الاعراب أى التبيين والايضاح بمعرفة الفاعل والمفعول وغير ذلك اختبل فى النطق أى تحير فى كلامه ولم يدر الصواب من الخطا ومن فى النظم يحتمل أن تكون موصولة فما بعدها مرفوع أو شرطية فما بعدها مجزوم وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين وعلم من النظم ان النحو جمال الالسنة وكمال العلماء وبه تعرف معانى الكتاب والسنة النبوية وبه يخاطب الله عباده فى الجنة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب العرب لثلاث لانى عربى والقرآن عربى ولسان أهل الجنة فى الجنة عربى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العربية وعلموها الناس فانه لسان الله الذى يخاطب به عباده يوم القيامة اهـ وهو أى النحو علم بأصول مستنبطة من استقراء كلام العرب يعرف به أواخر الكلم اعرابا وبناء وموضوعه الكلمات العربية من حيث يبحث فيها عن الاعراب والبناء وفائدته معرفة صواب الكلام من خطئه وغايته الاستعانة على فهم كلام الله ورسوله والاحتراز عن الخطا فى الكلام وجاء النحو فى اللغة لمعان خمسة أحدها القصد يقال نحوت نحوك أى قصدت قصدك ثانيها المثل يقال مررت برجل نحوك أى مثلك ثالثها الجهة يقال توجهت نحو البيت أى جهته رابعها المقدار يقال له عندى نحو ألف اى مقدار ألف خامسها القسم نحو هذا على اربعة انحاء أى أقسام وقد جمع ذلك بعضهم فى قوله

نحونا نحو دارك يا حبيبى * وجدنا نحو ألف من رقيب
وجدناهم عواة نحو كلب * تمنوا منك نحوا من شريب

وسبب تسمية هذا العلم بالنحو ما قيل ان أبا الاسود الدؤلى بكسر الدال المهملة وسكون المثناة التحتية كما ضبطه سيدى يوسف الحفنى فى حواشى الاشمونى قال دخلت يوما على أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه فرأيته مطرقا متفكرا فقلت فيم تتفكر يا أمير المؤمنين قال

انى

انى سمعت بهذه البلدة لحنا فأردت أن أصنع كتابا فى أصل العربية فقلت له ان فعلت هذا يا أمير المؤمنين أحييتنا وبقيت هذه اللغة فينا ثم اتيته بعد ثلاث فالقى الى صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما انبأ عن المسمى والفعل ما انبأ عن حركة المسمى والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل والفاعل مرفوع وماسواه فرع عليه والمفعول منصوب وماسواه فرع عليه والمضاف اليه مجرور وماسواه فرع عليه وقال انح لهم هذا النحو يا أبا الاسود واعلم يا أبا الاسود ان الاشياء ثلاثة ظاهر ومضمر وشئ ليس بظاهر ولا مضمر وانما يتفاوت فضل العلماء فى معرفة ماليس بظاهر ولا مضمر قال أبو الاسود فجمعت منه اشياء وعرضتها عليه فكان من ذلك حروف النصب فذكرت منها ان وأن وليت ولعل وكأن ولم اذكر لكن فقال لم تركتها فقلت لم أحسبها منها فقال بل هى منها فزدتها ذكره الامام السيوطى فى تاريخ الخلفاء ولله در القائل

النحو قنطرة الآداب هل أحد * يجاوز البحر الا بالقناطير

لو تعلم الطير ما فى النحو من أدب * حنت وأنت اليه بالمناقير

ان الكلام بلا نحو يحسنه * نبح الكلاب واصوات السنانير

وقال بعضهم

قدم النحو على الفقه فقد * يبلغ النحوى بالنحو الشرف

أماترى النحوى فى مجلسه * كهلال بان من تحت الشغف

يخرج الالفاظ من فيه كما * يخرج الجوهر من بطن الصدف

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿انظم الشعر ولازم مذهبى * فاطراح الرفد فى الدنيا أقل﴾

انظم بكسر أوله وثالثه من باب ضرب والشعر بكسر الشين المعجمة منصوب على المفعولية وهو النظم الموزون وتعريفه أى النظم الموزون ماتركب تركيبا متعاضدا وكان مقفى موزونا مقصودا به ذلك فما خلا من هذه القيود أو من بعضها فلا يسمى شعرا ولا يسمى قائله شاعرا ولهذا ما ورد فى الكتاب العزيز والسنة النبوية موزونا فليس بشعر لعدم القصد والتقفية وكذلك ما يجرى على السنة بعض الناس من غير قصد لانه أى الشعر مأخوذ من شعرت اذا فطنت وعلمت وسمى شاعرا لفطنته وعلمه به فاذا لم يقصده فكأنه لم يشعر به انتهى مصباح وقوله ولازم مذهبى أى وتعلق بطريقتى وقصدى فى الشعر من كونى لا أنظم الا نظما جائزا كنظمى البهجة فى الفقه وكهذه القصيدة واشباهها والذى تلخص من كلام العلماء ان الشعر الجائز هو الذى خلا عن هجو وعن الكثرة فى المدح وخلا عن الكذب وخلا عن التغزل بمعين وقد نقل ابن عبد البر الاجماع على جوازه اذا كان كذلك ذكره العلامة العلقمى على الجامع الصغير وقوله فاطراح الرفد أى فطرح الرفد والقاؤه ورميه فى الدنيا اقل والرفد بكسر الراء العطية والاعانة كما يستفاد من المصباح والمعنى فالقاء العطية فى الدنيا قليل والا كثر أخذها وقبولها ومن جملة العطايا نظم الشعر * قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿فهو عنوان عن الفضل وما * أحسن الشعر اذا لم يبتذل﴾

أى فالشعر عنوان بضم العين وكسرها وعنوان كل شئ ما يستدل به عليه أى فهو دليل على

الفضل الذي هو الزيادة في الشيء فمن أهله الله تعالى استدل به على فضيلته وعلمه * ولله در القائل

لا جزى الله دمع عيني خيرا * ولقد أباح بما خفاه لساني

كنت من قبل ذا كطي كتاب * فاستدلوا على بالعنوان

وقوله وما احسن الشعر اذا لم يبتذل أي اذا لم يمتهن كالمبالغة في المدح بغير اصل وفي الذم كذلك قال في المصباح بذلت الشيء بذلا امتهنته وانتقصته انتهى وما اسم تعجب في موضع رفع على الابتداء وهي نكرة تامة عند سيبويه وسوغ الابتداء بها ما فيها من معنى التعجب واحسن فعل ماض وفيه ضمير مستتر يعود الى ما مرفوع على الفاعلية والشعر مفعول به لأحسن وجملة أحسن الشعر في موضع رفع خبر ما التعجبية اهـ والمقرر عند الشعراء انه أرفع الفنون قدرا وأكملها فخرا وكفاه شرفا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة * ولله در الملاح حيث قال في تخميسه

كل من في الشعر حقا نظما * زاده بين البرايا عظما * وأجلته جميع العظما

فهو عنوان على الفضل وما * أحسن الشعر اذا لم يبتذل

ولا يقدح فيه ما ورد من ذمه وذم الشعراء قال تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون لان ذلك ورد في شعراء الجاهلية الذين كانوا يتفاخرون في مراسلاتهم ومحاوراتهم وقتالهم كامرئ القيس وطرفة بن العبد وعنترة العبسي وأشباههم من الشعراء الجاهلية المشهورين بدليل ما وقع من الاستثناء في الآية نفسها بقوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية والمراد بهم شعراء الاسلام كحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ونحوهما وأما قول الامام الشافعي رضي الله عنه

ولولا الشعر بالعلماء يزري * لكنت اليوم أشعر من لبيد

فالجواب عنه ان أهل العصر الاول خصوصا الامام الشافعي كانوا لا يشتغلون بالشعر لاشتغالهم بما هو أهم منه كالاجتهاد وتقرير الاصول وتدوين الكتب ونحو ذلك ومن عادة الناس انهم يقدمون الاهم فالاهم وكانوا يرون أن الاشتغال بالشعر بالنسبة الى ما هم فيه انتقاص وأما قول القائل لا تحسبن الشعر علما نافعا * ما الشعر الا محنة وخبال

فالهجو قذف والرثاء نياحة * والعتب ذل والمديح سؤال

فالجواب عنه أن الذي تقرر عند العلماء أن الشعر من العلوم الكاملة الجامعة الدافعة والمثبت مقدم على النافي ولا يقدح فيه ذم فرد من افراد العالم فان ذلك نادر والنادر لا حكم له قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿مات أهل الفضل لم يبق سوى * مقرف أو من على الاصل اتكل﴾

أي مات أهل الفضل والعلم والشرف ولم يبق بعدهم الا مقرف أي لاعب أو رذيل والا الذي يتكل على أصله وشرفه فقرف في كلام الناظم تحتمل أن تكون بقافين بينهما راء مهملة بمعنى لاعب قال في المصباح قرق الرجل قرقا من باب تعب لعب والاسم القرق وزن حمل اهـ ويحتمل أن يكون بفاء بدل القاف الاخيرة بمعنى رذيل وهو الاقرب بل هو المتعين قال الشاعر

كم بجود مقرف نال العلا * وكريم بخله قد وضعه

كره في الاشموني قال في حواشيه قوله مقرف أي دنيء الاصل فقد جرت عادة الله تعالى في

خلقه

خلقه قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل أن يموت الامثل فالامثل والاكمل حتى قال لا يبقى الا أراذل الناس وأسافلهم كما ورد فى الحديث كلكم تموتون وانما يعجل بخياركم ومعنى كلام الناظم رحمه الله تعالى انه يموت الاشراف والاكابر حتى لا يبقى الا مقرف فى معاشرته ومصاحبته ووداده ومخالطته أومن يعتمد على آبائه وأجداده الماشين بأن يقول يكفينى أن أبى الشيخ فلان ابن فلان العنانى أو الرفاعى أو البكرى أو أنا منسوب الى الحسن بن على رضى الله عنهما أو الى الحسين بن على رضى الله عنهما أو الى الولى الفلانى فيتكل على أصوله الماضين ولم يدر أن من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وحاصله ان كل ما قرب الزمان من الساعة انقرض الاخيار ولم يبق الا الاشرار وانقطع النفع من غالب المسلين وما أحسن ما قيل

* ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقى الذين حياتهم لا تنفع

ولله در الملاح حيث قال فى تخميسه

قد مضى الناس فبقى القلب الجوى * وغدا من كان للفضل حوى

هل ترى اليوم لداء من دواء * مات أهل الفضل لم يبق سوى * مقرف أو من على الاصل اتكل

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

*(أنا لا أختار تقبيل يد * قطعها أجمل من تلك القبل)*

أى لا أختار ولا أحب تقبيل يد من شخص موصوف بصفات قبيحة من كفر وفسق وسرقة وغيرها فقطع تلك اليد أجمل وأحسن من تلك القبل بضم القاف وفتح الموحدة جمع قبلة قال فى المصباح القبلة اسم من قبلت الولد تقبيلا والجمع قبل مثل غرفة وغرف انتهى فالناظم رحمه الله تعالى اختار عدم تقبيل يد الشخص الموصوف بصفات قبيحة مطلقا ولو كان له عنده حاجة ولو خاف الضرر منه وهذا انما يدل على توكله على ربه وانقطاعه له تعالى وترك المخلوقات جميعا رضى الله تعالى عنه وأما أيدى الصلحاء والعلماء والامراء العادلين فيستحب تقبيل أيدى العلماء وأهل الفضل والتماس دعواتهم الصالحة ونحو ذلك ويستحب لهم القيام أيضا لان النبى صلى الله عليه وسلم قام لسعد بن معاذ الانصارى لما رآه مقبلا وقال لاصحابه قوموا لسيدكم فقاموا اليه وأما القيام للظلمة ونحوهم وتقبيل أيديهم والتواضع لهم ونحو ذلك فيفصل فيه ويقال ان خاف على نفسه ضررا أو اتلاف مال ونحوه فلا بأس به بل قد يجب اذا تحقق ما ذكر والا فلا يجوز وأما ما ارتكبه أمراء زماننا من البلاء الاعظم والداهية الكبرى من تولية اليهود والنصارى أمور المسلين فى قبض أموالهم واحتكارهم أرزاقهم ومعايشهم واحتياج الحال الى تعظيمهم ومراعاتهم وتقبيل أيديهم والقيام لهم فينبغى أن يجرى فيه التفصيل المتقدم هذا ما اختاره النووى تبعا لغيره من المحققين وهو اللائق خصوصا بزماننا هذا * نسأله سبحانه وتعالى التسليم لقضائه وقدره * قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين *(ان جزتنى عن مديحى صرت فى * رقها أولا فيكفينى الخجل)*

هذا البيت بيان للسبب الحامل له رحمه الله تعالى على عدم التقبيل فهو جواب عن سؤال وفى الامثال السائرة تقبيل يد لم تنفع أحق أن تقطع ومعنى البيت ان جزتنى عن مديحى أى بأن

قضت لي حاجتي التي أنا طالبها أو أعطتني شيأ من الدنيا في مقابلة مدحي أي مدحي لها الذي منه تقبيلي لها أسرت في رقها أولا أي وان لم تجزني فضلا عن طردها لي فيكفيني الخجل من الناس ومن الله أيضا لاني قبلت يد ذلك الشخص الفاسق لاجل قضاء حاجتي منه ولم يقضها لي والخجل بفتحتين الحياء وانما كان تقبيل اليد مدحا لان المدح هو الثناء على الشخص ولا فرق فيه بين أن يكون ذكرا باللسان أو عملا بالاركان أو محبة بالجنان ولا شك أن التقبيل عمل الفم فعلم من كلام الناظم رحمه الله أن السؤال قبيح لان المسؤل ان أعطى السائل صار في رقه وان لم يعطه كانت المصيبة أعظم وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم اذا سألت فاسأل الله قال طاوس لعطاء اياك أن تطلب حوائجك ممن يغلق بابه دونك وعليك بمن بابه مفتوح الى يوم القيامة أمر أن تسأله ووعدك أن يجيبك وقال الفضيل بن عياض أحب الناس الى الناس من استغنى عن الناس وأبغض الناس الى الناس من احتاج الى الناس وسألهم وأحب الناس الى الله عز وجل من سأله واستغنى به عن غيره وأبغض الناس اليه تعالى من استغنى عنه وسأل غيره وقال ابن السماك ان في طلب الرجل الحاجة من أخيه فتنة ان هو أعطاه حمد غير الذي أعطاه وان منعه ذم غير الذي منعه لانه لا معطي ولا مانع في الحقيقة الا الله وكان بعضهم يقع سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله اياه لان السؤال فيه ذل وافتقار وكان بعضهم يقول من احتجت اليه هنت عليه * وقال عامر بن قيس قرأت آيات في كتاب الله تعالى فاستغنيت بها عن الناس قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو فلم أسأل غيره كشف ضري وقوله تعالى وان يردك بخير فلا راد لفضله فلم أرد الخير والفضل الا منه وقوله عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فلم أطلب الرزق من غيره فأغناني عن الناس بهذه الآيات قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

* أعذب الالفاظ قولي لك خذ * وأمر اللفظ نطقي بلعل *

أي أحلى الالفاظ التي أتلفظ بها قولي لك خذ وأمر اللفظ الذي أتلفظ به أي أكثره مرارة نطقي بلعل أي بقولي لعل فلانا يعطيني شيأ قال بعضهم لا شئ أحلى من قولك خذ خصوصا اذا كان قصدك وجه الله تعالى ولا شئ أمر من قول الانسان لغيره أعطني خصوصا اذا كان المسؤل لئيما وانما كان السؤال مرا لما ينشأ عنه من ذل الوجه الذي هو أشرف الاعضاء وفي هذا البيت اشارة الى ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا هي المعطية واليد السفلى هي الآخذة (واعلم) أن السؤال مذموم اذا كان لآدمي وأما سؤال الله سبحانه وتعالى فينبغي للانسان ان لا يتركه في أمر من الامور لانه سبحانه وتعالى أمر به حيث قال واسألوا الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يغضب اذا ترك العبد سؤاله وان الله يحب من عباده الملحين في الدعاء ولله در القائل

لا تسألن بني آدم حاجة * وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب ان تركت سؤاله * وبني آدم حين يسئل يغضب

قال الحسن البصري لا يزال الرجل كريما على الناس حتى يطمع في دنياهم فاذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه وقال أعرابي لاهل البصرة من سيد كم قالوا الحسن قال بم

سادكم

سادكم قالوا احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دنياهم فقال ما أحسن هذا وسأل كعب الاحبار وهو بابي عبد الله بن سلام بحضرة عمر بن الخطاب ما اذهب العلم من قلوب العلماء بعدما حفظوه وعقلوه فقال يذهبه الطمع وطلب الحاجات الى الناس فقال صدقت وقال أبو الحسن الشاذلي دخل علي بالمغرب بعض الاكابر فقال ما أرى لك كبير عمل فيم فقت الناس وعظمولك فقلت بخصلة واحدة وهي الاعراض عنهم وعن دنياهم قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين ﴿ملك كسرى تغني عنه كسرة * وعن البحر اجتزاء بالوشل﴾

أي ملك كسرى الواسع تغني عنه كسرة من الخبز يأكلها الشخص ويكتفي بها ويستغني عن غيرها ويغني عن البحر الكثير الماء اجتزاء بالزاي المعجمة أي اكتفاء قال في المصباح اجتزأت بالشئ اكتفيت به والوشل ما ترشحه الارض من الماء القليل فالظمآن يكتفي بشربة منه عن البحر الكبير وكسرى بكسر الكاف أفصح من فتحها ملك الفرس والكسرة بكسر الكاف القطعة من الشئ المكسور ومنه الكسرة من الخبز والجمع كسر مثل سدرة وسدر قاله في المصباح وفي هذا البيت اشارة الى ما هو مطلوب ومحبوب من الزهد والقناعة وعدم السؤال للغير والرضا بما هو مقسوم من الرزق فان من المعلوم أن القناعة كنز لا يفنى ومن قنع استغنى ومن طمع ذل في الدنيا والآخرة ولله در القائل

وجدت القناعة ثوب الغنى * فصرت بأذيالها أمتسك
فألبسني جاهها حلة * يمر الزمان ولم تنهتك
فصرت غنيا بلا درهم * أمر على الناس كأني ملك

واعلم أن الزهد هو أصل المحبة فيما بين العبد وربه وفيما بينه وبين الناس فقد روي أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله دلني على عمل اذا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال له صلى الله عليه وسلم ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد ما في أيدي الناس يحبك الناس وقد زهد فيها صلى الله عليه وسلم وأعرض عنها الى أن مات عليه أفضل الصلاة والسلام ودرعه مرهون عند يهودي يقال له أبو الشحم ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن في بيتي شئ يأكله ذو كبد مع أنه قد عرض عليه صلى الله عليه وسلم أن تجعل له بطحاء مكة ذهبا فأبى وقال لا يارب أجوع يوما وأشبع يوما * ودخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير وقد أثر في جنبيه فبكى عمر رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقال ذكرت كسرى وقيصر عدوي الله في الخز والديباج وأنت رسول الله وخيرته من خلقه على هذا فقال له أفي الله شك أنت يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لهم الدنيا والآخرة لنا قال بلى قال فهو كذلك اه قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿اعتبر نحن قسمنا بينهم * تلقه حقا وبالحق نزل﴾

أي تأمل وتذكر واتعظ بقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا يعني جعل هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا مسلما وهذا كافرا وهذا مصطفى بالنبوة والرسالة الى غير ذلك وقوله تلقه أي تجده حقا أي موافقا للواقع والضمير للمذكور وهو نحن

قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وبالحق نزل أي وبرزل ملتبسا بالحق أي بالصدق فعلمنا من هذه الآية ان القسمة سابقة من الله عز وجل لا محو فيها ولا تغيير ولا تبديل ولا نقص ولا زيادة وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم رفعت الأقلام وجفت الصحف بما قسمه الله لمخلوق من رزق وأجل وغيرهما الا بد أن يستوفيه كاملا لكنه سبحانه وتعالى باين بين خلقه في الارزاق والآجال والفقر والغنى والقبض والبسط والخفض والرفع ولا يرد ما يقتضيه قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت الآية من المحو والاثبات لانه بالنسبة الى اللوح المحفوظ فقط وأما ما في الازل فلا محو فيه ولا أثبات فلا تناقض بين الآيات والاحاديث قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين ﴿ليس ما يحوي الفتى من عزمه * لا ولا ما فات يوما بالكسل﴾
أي ليس الذي يحويه الفتى ويملكه ويستولي عليه من عزمه واجتهاده بل هو من تقدير الله ذلك وليس الذي فاته يوما بسبب الكسل وعدم اجتهاده في تحصيله بل هو من تقدير الله أيضا فهذا البيت بيان وايضاح للبيت الذي قبله فعلم من هذا البيت ان ما لم يقسمه الله تعالى لعبده لا يناله بالقوة والعزم ولو اجتهد غاية الاجتهاد وان ما قسمه الله تعالى له لا يفوته ولو تكاسل عنه أو لم يطلبه أصلا كما قال صلى الله عليه وسلم ان الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله ذكره في الجامع الصغير ولكن المستحب للعبد السعي والطلب كما قال تعالى فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ولله در القائل

من رام أن يأخذ الاشياء بقوته * يفوته القصد تحقيقا مع التعب
واقنع برزقك ان الرزق منقسم * يأتي اليك من الرزاق بالسبب

وقال آخر

يا طالب الرزق في الدنيا بقوته * تدور من بلد فيها الى بلد
أتعبت نفسك فيما لست تدركه * وضاع عمرك في هم وفي نكد
لو طرت بين السما والارض مجتهدا * في شربة الماء غير الرزق لم تجد
اقصر عنائك فان الرزق منقسم * يأتي اليك ولو في جبهة الاسد

وقال آخر

الرزق يأتي وان لم يسع صاحبه * حتما ولكن شقاء المرء مكتوب
وفي القناعة كنز لا نفاد له * وكل ما يملك الانسان مسلوب

وقال آخر

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل * الرزق في اللوح مكتوب مع الاجل
فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا * لكنه خلق الانسان من عجل

وذكر في الخبر أن مؤمنا وكافرا كانا في الزمن الاول انطلقا يصيدان السمك فجعل الكافر يذكر آلهته فيأتي له السمك فيقع في شبكته حتى أخذ سمكا كثيرا وجعل المؤمن يذكر الله تعالى فلا يجيء له شيء ثم أصاب سمكة عند الغروب فاضطربت فوقعت في الماء فرجع المؤمن وليس معه شيء ورجع الكافر وقد امتلأت شبكته فتأسف ملك المؤمن الموكل به فلما صعد الى السماء أراه الله تعالى مسكن المؤمن في الجنة فقال والله ما يضره ما أصابه بعد أن يصير الى هذا وأراه مسكن الكافر في النار فقال والله ما يغني عنه ما أصاب من الدنيا بعد أن يصير الى هذا قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿اطرح الدنيا فمن عاداتها * تخفض العالي وتعلي من سفل﴾

أى اتركـ الدنيا الخسيسة السفيهة ولخستها كانت عادتها أن تخفض العالى أى تهينه وتحقره وتعلى أى ترفع الذى سـفل بفتح الفاء وضمها والمناسب هنا الفتح قال فى المصباح سـفل سفولا من باب قعد وسـفل من باب قرب لغـة صار أسـفل من غيره فهو سافل اه فالناظم رحمه الله تعالى أمر بطرح الدنيا وعلل ذلك بقوله فمن عاداتها الى آخره واسـناد الخفض والرفع اليهـا انمـا هو على سبيل المجاز من باب اسناد الشئ الى ظرفه لان الخافض والرافع فى الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى غاية الامر انه سبحانه وتعالى علم أنها دار خسيسة فرفع فيها السـفلة والاخسة وخفض فيها الاشراف والفضلاء لانها ليست دارهـم وانما دارهم الآخرة ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى الكافر منها شربة ماء أى لو كان للدنيا شرف عنـد الله قدر جناح بعوضـة ما أنال الـكافر أدنى شئ منهـا لان الـكافر عدوّ الله فيستحق العـذاب فى العاجلة والآجلة ولـكن الله سبحانه وتعالى أخر عذابه ليوم لا ريب فيه ولم يحرمه النعمة الدنيوية لخستها وحقارتها اه (واعلم) أن الدنيا دار غرور وامتحان ولهذا قال صلى الله عليه وسـلم ان الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعمـلون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنـة بنى اسرائيل كانت فى النساء وروى أن أسعد النـاس فى الدنيا أرغبهم عنها وهى الغاشة لمن انتصحها والمغوية لمن أطاعها والخاسر من انقاد لها والفائز من أعرض عنها طوبى لعبد اتقى ربه وقد قدم توبته من قبل أن ينتقـل منها الى الآخرة فيصبح فى بطن موحشة مظلمة لا يستطيع ان يزيد فى حسنة ولا ينقص من سيئة ثم ينشر فيحشر اما الى جنة يدوم نعيمها أو نار لا ينفك عذابها وفى صحف ابراهـيم الخليل عليه الصـلاة والسـلام يقول الله عز وجـل يا دنيا ما أهونك عـلى الابرار الذين تزينت لهـم انى قد قذفت فى قلوبهـم بغضك والصد عنك ما خلقت خلقا أهون على منك انى قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لاحد ولا يدوم لك أحد ولله در القائل

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علموا * أنها ليست لحيّ وطنا

جعلوهـا لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا

وقد قيل لزاهد أىّ خلق أصغر فقال الدنيا لانها لا تعدل عند الله جناح بعوضة ومن هوانها عند الله تعالى أنه خلقها ولم ينظـر اليها ولا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنـده الا بتركها واذا أردت أن تزهـد فيها فانظر هى عند من وفى يد من وقال على كرم الله وجهه حـلالها حساب وحرامها عقاب من طلبها فاتته ومن نظر اليها أعمته ومن استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن وقال الامام مالك رضى الله عنه الدنيا تخرج حلاوة الايمـان من القلب وقال حاتم الاصم الدنيا مثـل ظلك ان تركته تراجع وان طلبته تباعد وقال بعض الحكماء اكرموا من له بيت فى الاصل ومن له هجروة ومن له مكانة فى العلم ولا يغرّنكم سوء حالهم وانقلاب الزمان بهم فان الـكاسر يجبر كما يكسر كاجبر وما أعطى الدهر شيأ بيمينه الا واستلبه بشمـاله وذكر فى الخبر عن عيسى عليه السلام انه كان ذات يوم ماشيا اذ نظر الى امرأة عليها من كل زينة فذهب ليغطى وجهه عنها فقالت اكشف عن وجهك فلست بامرأة أنا الدنيا فقال لها ألك زوج فقالت

ه لى أزواج كثيرة فقال لها أكل طلقك أم كل قتلت فقالت بل كل قتلت فقال لها خزن
على أحدمنهم قالت هم يحزنون على ولا أحزن عليهم ويبكون على ولا أبكي عليهم واعجب
للتأخرين كيف لا يعتبرون بالمتقدمين وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال يؤتى بالدنيا
يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوهة الخلقة لا يراها أحد الا كرهها
فتشرف على الخلائق فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال لهم
هذه التي تفاخرتم بها وتحاربتم عليها ثم يؤمر بها الى النار فتقول يارب أين أتباعي وأصحابي
وأحبابي فيلحقونها ومعنى القائها في النار لكي يراها أهلها ويرون هوانها على الله تعالى قال في
تنبيه الغافلين في الباب السابع والعشرين منه روى عن الضحاك قال لما أهبط الله آدم
وحواء الى الارض ووجدا ريح الدنيا وفقدا ريح الجنة غشي عليهما أربعين صباحا من نتن
الدنيا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى
لدار الغرور وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الدنيا سجن المؤمن والقبر حصنه والجنة
مأواه والدنيا جنة الكافر والقبر سجنه والنار مأواه ومعنى قوله الدنيا سجن المؤمن أن المؤمن
وان كان في النعمة الواسعة فهو بجنب ما أنعم الله به عليه في الجنة كأنه في السجن لان المؤمن
اذا حضرته الوفاة عرضت عليه الجنة فاذا نظر الى ما أعد الله له من الكرامة عرف انه كان في
السجن وأما الكافر اذا حضرته الوفاة عرضت عليه النار فاذا نظر الى ما أعد الله له من العقوبة
عرف أنه كان في الجنة فمن كان عاقلا لا يكون مسرورا في السجن ولكنه يطلب الراحة فينبغي
للعاقل أن ينظر الى الدنيا ويتفكر فيما ضرب الله تعالى للدنيا من الامثال لان الله تعالى ضرب
للدنيا مثلا والنبي صلى الله عليه وسلم ضرب لها أمثلا والحكماء ضربوا لها أمثلا والاشياء تصير
واضحة بالامثال قال الله سبحانه وتعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها
وازينت وظن أهلها انهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن
بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا قدم
عليه من أرض فسأله عن ارضهم فاخبره عن سعة ارضهم وكثرة النعيم فيها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف تفعلون قال انا نتخذ الوانا من الطعام ونأكلها قال ثم تصير الى ماذا قال
الى ما تعلم يارسول الله يعني تصير بولا وغائطا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فكذلك مثل الدنيا
وروى عن يحيى بن معاذ الرازي انه قال الدنيا مزرعة لرب العالمين والناس فيها زرعه وملك
الموت منجله والمقبرة مدراسه والقيامة تذريته والجنة بيت احبابه والنار بيت اعدائه فريق
في الجنة وفريق في السعير وروى عن لقمان الحكيم انه قال لابنه يابني ان الدنيا بحر عميق
وقد غرق فيها ناس كثير فاجعل سفينتك فيها تقوى الله والاعمال الصالحة بضاعتك التي
تحمل فيها والحرص عليها أربحك والايام موجها وكتاب الله دليلها وردا النفس عن الهوى
حبالها والموت ساحلها والقيامة ارض المتجر التي تخرج اليها والله مالكها اه * واختلف
الناس في التفضيل بين الدنيا والآخرة فذهب قوم الى ان الدنيا افضل من الآخرة واحتجوا
بامور * منها ان الدنيا وسيلة والآخرة مقصد وقد يوجد في الوسائل ما لا يوجد في المقاصد * ومنها

ان الدنيا مزرعة للآخرة وطريق موصلة اليها فلا ينتهي الانسان الى دار الآخرة الا بعد سلوكه في دار الدنيا ومن زرع زرعا حصده ومن عمل عملا وجده قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * ومنها ان الدنيا دار تكليف وعمل والآخرة دار جزاء وفضل ولا خفاء ان العمل افضل من الجزاء لما ورد ان اهل القبور يودون أن يرجعوا الى الدنيا ليعملوا فيها خيرا لما رأوه من ثواب الاعمال * ومنها ما ورد من مدحها في الحديث الشريف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها ينال الخير وبها ينجو من الشر واذا قال العبد لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله اعصانا لربه اه وذهب آخرون الى ان الآخرة افضل واحتجوا بامور منها ان الدنيا وان عظم امرها وتناهى فخرها لا يوجد فيها من الاعمال الصالحات فهي آيلة الى الفناء والزوال ومن المعلوم ان الدائم الباقي افضل من الزائل الفاني ومنها ان فيها يؤول امر المؤمن الى الخلود في الجنان والخيرات الحسان والخير العظيم والنعيم المقيم والنظر الى وجه الله الكريم أو غير ذلك مما ورد في الخبر مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ومما ورد من النظم في ذم الدنيا قول القائل

سألت عن الدنيا الدنية قيل لي * هي الدار فيها الدائرات تدور
اذا أضحكت أبكت وان احسنت أسأت * وان عدلت يوما فسوف تجور

والقائل الآخر

انما الدنيا غرور ومحنة * فالسفيه المجهول من يصطفيها
ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التي أنت فيها

والقائل الآخر

أرى طالب الدنيا وان طال عمره * ونال من الدنيا سرورا وانعما
كبان بنى بنيانه فاقامه * فلما استوى ما قد بناه تهدما

والقائل الآخر

هي الدنيا تقول لطالبيها * حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم مني ابتسام * فقولي مضحك والفعل مبكي

ولله در الملاح حيث قال في تخميسه

اما الايام في حالاتها * طبعها اجلب الاذى في ذاتها * تتبع التنغيص في لذاتها
اطرح الدنيا فمن عاداتها * تخفض العالي وتعلي من سفل

وكثير من الاسافل رفعتهم الدنيا منهم زياد بن سمية ويقال له زياد بن ابي سفيان وزياد بن عبيد الثقفي وسمية كانت عند كسرى فوهبها لابي الخير ملك من ملوك اليمن فدخل بها الطائف فرض فطبه الحارث بن كلدة فنفع فيه طبه فوهب له سمية فولدت ثقيفا ويكنى ابا بكرة ثم كانت تحت عبيد الثقفي فولدت له زيادا ويقال ان ابا سفيان واقعها على كره منها في حالة سكره بغيا فحملت منه بزياد وقالت لعبيد انه منك فكان عبيد يكنى به والسبب في اضافة ابي سفيان زياد الى نفسه ما ذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث زياد الى اصلاح فساد وقع باليمن فلما رجع خطب خطبة لم يسمع الناس مثلها فقال عمرو بن العاص والله لو كان هذا الغلام قرشيا لساق العرب بعصاه فقال ابو سفيان والله اني لاعرف من وضعه في رحم امه فقال له علي رضي الله عنه من هو يا ابا سفيان فاشار الى انه هو وكانت فلتة من ابي سفيان فذلك الذي حمل معاوية على الحاق زياد بابي سفيان وذلك في سنة اربع واربعين وشهد عنده مالك بن ابي ربيعة والمنذر

ابن الزبير على اقرار ابى سفيان انه ولده وكان ابو بكرة يقول والله ما رأت سمية ابا سفيان
وقال بعضهم لعامر بن شراحيل الشعبي هل تجوز الصلاة خلف ولد الزنا قال نحن منذ ثلاث
سنة نصلى خلفه ونرجو من الله القبول والعفو وقال زياد لرجل يا ابن الزانية قال السبني بمن
شرفت به أنت وآباؤك وقال بعضهم كان زياد بن عبيد من موالى ثقيف ثم تعالت به الحال
وظهرت قوته وحزامته حتى ولى فارسا لعلى ثم احتمل مالا وهرب الى معاوية وانتهى امره الى ا
ادعاه معاوية أخا لما رأى من نجابته ومن اصابة رأيه وجمع له بين العراقين ولايته وهو أول من
جمع له والمراد بالعراقين عراق العرب وعراق العجم فعراق العرب فتح في زمن عمر بن الخطاب
عنوة بفتح العين أى قهرا وقسمه عمر رضى الله عنه بين الغانمين ثم طيب قلوبهم فبذلوه له ثم وقفه
ما سوى مساكنه وأبنيته على المسلمين وآجره لاهله اجارة مؤبدة للمصلحة الكلية بخراج معلوم
يؤدونه كل سنة فجريب الشعير درهما والبر أربعة والشجر وقصب السكر ستة والنخل ثمانية
والعنب عشرة والزيتون اثنا عشر وجملة مساحة الجريب ثلاثة آلاف وستمائة ذراع
والباعث له على وقفه خوف اشتغال الغانمين بفلاحته عن الجهاد وحده طولا من أول
عبادان بتشديد الموحدة الى آخر حديثة الموصل وحده عرضا من أول القادسية الى آخر
حلوان بضم المهملة والصحيح ان البصرة وان كانت داخلة في حد العراق فليس لها حكمه لانها
كانت سبخة أحياها عثمان بن أبى العاص وعتبة بن غزوان في زمن عمر رضى الله عنهم اجمعين
سنة سبع عشرة بعد فتح العراق والصحيح ان ما في العراق من الدور والمساكن يجوز بيعه لعدم
دخوله في وقفه وخراج العراق يصرف لمصالح المسلمين ومن مدائن عراق العرب بغداد وهى
مدينة عظيمة بناها المنصور في الجانب الغربى على الدجلة وأنفق عليها اموالا عظيمة يقال انه
انفق عليها اربعة آلاف ألف دينار وكانت في أيام البرامكة مدينة عظيمة يقال ان حماماتها
حصرت في وقت من الاوقات فكانت ستين ألفا وكان بها من العلماء والوزراء والفضلاء
والرؤساء والسادات مالا يوصف قال الطبرى أقل صفة بغداد انه كان فيها ستون ألف حمام
حمام يحتاج على الاقل الى ستة نفر سواق ووقاد وزبال ومدولب وقائم وحارس وكل واحد من
هؤلاء في مثل ليلة العيد يحتاج الى رطل صابون لنفسه ولاهله ولاولاده فهذه ثلاثمائة ألف
رطل وستون ألف رطل صابون برسم فعلة الحمامات لاغير فما ظنك بسائر الناس وما يحتاجون
اليه من الاصناف في كل يوم ومن مدائنه أيضا المدائن وهى مدائن قديمة جاهلية وبها آثارها
وبها ايوان كسرى المضروب به المثل واقليمها يعرف بأرض بابل ومن مدائنه النيل وهى مدينة
حسنة وهى على الفرات بين بغداد والكوفة وسبب تسميتها بالنيل ان الحجاج بن يوسف حفر نهرا
من الفرات وسماه النيل باسم نيل مصر واجراه اليها وعليه مدن عظيمة وقرى ومزارع ومن
مدائنه نينوى يقال انها المدينة التى بعث اليها يونس بن متى عليه الصلاة والسلام ومن
مدائنه الكوفة وهى على شاطئ الفرات بها ابنية حسنة ونخل كثير وتمر طيب جدا ومن مدائنه
البصرة وحدثت في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقال انه كان بها سبعة آلاف مسجد
وشرقى البصرة مياه الانهار وهى تزيد على عشرة آلاف نهر لكل نهر اسم ينسب الى صاحبه
الذى حفره والغالب على هذه الانهار الملوحة وحكى بعض التجار أنه اشترى التمر بها خمسمائة

رطل بدينار وهو عشرة دراهم ومن مدائنه واسط وهي بين البصرة والكوفة وهي اعمر بلاد العراق وعليها معمود ولاة بغداد ومن مدائنه عبادان وهي مدينة عامرة على شاطئ البحر في الجهة الغربية من الدجلة في قعر البحر الفارسي خشبات منصوبات باحكام وهندسة وعليها الواح مهندسة يجلس عليها حراس البحر ومعهم زورق شقه الايمن للعراق والايسر لفارس وأما عراق العجم فهو اقليم عظيم ويسمى اقليم خراسان كما انه يسمى عراق العجم وله نحو من خمسمائة مدينة وقواعد خارجة من القرى ومن مدائنه همدان ونيسابور وقم وخراسان واصبهان وجرجان واردبيل وطوس فسبحان خالق الخلق ومالكهم ومحصيهم ومدبرهم لا اله الا هو لا شريك له في ملكه * ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفي واول امره وكيفية وصوله الى عبد الملك بن مروان انه لما اشتدت شوكة اهل العراق على عبد الملك بن مروان خطب الناس وقال ان نيران أهل العراق قد علا لهبها وكثر حطبها فجمرها حار وشهابها وار فهل من رجل شديد ذي سلاح عتيد ابعثه لها فقام الحجاج فقال انا يا أمير المؤمنين قال ومن أنت قال الحجاج بن يوسف بن الحكم ابن عامر فقال له اجلس ثم اعاد الكلام فلم يقم أحد غير الحجاج فقال كيف تصنع ان وليتك قال اخوض الغمرات واقتحم الهلكات لمن نازعني حاربته ومن هرب مني طلبته ومن لحقته قتلته وعلى أمير المؤمنين أن يجرب فان كنت للاوصال قطاعا وللارواح نزاعا وللاموال جماعا والا فاستبدل بي فقال عبد الملك من تأدب وجد بغيته اكتبوا له كتابا ولؤم الحجاج من قبل رضاعه فقيل ان ام الحجاج كانت عند الحارث بن كلدة فطلقها وتزوجها يوسف بن عقيل الثقفي فولدت له الحجاج وقيل ان أمه الفارعة بنت مسعود الثقفية وكانت قبل ان يتزوجها يوسف عند المغيرة بن شعبة فدخل عليها يوما حين اقبل من صلاة الغداة وهي تتخلل فقال لها يا فارعة لئن كان هذا التخلل من اكل اليوم انك لنهمة وان كان من اكل البارحة انك لقذرة أعتدي فانت طالق فقالت سخنت عينك من مطلاق ماهو من ذا ولا من ذاك ولكني استكت فتخللت من سواكي فاسترجع ثم خرج فلقي يوسف بن الحكم بن عقيل فقال اني قد نزلت اليوم عن خير نساء ثقيف وحدثه بالقصة فتزوجها يوسف فولدت له الحجاج مشوها لادبر له فثقب دبره وأبى ان يقبل الثدي فاعياهم امره فتصور لهم الشيطان على صورة الحارث بن كلدة وأشار عليهم ان يذبح جدي اسود ويولغوه من دمه يومين وفي الثالث يذبح له تيس ويولغوه من دمه ويطلوا وجهه بما بقي منه فانه يقبل الثدي ففعلوا ذلك فاقبل على ثدي أمه فاكسبه الرضاع الاول لؤما وأما الرضاع الثاني فغير الطباع فكان في كبره سفاكا للدماء فلما بلغ أشده صار هو وأخوه معلمين بالطائف وقد هجاه بعضهم بقوله

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف * كما كان عبدا من عبيد زياد

زمان هو العبد المقر بذله * يراوح صبيان القرى ويغادي

وقال آخر يذكر تعلمه الصبيان * أينسى كليب زمان الهزال * وتعليمه سورة الكوثر والكوثر قرية في الطائف كان الحجاج معلما بها وعلى هذا يكون اسمه كليبا وهو الاولى به وقد تقدم منه الولوغ للدم في صغره ورضاعه كما تقرر ومما يؤيد ماذكر من لؤمه ما كتب اليه به عبد الملك بن مروان لما أراد قتل أنس بن مالك أما بعد فانك طغت بك الامور وعلوت فيها حتى

تعديت طورك وايم الله يا ابن المستفرمة بجم الزبيب لاركضن بك ركضة تدخل بها في جحس أملك فاذكر مكاسب آبائك بالطائف اذ كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم ويحفرون الآبار بأيديهم قد نسيت ما كنت عليه وآباؤك من الدناءة واللؤم فلعنك الله اخفش العينين اصك الرجلين ممسوح الساعدين ولن يخفى على تبوّك لكل نبا مستقر وسوف تعلمون * ذكر أهل التواريخ انه لما مات الحجاج احصى من قتل صبرا سوى من قتل في حروبه وسراياه فوجدوا مائة ألف وعشرين ألفا ومات في حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد لم يكن يحبسه سماء تقيهم الحر والبرد وكان الحراس يمنعونهم اذا استظلوا من حر الشمس وزمهرير البرد * وذكر أهل التاريخ أيضا انه ركب يوم جمعة يريد الجامع فسمع ضجة عظيمة فقال ما هذا قالوا أهل السجن يشكون ما هم فيه فالتفت الى ناحيتهم وقال اخسؤا فيها ولا تكلمون فيقال انه مات في تلك الجمعة بواسط سنة خمس وتسعين وهو ابن أربع وخمسين سنة وكان آخر كلام سمع منه اللهم اغفر لى فان عبادك يظنون ان لا تفعل وكانت مدة امارته على الناس عشرين سنة الا اسبعة أيام * قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿عيشة الزاهد في تحصيلها * عيشة الجاهد بل هذا أذل﴾

أى عيشة الشخص الزاهد في الدنيا وفي تحصيلها وجمعها كعيشة الشخص الجاهد بالدال المهملة أى المجتهد المنهمك على الدنيا وجمعها في ان كلا منهما لا يأكل ولا يلبس الا ما كتب الله له في ازله ثم اضرب الناظم عن التساوى بينهما فقال بل هذا أى الشخص الجاهد اذل عند الله وعند الناس من الزاهد فيها لما يترتب على جمعها من التذلل لاهلها والتواضع لهم * وذكر عن يحيى بن معاذ انه قال في اكتساب الدنيا ذل النفوس وفي اكتساب الآخرة عز النفوس فيا عجبا لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى ويترك العز الذى يبقى * وقال في تنبيه الغافلين روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال انا زعيم لثلاثة بثلاثة للمكب على الدنيا والحريص عليها والشحيح بها بفقر لا غنى وشغل لا فراغ وهم لا فرح * وروى عن أبي عثمان النهدى رضى الله عنه أنه قال رأيت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه قميصا فيه اثنتا عشرة رقعة وهو على المنبر يخطب وروى عن أبي ذر انه قال انى لاعرف بالناس من البيطار بالدواب فاما خيارهم فالزاهدون في الدنيا وأما شرارهم فمن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه * وروى حميد الطويل عن معروف العجلى قال قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر فقال يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فافنيت أو لبست فابليت أو تصدقت فابقيت * وروى عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يا عائشة ان أردت اللحوق بى فيكفيك من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلقى ثوبا حتى ترقعيه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم من أحبنى فارزقه العفاف والكفاف ومن أبغضنى فأكثر ماله وولده * وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الفقر مشقة في الدنيا مسرة في الآخرة والغنى مسرة في الدنيا مشقة في الآخرة * وروى عن الحسن انه قال ما أنصفنا اخواننا الاغنياء لانهم يأكلون ونحن نأكل ويشربون ونحن نشرب ويلبسون ونحن نلبس ولهم فضول أموالهم ينظرون اليها ونحن ننظر اليها معهم وهم يحاسبون عليها ونحن منها

براءة * وروى عن شقيق الزاهد انه قال اختار الفقراء ثلاثة أشياء واختار الاغنياء ثلاثة أشياء اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الاغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب * وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل أمة فتنة وان فتنة أمتي هذا المال * وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عرضت على بطحاء مكة ذهبا فقلت يارب أشبع يوما وأجوع يوما فاحمدك اذا شبعت وأتضرع اليك اذا جعت اه (فائدة) قال في الفتح واعلم ان مثل أهل الدنيا في غفلتهم كمثل قوم ركبوا سفينة فانتهوا الى جزيرة معشبة فخرجوا لقضاء الحاجة فحذرهم الملاح من التأخر فيها وأمرهم أن يقيموا بقدر حاجتهم وحذرهم من أن يقلع بالسفينة ويتركهم فبادر بعضهم فرجع سريعا فصادف خير الامكنة وأحسنها فاستقر فيه وانقسم الباقون أقساما الاول استغرق في النظر الى أزهارها المونقة وأنهارها وأثمارها الطيبة وجواهرها ومعادنها ثم استيقظ فبادر الى السفينة فلقي مكانا دون الاول فنجا في الجملة * القسم الثاني كالاول لكنه أكب على تلك الجواهر والثمار والازهار ولم تسمح نفسه بتركها فحمل منها ماقدر عليه فتشاغل بجمعه وحمله فوصل الى السفينة فوجد مكانا أضيق من الاول ولم تسمح نفسه برمي ما استصحبه فصار مثقلا به ثم لم يلبث اذ ذبلت الازهار ويبست تلك الثمار وهاجت الرياح فلم يجد بدا من القاء ما استصحبه حتى نجا بحشاشة نفسه * القسم الثالث غفل عن وصية الملاح ثم سمع نداء بالرحيل فمر فوجد السفينة قد سارت فبقي بما استصحبه في البر حتى هلك * القسم الرابع اشتدت به الغفلة عن سماع النداء وسارت السفينة فتقسم فرقا فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه على وجهه حتى هلك ومنهم من مات جزعا ومنهم من نهشته الحيات فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة وما أقبح من يزعم أنه عاقل ثم يغتر بالاحجار من الذهب والفضة والازهار والثمار وهو لا يصحبه شئ من ذلك بعد الموت اه قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

* كم جهول وهو مثر مكثر * وعليم مات منها بالعلل *

هذا البيت والذى بعده من تعلقات قوله في عاداتها تخفض العالي وتعلي من سفل أى كم رأينا شخصا جهولا أى متصفا بالجهل وعدم العلم وهو مثر بضم الميم وسكون المثلثة أى كثير المال فقوله مكثر عطف تفسير قال في المصباح الثروة كثرة المال وأثرى اثراء استغني والاسم منه الثراء بالفتح والمد وقوله وعليم بالجر معطوف على جهولا أى وكم رأينا شخصا عليما أى متصفا بكثرة العلم مات منها أى من أجل هذه الدنيا بالعلل لضيق العيش عليه والعلل جمع علة قال في المصباح العلة المرض الشاغل والجمع علل مثل سدرة وسدر اه ولله در القائل

عتبت على الدنيا لرفعة جاهل * وتأخير ذى فضل فقالت خذ العذرا
بنو الجهل أبنائي لهذا رفعتهم * وأهل التقى أبناء ضرتي الاخرى

ولله در سيدى عبد الرحمن الملاح حيث قال في تخميسه

سائر الاقوال عنها تقصر * ولكم قد حار فيها معشر * حكمة قد حيرت من يبصر
كم جهول وهو مثر مكثر * وعليم مات منها بالعلل

ولله در امامنا الشافعي حيث قال

محن الزمان كثيرة لا تنقضي * وسروره يأتيك كالاعياد
ملك الاكابر فاسترق رقابهم * وتراه رقا في يد الاوغاد

وقال الآخر
رأيت الدهر لا شراف يكبو * ويرفع راية القوم اللئام
كأن الدهر معشوق حسود * يطالب حقه عند الكرام

وقال آخر
يادهر صافيت اللئام ولم تزل * أبدا لابناء الكرام معاندا
وعرفت كالميزان ترفع ناقصا * أبدا وتخفض لامحالة زائدا

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿كم شجاع لم ينل منها المنى * وجبان نال غايات الامل﴾

أي كم رأينا شخصا شجاعا أي قوي القلب لم ينل أي لم يبلغ منها المنى بضم الميم جمع منية كمدية ومدى والمنية ماتمناه الانسان وكم رأينا شخصا جبانا أي ضعيف القلب نال أي بلغ غايات الامل جمع غاية وهي آخر الشئ وأكثر مايستعمل الأمل فيما يستبعد حصوله قال كعب بن زهير رضي الله تعالى عنه

أرجو وآمل أن تدنو مودتها * وما اخال لدينا منك تنويل

بخلاف الطمع فانه لا يكون الا فيما قرب حصوله فان عزمت على سفر الى بلد بعيد تقول أملت الوصول ولا تقول طمعت الا ان قربت منها وأما الرجا فهو بين الامل والطمع لان الراجي قد يخاف أن لا يحصل ماموله فان قوي الخوف استعمل بمعنى الامل وعليه بيت كعب بن زهير رضي الله عنه والا استعمل بمعنى الطمع هكذا يستفاد من المصباح (فائدة) الشجاع هو الذي لا يهاب القتال اذا التقى الجمعان قال في المصباح شجع بالضم شجاعة قوي قلبه واستهان بالحروب فهو شجيع وشجاع وبنو عقيل تفتح الشين حملا على نقيضه وهو جبان وبعضهم يكسرها للتخفيف ويجمع الشجاع على شجعة مثل غلام وغلمة وعلى شجعاء مثل شريف وشرفاء والجبان بفتح الجيم هو ضعيف القلب الذي لا يصبر على القتال بل يولي هاربا وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم بالشجاعة واستعاذ من الجبن فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي في وصيته له كن شجاعا فان الله تعالى يحب الشجاع وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال في دعائه اللهم اني أعوذ بك من الجبن والبخل انتهى ومن عرف بالشجاعة العظمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنس ابن مالك رضي الله عنه لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت وعرف الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا لن تراعوا ومن الشجعاء أيضا أبو بكر الصديق رضي الله عنه فانه يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم قوي قلبه بخلاف غيره فان عمر رضي الله عنه كذب بموته وأما عثمان رضي الله عنه فجعل لا يكلم أحدا وأما علي رضي الله عنه فقعد في بيته ولم يبرح منه فدخل أبو بكر وهو ثابت العقل مصيب في القول فأكب عليه صلى الله عليه وسلم وكشف عن وجهه الكريم وقبل جبينه وبكى ثم خرج والناس قد تاهت عقولهم فصعد المنبر وقال من جملة خطبته من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت

ثم

ثم تلا وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزى الله الشاكرين قال عمر فوالله لكأنى لم أسمعها قط فى كتاب الله * ومن الشجعاء أيضا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكان موصوفا بالشدة والشجاعة وكان يضع يده اليمنى على اذنه اليسرى ثم يثب على فرسه * ومن الشجعاء أيضا على بن أبى طالب كرم الله وجهه فكان شجاعا بطلا ذكر عنه انه قتل ليلة الهرير من حرب صفين خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلا وكان اذا ضرب لا يثنى * ومن الشجعاء أيضا الزبير بن العوام رضى الله عنه قالوا لم يكن فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم فارس أشجع من الزبير ولا راجل أشجع من على انتهى * قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿فاترك الحيلة فيها واتئد * انما الحيلة فى ترك الحيل﴾

أى فاذا علمت ان الامور كلها من اعطاء ومنع ونفع وضر وعز وذل وغير ذلك بيد الله سبحانه وتعالى قدرها فى سابق أزله فاترك الحيلة فى الدنيا واتئد أى ترفق فى طلبها ولا تعجل فيه قال فى المصباح اتأد فى مشيه اتئادا ترفق ولم يعجل فيه اهـ وانما كانت الحيلة فى ترك الحيل لان الخير والشر والرزق وغير ذلك قد ثبت فى الازل وصار لا يقبل التغيير ولا التبديل فالحيلة فى جلب الخير أو فى دفع الشر لا فائدة فيها لان الذى سبق من خير أو شر واقع لا محالة فالتسليم وترك الحيلة أولى قال الله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وقال صلى الله عليه وسلم روح القدس وهو جبريل نفث فى روعى بضم الراء المهملة أى قلبى لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب * وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولهذا قال الشاعر

كم من قوى قوى فى تقلبه * مهذب الرأى عنه الرزق منحرف
وكم ضعيف ضعيف فى تقلبه * كأنه من خليج البحر يغترف
هذا دليل على ان الاله له * فى الخلق سر خفى ليس ينكشف

وقال آخر

كم عالم عالم ضاقت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الاوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا

وانما صار زنديقا النحرير وأشباهه فقط لعدم اسنادهم القسمة الى الحكيم المختار الذى يرزق من يشاء بغير حساب وأما أرباب البصائر فأجملوا فى الطلب ورضيت نفوسهم بالقسمة وأيقنوا بتصديق قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا وأما من قصرت درجته عن مقامهم من الموحدين كالشيخ الطغرائى فلم يزل مولعا بذم دهره وعدم الرضا على أهل عصره مع سلامة التوحيد واعتقاده ان الله فعال لما يريد رزقنا الله سبحانه وتعالى التسليم لقضائه وقدره آمين قال الناظم رحمه الله ونفعنا به آمين

﴿أى كف لم تفد مما تفد * فرماها الله منه بالشلل﴾

أى أى كف كانت لم تفد بضم المثناة الفوقية وكسر الفاء أى لم تعط مما تفد بضم أوله وفتح ثانيه أى من الشئ الذى أفاده الله اياها أى أعطاه وقوله فرماها الله أى أصابها منه أى من عنده بالشلل أى بفساد عروقها وبطلان حركاتها هذا هو الشلل ولما كانت الكف يصح تذكيرها

وثانيها أنها أولا فقال أى كف لم تفد عما تفدوذكرها ثانيا بقوله فرماه الله وفى نسخة فرماها الله وهى الاولى قال فى المصباح الكف من الانسان وغيره انتهى * قال ابن الانبارى وزعم من لا يوثق به ان الكف مذكر وأما قولهم كف مخضب فعلى معنى ساعد مخضب وجمعها كفوف وأكف مثل فلس وفلوس وأفلس قال الازهرى الكف الراحة مع الاصابع سميت بذلك لانها تكف الاذى عن البدن انتهى وفى هذا البيت الدعاء على الشخص البخيل بشلل يده لان الله تعالى نهى عن البخل بقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وأمر بالاحسان بقوله وأحسن كما أحسن الله اليك ويشبه هذا فى المعنى ماوعد الله به مانعى الزكاة بقوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة وقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون قال بعض أهل المعانى انما خص هذه الاعضاء دون غيرها بالذكر لان السائل اذا سأل البخيل لوى عنه وجهه فان ألح عليه أزور عنه بشق جنبه الذى يليه فاذا ألح عليه ولاه ظهره * وروى الخطيب أبو بكر أحمد بن على بن ثابت باسناده عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله جنة عدن قال لها تزينى فتزينت ثم قال لها أظهرى انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر ثم قال لها أظهرى حورك وحليك وحللك ثم قال لها تكلمى فقالت طوبى لمن دخلنى فقال الله عز وجل أنت حرام على كل بخيل وقال عليه الصلاة والسلام أقسم الله بعزته وعظمته وجلاله لايدخل الجنة شحيح ولا بخيل والشح أن تكون النفس حريصة على المنع والبخل هو نفس المنع وقال بعضهم لولم يكن فى البخلاء الاسوء الظن بربهم فى الخلف لكان عظيما قال الله تعالى وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين وكان أبو حنيفة رحمه الله لايرى قبول شهادة البخيل ويقول بخله يحمله على أن يأخذ فوق حقه مخافة أن يغبن فمن هذه حالته لا يكون مأمونا وقال بشر الحافى لاغيبة لبخيل ولشرطى سخى أحب الى الله من عابد بخيل وقالوا البخيل يملأ بطنه والجار جائع ويحفظ ماله والعرض ضائع قال الشاعر

ومن الجهالة بالمكارم أن ترى * جار يجوع وجاره شبعان

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلى

أرى الناس خلان الجواد ولا أرى * بخيلا له فى العالمين خليل

وانى رأيت البخل يزرى بأهله * فأكرمت نفسى أن يقال بخيل

وقال الحسن البصرى لم أر أشقى بماله من البخيل لانه فى الدنيا مهتم بجمعه وفى الآخرة محاسب على منعه غير آمن فى الدنيا من همه ولا ناج فى الآخرة من اثمه عيشه فى الدنيا عيش الفقراء وحسابه فى الآخرة حساب الاغنياء وكان محمد بن يحيى بن خالد بخيلا بالنسبة الى أبيه وأخويه جعفر والفضل فسئل محمد بن على عن مائدته فقال صحافها منقورة من خشب الخشخاش وبين الرغيف والرغيف ضربة اكرة وبين اللون واللون فترة نبى قيل ومن يحضرها قال خير خلق الله وشرهم قيل من هم قال الملائكة والذباب قيل أنت خاص به وثوبك مخرق فقال والله لو ملك

بيتاً من بغداد الى النوبة مملوأ ابراً ثم جاءه يعقوب النبي ومعه الملائكة شفعاء والانبياء كفلاء يسألونه اعارة ابرة يخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل * وقد نظم ذلك بعض الشعراء بقوله

لو أن دورك يا ابن أغلب كلها * ابر يضيق بها رحيب المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك ابرة * منها لقد قميصه لم تفعل

وقال الاصمعي قالت امرأة مدنية لزوجها اشتر لي رطبا فقال لها وكيف يباع الرطب فقالت كل كيلجة بدرهم فقال والله لو خرج الدجال وعاش في الارض وأنت تمخضين بعيسى والناس ينتظرون الفرج على يديه ثم لم تلديه حتى تأكلي الرطب ما اشتريته لك كل كيلجة بدرهم وكان جعفر بن سليمان بخيلا على الطعام رفعت المائدة من بين يديه يوما وعليها دجاجة صحيحة فأخذ منها بعض بنيه جناحا فلما أعيدت اليه بالغداة قال من هذا الذي تعاطى فعقر فقيل له ابنك الصغير فقطع أرزاق جميع بنيه من أجله فلما طال ذلك منه وأضر بهم الحال جاء أكبرهم وقال يا أبانا أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فأعجبه ذلك وأمر برد أرزاقهم اليهم * وقال بعض الاكياس دعاني كوفي الى منزله وقدم لي دجاجة فأكلت من المرقة وجهدت أن آكل من اللحم فما قدرت وبت عنده فأعاده من الغد الى القدر وطبخه وقدمه الي فأكلت من المرق وجهدت أن آكل من الدجاجة فما قدرت لشدته فبت عنده الليلة الثانية فلما كان من الغد قال للغلام اطرح على اللحم من المرق ليصير قلية ففعل ثم قدمه الي فأكلت من المرق وجهدت أن آكل من اللحم فلم أقدر لقوته فأخذت قطعة من اللحم ووضعتها الى جهة القبلة وقت لأصلي عليها فقال ما هذا الذي تصنع فقلت أشهد أنه لحم ولي من أولياء الله تعالى فانه قد أدخل النار ثلاث مرات فلم تفعل شيأ فلما أردت الانصراف واذا ببعض جيرانه يدق الباب فقال أعرني ديك اللحم لضيف لاطبخه له وأرده اليك ان شاء الله تعالى فناولته اياه (ومن نوادر القطان) انه جلس يأكل هو وزوجته طعاما فقال لها اكشفي رأسك ففعلت وقرأ هو سورة الاخلاص فسألته زوجته عن ذلك فقال المرأة اذا كشفت رأسها هربت الملائكة واذا قرئت سورة الاخلاص هربت الشياطين وأنا أكره الزحمة على المائدة * وقال الحسن بن علي رضي الله عنه البخل جامع المساوي والعيوب وقاطع المودات من القلوب نسأله سبحانه وتعالى التوفيق لما يحب ويرضى * قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

*(لا تقل أصلي وفصلي أبدا * انما أصل الفتى ما قد حصل)*

أي لا تقل يكفيني شرف أصلي أي والدي وفصلي أي ولدي أي لا تتكل على ما حصل لوالدك أو ولدك من الفضل والشرف لانهما لا يغنيان عنك من الله شيأ بل حصل أنت شيأ ينفعك عند الله سبحانه وتعالى من الاعمال الصالحة فعليك بخاصة نفسك قال تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه وقال تعالى يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ وقال تعالى يوم لا تجزي نفس عن نفس شيأ وقال تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وقال صلى الله عليه وسلم من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه أي من قصر به عمله السيئ لم ينفعه شرف نسبه ولم يجبر نقصه به فلا يلحقه نسبه مرتب أصحاب الاعمال الكاملة لان المسارعة الى السعادة انما هي بالاعمال لا بالانساب لقوله عز وجل ان أكرمكم عند الله

أنسابكم وقوله صلى الله عليه وسلم ائتونى بأعمالكم لا تأتونى بأنسابكم فان قلت قوله تعالى والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ يدل على أن شرف النسب ينفع فان المفسرين فسروه بان ذريات المؤمنين صغارا كانوا أو كبارا يلحقون بآبائهم فى المراتب من غير أن ينقص من مراتب الآباء شئ وفى الحديث ان الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقربهم عينه اه ويؤخذ منه ان الاب اذا كان دون ولده فى الدرجة أنه يرفع فى درجة ولده للعلة المذكورة فما وجه التوفيق بين هذا وبين حديث من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه فالجواب أن المذكور فى الآية وحديث ان الله يرفع ذرية المؤمن يكون فى الجنة والحديث المذكور وهو من أبطأ به عمله محمول على الصراط وفى لفظ الابطاء والاسراع اشارة لذلك ويؤيده ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يكون رجل هو آخر من يجوز على الصراط فيلتفت فلا يرى وراءه أحدا فيقول يارب أبطأت بى فينادى يا عبدى انى لم أبطئ بك وانما أبطأ بك عملك اه وقال فى غرر الخصائص الواضحة مادة الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية * وقالوا شرف الانسان بفضله لا باصله * وجلالته بأدبه لا بنسبه فافتخر بالعلوم العالية لا بالعظام البالية وقالوا من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه ولله در القائل

وما الحسن فى وجه الفتى شرف له * اذا لم يكن فى فعله والخلائق

وقالوا الشرف بالفضل والادب لا بالاصل والنسب وما أحسن ما قال بعضهم

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك مضمونه عن النسب
ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

وأنشد الحريرى فقال

وما الفخر بالعظم الرميم وانما * فخار الذى يبغى الفخار بنفسه

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

*(قد يسود المرء من غير أب * وبحسن السبك قد ينفى الزغل)*

أى قد يشرف المرء من غير أب أى من غير شرف أب وبحسن السبك قد ينفى الزغل قال فى المصباح سبكت الذهب سبكا من باب قتل أذبته وخلصته من زغله والسبيكة القطعة المستطيلة والجمع سبائك اه وقد أورد الناظم رحمه الله تعالى فى هذا البيت والبيت الذى بعده أمثلة قياسية يتم بها الحجة على ما ادعاه من أن السيادة والشرف قد يحصلان للانسان دون آبائه وأجداده كرامة من الله تعالى كما هو مشاهد ومعلوم بالضرورة فانا نشاهد أشخاصا كثيرين خصهم الله تعالى بالعلم والسيادة ومكارم الاخلاق ولم يخص بها أحدا من آبائهم وأجدادهم ونشاهد أيضا أن الفضة المغشوشة اذا صليت بالنار صفت من الغش وخلصت من الزغل فقد سادت على أصلها * قال الناظم رحمه الله تعالى

*(وكذا الورد من الشوك وما * يطلع النرجس الا من بصل)*

أى ومن الامثلة الورد المعلوم فانه مع حسن نضارته وحمرة لونه وسلطنته على الازهار يطلع من الشوك المؤذى طبعا فهى المعلوم ضرورة انه قد ساد على أصله وعن النبى صلى الله عليه وسلم

أنه قال لما أسري بي الى السماء سقط على الارض من عرقي فنبت منه الورد فمن أحب أن يشم رائحتي فليشم الورد أخرجه ابن عدي في كامله * وعن أنس رضي الله عنه مرفوعا الورد الابيض خلق من عرقي ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق جبريل والورد الاصفر خلق من عرق البراق أخرجه ابن فارس في كتاب الريحان * وروى ابن القيم في تاريخه بسنده الى علي بن عبد الله الهاشمي قال دخلت الهند فرأيت في بعض قراها وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء مكتوب عليها بخط أبيض لا اله الا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت في ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة لم تفتح ففتحتها فكان فيها مثل ذلك وقوله يطلع هو بضم اللام من باب قعد كما في المصباح * ومنها أيضا النرجس وهو بكسر النون والجيم على المشهور المختار ويجوز فتحهما مع كسر الجيم أيضا كما في المصباح وهو زهر ذكي الرائحة ومع ذكاء رائحته وصفاء لونه ونضارته يطلع من البصل وهو خبيث طعما ورائحة فمعلوم ضرورة أيضا أنه ساد عن غير أصل * ومما جاء في النرجس ما ورد عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه شموا النرجس ولو في اليوم مرة ولو في الشهر مرة ولو في الدهر مرة فان في القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها الا شم النرجس * وقال بقراط كل شئ يغذو الجسم والنرجس يغذو العقل * وقال الحسن بن سهل من أدمن شم النرجس في الشتاء أمن من البرسام في الصيف وقال بعض ظرفاء الأدباء النرجس نزهة الطرف وظرف الظرف وغذاء الروح ومادة الروح * وقال كسرى اني لأستحي أن أباشع أي أجامع في مجلس فيه النرجس لانه أشبه شئ بالعيون الناظرة وفيه يقول الشاعر

وإذا قضيت لنا بعين مراقب * في الحب فلتك من عيون النرجس

وقال الشاعر قد أكثر الناس في تشبيههم أبدا * للنرجس الغض بالاجفان والحدق

وما أشبهه بالعين اذ نظرت * لكن أشبهه بالعين والورق

وذكر بعضهم انه نافع من البلغم ومن الصداع البارد ومن سائر الامراض الباردة اهـ من حاشية سيدي أحمد السجاعي على القطر * وقال الجلال السيوطي رؤي أبو نواس في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي بأربعة أبيات قلتها في النرجس وهي

تأمل في رياض الارض وانظر * الى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين شاخصات * بأحداق كما الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات * بأن الله ليس له شريك

وأن محمدا عبد رسول * الى الثقلين أرسله المليك

(فائدة) بقي من الامثلة التي ساد فيها الشئ على أصله شيئان لم يذكرهما الناظم أحدهما العسل فانه مع صفاء لونه وحلاوة طعمه وشفاء الناس به يخرج من بطون ذباب النحل فمعلوم انه ساد عن غير أصل ثانيهما الحرير بجميع أنواعه من ابريسم وديباج وغير ذلك فانه مع نعومته وغلو ثمنه ومنافعه العامة التي لم توجد في غيره يخرج من دودة ضعيفة رقيقة الجسم جدا فمعلوم انه ساد عن غير أصل قال الملاح في تخميسه

ان تكن ممن باصل كرما * لمن النحل شفاء علما * ومن الدود حريرا أحكما

وكذا الورد من الشوك وما * يطلع النرجس الا من بصل

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

*(مع أني أحمد الله على * نسبي اذ بأبي بكر اتصل)*

أي لا تتوهم أيها السامع ان قولي لك لا تقل أصلي ناشئ من عدم اتصال نسبي بأصل شريف بل هو من النصيحة المأمور بها والا فأنا أحمد الله سبحانه وتعالى فان نسبي متصل بأفضل الاولين والآخرين بعد النبيين والمرسلين وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه وتحدثت بذلك امتثالا لقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وانما احمد الله تعالى على المنعم به أي في مقابلته لا مطلقا لان الاول واجب والثاني مندوب واتصال نسبه رضي الله عنه بأبي بكر صحيح لا خلاف فيه وأما أبو بكر رضي الله عنه فهو الامام الافضل والخليفة الاكمل عبد الله بن عثمان المكنى بأبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب التيمي أسلم هو وأبوه وأمه وفي أولاده وأولادهم من عد من الصحابة منهم عبد الله بن الزبير أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ولقب بالصديق لانه أول رجل آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به ولقب بعتيق أيضا لعتقه من النار وهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنص القرآن فمن أنكر صحبته كفر بخلاف غيره من بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وقد شبهه النبي صلى الله عليه وسلم بميكائيل في الرأفة والرحمة وبابراهيم الخليل في الوقار والعفو وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر ونزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الله عز وجل يقول لك أنا راض عن أبي بكر الصديق فهل هو راض عني وأخرج أبو يعلى عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل آنفا فقلت يا جبريل حدثني بفضائل عمر بن الخطاب فقال لو حدثتك بفضائل عمر منذ ما لبث نوح في قومه ما نفدت فضائل عمر وان عمر حسنة من حسنات أبي بكر وأخرج أبو يعلى أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرج بي الى السماء فما مررت بسماء الا وجدت فيها محمد رسول الله وأبو بكر الصديق خلفي وأخرج ابن أبي حاتم عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم قال أبو بكر يا رسول الله لو أمرتني أن أقتل نفسي لفعلت قال صدقت وروى ابن عساكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خصال الخير ثلاثمائة وستون خصلة اذا أراد الله بعبد خيرا جعل فيه خصلة منها يدخل بها الجنة فقال أبو بكر يا رسول الله أفي شئ منها قال نعم كلها فيك فهنيئا لك يا أبا بكر وأخرج ابن عساكر عن عائشة مرفوعا الناس كلهم يحاسبون الا أبا بكر وقال عمر بن الخطاب لو وزن ايمان أبي بكر بايمان أهل الارض لرجح بهم وقال وددت أني شعرة في صدر أبي بكر وقال علي رضي الله عنه خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر لا يجتمع حبي وبغض أبي بكر وعمر في قلب مؤمن وقال علي أيضا لا يفضلني أحد على أبي بكر الا جلدته حد المفتري وقال أبو بكر بن عياش سألني الرشيد وقال يا أبا بكر كيف

استخلف

استخلف الناس أبا بكر الصديق فقلت يا أمير المؤمنين بن سكت الله وسكت رسوله وسكت المؤمنون فقال والله ما زدتني الا عمى قلت يا أمير المؤمنين مرض النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية أيام فدخل بلال عليه فقال يا رسول الله من يصلي بالناس قال مر أبا بكر يصلي بالناس فصلى أبو بكر بالناس ثمانية أيام والوحي ينزل فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسكوت الله وسكت المؤمنون لسكوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعجبته فقال بارك الله فيك وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجت مكة فسمع أبو قحافة ذلك فقال ما هذا قالوا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمر جلل فمن قام بالامامة بعده قالوا ابنك فقال هل رضيت بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة قالوا نعم قال اللهم لا واضع لما رفعت ولا رافع لما وضعت وقال مصعب بن الزبير كانت لابي بكر في الاسلام المواقف الرفيعة منها قصة ليلة الاسراء وثباته وجوابه للكفار في ذلك وهجرته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك عياله وأطفاله وملازمته له في الغار ثم كلامه يوم بدر ويوم الحديبية حين اشتبه على غيره الامر في تأخر دخول مكة ثم بكاؤه حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عبدا خيره الله بين الدنيا والآخرة ثم ثباته في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبته الناس وتسكينهم ثم قيامه في قضية البيعة بمصلحة المسلمين ثم اهتمامه وثباته في بعث جيش أسامة بن زيد الى الشام ثم قيامه في قتال أهل الردة وكم للصديق رضي الله عنه من مواقف ومآثر ومناقب وفضائل لا تحصى وعن عائشة رضي الله عنها أن رجلا قال لها صفي لنا أبا بكر فقالت رجل أبيض نحيف خفيف العارضين وعن عائشة أيضا قالت كان أول بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لا يخرج الى صلاة وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة مثل عمر النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها قالت تمثلت بهذا البيت وأبو بكر في النزع

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

فقال أبو بكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفن رضي الله عنه في ثوبين قديمين بأمره رضي الله عنه وقال ان الحي أحوج الى الجديد من الميت وأوصى أن تغسله امرأته أسماء بنت عميس ويعينها عبد الرحمن بن أبي بكر ونزل في حفرته عمر وطلحة وعثمان وعبد الرحمن بن أبي بكر ودفن ليلا بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل رأسه عند كتفيه صلى الله عليه وسلم ومات والده أبو قحافة بعده بستة أشهر وأيام في المحرم سنة أربع عشرة وهو ابن سبع وتسعين سنة رضي الله تعالى عن هذا الولد ووالده ونفعنا ببركة هذا البيت في الدارين آمين قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين ❁قيمة الانسان ما يحسنه * أكثر الانسان منه أو أقل❁

هذا البيت مأخوذ من كلام الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لكل شئ قيمة وقيمة المرء ما يحسنه اه والقيمة كما في المصباح الثمن الذي يقاوم المتاع أي يقوم مقامه والجمع قيم مثل سدرة وسدر اه ولكن المراد من النظم أن رفعة الانسان وشرفه على قدر ما يحسنه أي يعرفه ويتقنه من العلوم والصنائع ان قليلا فقليل وان كثيرا فكثير كما قال الناظم أكثر الانسان منه أو أقل وأظهر في مقام الاضمار لضرورة النظم ودل قوله تعالى تعلمونهن مما

عليكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم على أن الكلب المعلم فضيلة على غيره من سائر الكلاب فالانسان اذا كان له علم فأولى أن يكون له فضل على غيره وما أحسن ما قيل

فافخر بعلم ولا تجهل به أبدا * فالناس موتى وأهل العلم أحياء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه * والجاهلون لاهل العلم أعداء

وهذا النظر للحوادث وأما بالنظر للمولى سبحانه وتعالى فان رفعة كل انسان عنده على قدر الاعمال الصالحات كما قال تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون فان قيل قد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله قيل ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل فالجواب عنه أن نفس الدخول لا يكون بالاعمال وانما هو بفضل الله ورحمته وأما غير الدخول كالغرف والقصور والحور والولدان وغير ذلك مما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين في الجنة فهو على قدر الاعمال الصالحات أكثر الانسان منها أو أقل قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

*(اكتم الامرين فقرا وغنى * واكسب الفلس وحاسب من بطل)*

أي اكتم بضم الهمزة والمثناة الفوقية فعل أمر وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين والامرين مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء لانه مثنى وفقرا وغنى بدل من الامرين واكسب بكسر السين المهملة أي اكتسب الفلس بفتح الفاء وسكون اللام وار بحه ولا تستقله وحاسب من بطل أي الذي بطل أي شجع ولا تفت له مالك خوفا منه قال في المصباح رجل بطل أي شجاع والجمع أبطال مثل سبب وأسباب اه فيستحب للفقير أن يكتم فقره عن الناس بمعنى انه لا يظهر الفقر والمسكنة على جهة التضجر فان الفقر شعار عباد الله الصالحين روى زيد بن أسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال بعث الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم أحبهم الله فقال يارسول الله ان الاغنياء قد ذهبوا بالخير كله هم يحجون ونحن لا نقدر عليه ويتصدقون ونحن لا نقدر عليها ويعتقون ولا نقدر عليه فاذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخرا فقال صلى الله عليه وسلم بلغ عني الفقراء أن لمن صبر منكم واحتسب ثلاث خصال ليس للاغنياء منها شئ أما الخصلة الاولى فان في الجنة غرفة من ياقوتة حمراء ينظر اليها أهل الجنة كما ينظر أهل الارض الى النجوم لا يدخلها الا نبي فقير أو شهيد أو مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو مقدار خمسمائة عام يتمتعون فيها كيف شاؤا ويدخل سليمان بن داود عليه السلام بعد دخول الانبياء عليهم السلام الجنة بأربعين سنة وذلك بسبب ما أعطاه الله تعالى في الدنيا والثالثة اذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر مخلصا ويقول الغني مثل ذلك مخلصا لم يلحق الغني الفقير وان أنفق الغني معها عشرة آلاف درهم وكذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم الرسول وأخبرهم بذلك فقالوا رضينا يارب وروى أن الملائكة تقول يارب عبدك الكافر تبسط له الدنيا وتزوى عنه البلاء فيقول الله للملائكة اكشفوا لهم عن عقابه فاذا رأوه قالوا يارب لا ينفعه ما أصابه من الدنيا ويقولون يارب عبدك المؤمن تزوى عنه الدنيا

وتعرضه للبلاء فيقول الله للملائكة اكشفوا لهم عن ثوابه فاذا رأوا ثوابه قالوا يارب لا يضره ما أصابه من البلاء وروى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أكثروا من معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادي فان لهم دولة قالوا يارسول الله وما دولتهم قال اذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة ومن سقاكم شربة ومن كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به الى الجنة وعن الضحاك قال من دخل السوق فرأى شيأ يشتهيه فصبر واحتسب كان له خير امن مائة ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله اهـ ومن تنبيه الغافلين ويستحب للفقر أيضا أن يكون صابر اللاحاديث السابقة ولئلا يشمت به أعداؤه وأن يتعفف عن سؤال الناس ما أمكن فقد مدح الله تعالى الفقراء الموصوفين بذلك قال تعالى يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وكان أبوذر رضي الله عنه اذا سقط سوطه من يده يكره أن يقول لاحد ناولنيه (واعلم) أن الفقر على قسمين خاص وعام فالعام هو احتياج الخلق كلهم الى الله تعالى قال الله تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد أي أنتم المحتاجون الى الله والله غني عنكم وأما الفقر الخاص فهو المأمور بكتمه ويستحب للغني أيضا أن يكتم غناه لما ينشأ عنه من التفاخر والتعاظم والخيلاء الذي هو من شأن ذوي الاموال ولما يلحقه أيضا بسبب الاظهار من الحسد وتسليط الظلمة واللصوص عليه اهـ ولذلك روي عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أنه قال لجلسائه ما العافية فيكم فقال كل واحد منهم شيأ فقال معاوية العافية للرجل في أربعة أشياء بيت يأويه وعيش يكفيه وزوجة ترضيه ونحن لا نعرفه فنؤذيه يعني لا يعرفه السلطان وروي عن سفيان الثوري أنه قال نعمتان ان رزقهما الله تعالى لك فاحمد الله تعالى عليهما واشكره اجتنابك باب السلطان واجتنابك باب الطبيب اهـ واختلف العلماء رضي الله تعالى عنهم في الفقر والغني أيهما أفضل فالاكثرون على أن الفقر أفضل من الغني اذا كان مقرونا بالرضا ولذلك اختاره صلى الله عليه وسلم حين عرضت عليه مفاتيح خزائن الارض فقال يا جبريل أريد ان أجوع يوما وأشبع يوما فاذا جعت تضرعت الى الله سبحانه وتعالى واذا شبعت حمدته وشكرته وقال صلى الله عليه وسلم اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين قال بعض العارفين لو سأل الله تعالى أن يحشر المساكين في زمرته لكان لهم الفخر العظيم فكيف وقد سأله أن يحشره في زمرتهم * وذهب آخرون الى أن الغني أفضل من الفقر واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم اليد العليا أفضل من اليد السفلى واختلف أيضا هل الفقير الصابر أفضل أم الغني الشاكر فقيل الفقير الصابر أفضل لخلو يده من الدنيا الملهية عن الله عز وجل ولما يلحقه من المشقة الشديدة التي يوشك أن يكون الفقر بسببها كفرا وقيل الغني الشاكر أفضل لما فيه من السعة والاعتراف بنعمة الله عليه والبر والمواساة والاحسان الى الفقراء والمساكين اهـ قال في الجامع الصغير عنه صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء قال في الفتح ليس قوله اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء يوجب فضل الفقر على الغني وانما معناه أن الفقراء في الجنة أكثر من الاغنياء وليس الفقر أدخلهم وانما دخلوا بصلاحهم مع الفقر فان الفقير اذا لم يكن صالحا لا يفضل على الغني لكن ظاهر الحديث

التحريض على ترك التوسع من الدنيا كما ان فيه تحريض النساء على المحافظة على أمر الدين لئلا يدخلن النار فان قلت هذا الحديث ينافيه حديث أبي يعلى عن أبي هريرة في صفة أدنى أهل الجنة فيدخل الرجل على اثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وزوجتين من ولد آدم فان مقتضى هذا الحديث ان النساء في الجنة أكثر من الرجال ويجاب بان كون النساء أكثر أهل النار في أول الامر قبل خروج العصاة منهن من النار بالشفاعة ويجاب أيضا بان المراد من قوله صلى الله عليه وسلم تحريض النساء على المحافظة على أمر الدين لئلا يدخلن النار كما تقدم وأجاب شيخ الاسلام زكريا الانصاري بأن المراد بكونهن أكثر أهل النار نساء الدنيا وبكونهن أكثر أهل الجنة نساء الآخرة فلا تنافي اه من العلقمي على الجامع الصغير لكن جواب شيخ الاسلام لا يأتي مع قوله زوجتين من ولد آدم وفي قول الناظم رحمه الله تعالى واكسب الفلس وحاسب من بطل اشارة الى ما في المسئلة من الخلاف بين العلماء وهو هل الاكتساب أفضل أو التوكل أفضل فذهب جماعة الى أن الاكتساب أفضل واليه يشير كلام الناظم رحمه الله تعالى واستدلوا بقوله تعالى هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها الآية وذهب آخرون الى أن التوكل أفضل واستدلوا بقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وبقوله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وذهب آخرون الى الجمع بينهما وهو الافضل وقالوا ان السعي لا ينافي التوكل واستدلوا بما ورد في قصة الاعرابي الذي أراد دخول المسجد على النبي صلى الله عليه وسلم وناقته بيده فقال يارسول الله أأرسل ناقتي توكلا على الله عز وجل أم أعقلها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعقلها وتوكل اه ويجاب عن قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه بان معنى التوكل اعتقاد ما دلت عليه هذه الآية وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وليس المراد به ترك السبب مع الاعتماد على ما يأتي من المخلوقين لان ذلك يجر الى ضد ما يراد من التوكل وعن الحديث المذكور بأنه صلى الله عليه وسلم ذكر الغدو والرواح في طلب الرزق فقال تغدو خماصا وتروح بطانا ولا شك انهما سببان في الرزق فطريقة أهل البصائر السعي والطلب مع الاجمال فيه والتوكل على الله تعالى لان بالهز سقط التمر كما قيل

ألم تر ان الله أوحى لمريم * فهزي اليك الجزع يساقط الرطب
ولو شاء أدنى الجزع من غير هزه * ولكن كل شئ له سبب

قال في تنبيه الغافلين في الباب الحادي والتسعين ما نصه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسئلة وسعيا على العيال والاهل وتعطفا على جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ومن طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا مرائيا لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان * وروى ان داود عليه السلام كان يخرج متنكرا يسأل عن سيرته من يراه من أهل مملكته فتعرض له جبريل عليه السلام على صورة آدمي فقال له داود يافتى ما تقول في داود فقال له نعم العبد غير أن فيه خصلة قال داود وما هي قال جبريل يأكل من بيت مال المسلمين وما في العباد أحب الى الله تعالى من عبد يأكل من كسب يده فعاد الى محرابه باكيا متضرعا يقول يارب علمني صنعة تغنيني بها عن بيت مال المسلمين

فعلمه

فعلمه الله تعالى صنعة الدرع وألان له الحديد حتى كان الحديد يلين في يده بمنزلة العجين وكان اذا تفرغ من قضاء حوائج أهله يعمل درعا فيبيعه و يتعيش هو وعياله بثمنها فذلك قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم * وروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان سليمان بن داود عليهما السلام يخطب الناس على المنبر وان في يده الخوص يعمل به القفة فاذا فرغ ناوله انسانا فقال اذهب فبعه وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان زكريا عليه السلام كان نجارا وعن عمر رضي الله عنه قال يا معشر الفقراء ارفعوا رؤسكم واتجروا ولا تكونوا عيالا على الناس وعن ابن المبارك انه قال من ترك السوق ساء خلقه وذهبت مروءته وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غرس غرسا أو زرع زرعا فأكل منه انسان أو دابة أو طير أو سبع فهو له صدقة * وعن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو قامت القيامة وفي يد أحدكم نواة فان استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى السوق و يشترى حوائج أهله وسئل عن ذلك فقال أخبرني جبريل عليه السلام ان من سعى على عياله ليكفهم عن الناس فهو في سبيل الله وقيل لبعض الحكماء ما خير المكاسب قال خير مكاسب الدنيا طلب الحلال لزوال الحاجة والاخذ منه للقوة على العبادة وتقديم فضله لزاد يوم القيامة وأما خير مكاسب الآخرة فعلم معمول به نشرته وعمل صالح قدمته وسنة حسنة أحييتها قيل وما شر المكاسب قال أما شر مكاسب الدنيا فحرام جمعته وفي المعاصي أنفقته ولمن لا يطيع ربه خلفته وأما شر مكاسب الآخرة فحق أنكرته حسدا ومعصية قدمتها اصرارا وسنة سيئة أحييتها عدوانا وعن النضر بن يحيى قال بلغنا عن بعض أهل العلم انه قال لا يقوم الدين والدنيا الا بأربعة بالعلماء والامراء وأهل القرآن وأهل الكسب وبعض الزهاد فسر هذا الكلام فقال اما الامراء فهم الرعاة يرعون الخلق وأما العلماء فهم ورثة الانبياء وهم يدلون الخلق الى الآخرة والناس يقتدون بهم وأما أهل القرآن فهم جند الله على الارض لقمع الكفار ويقولون دين الله الاسلام واما أهل الكسب فهم أمناء الله تعالى لمصلحة الخلق ثم قال اذا صارت الرعاة ذئابا فمن يرعى الغنم والعلماء اذا تركوا العلم واشتغلوا بالدنيا فمن يقتدى الخلق والقراء اذا ركنوا للفخر والخيلاء وخرجوا للطمع فمن يظفر بالعدو وأهل الكسب اذا خانوا الناس فكيف تأمن بهم الناس (واعلم) ان للكسب آفات كالكذب والايمان الكاذبة وغير ذلك * قال قتادة وكان يقال للتاجر كيف يتخلص وهو يحلف بالنهار ويحسب بالليل وقال بعض الحكماء اذا لم يكن في التاجر ثلاث خصال افتقر في الدارين جميعا اولها أن يكون لسانه نقيا عن ثلاثة الكذب واللغو والحلف وثانيها أن يكون صافيا من ثلاثة الغش والخيانة والحسد وثالثها أن يكون محافظا لثلاث الجمعة والجماعات وطلب العلم في بعض الساعات * وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قال التاجر اذا لم يكن فقيها ارتطم في الربا ثم ارتطم ثم ارتطم يعني غرق فيه فاذا لم يعرف الحلال من الحرام لم يأمن ان يقع في الربا * وقال سفيان الثوري لا تنظروا الى أهل ذي السوق فان تحت ثيابهم ذئابا وعن ابن شبرمة قال العجب ممن يحتمي من الحلال مخافة الداء فكيف لا يحتمي

من الحرام مخافة النار وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس ان أحدكم لن يموت حتى يستكمل رزقه فلا تستبطؤا الرزق واتقوا الله وأجملوا فى الطلب وخذوا ما حل وذروا ما حرم وقال الحكيم الناس فى الكسب على خمس مراتب منهم من يرى الرزق من الله تعالى ومن الكسب فهو مشرك ومنهم من يرى الرزق من الله ولا يدرى ايعطيه أم لا فهو منافق شاك ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويعصى الله لاجل الكسب ولا يؤدى حقه كما أمر الله تعالى فهو مؤمن مسىء ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويرى الكسب سببا ويخرج حقه ولا يعصى الله لاجل الكسب فهو مؤمن مخلص * وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من اكتسب مالا من مأثم فتصدق به أو وصل به رحمه او أنفقه فى سبيل الله جمع الله ذلك كله وألقاه فى النار * وعن عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه انه قال لا يقبل حج ولا عمرة ولا جهاد ولا صدقة ولا عتاق ولا نفقة من ربا ولا رشوة ولا خيانة ولا غلول ولا سرقة اه قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

*(واذرع جدا وكدا واجتنب * صحبة الحمقى وارباب الخلل)*

هذا من تمام ما تقدم من الامر بالاجتهاد فى الكسب والجد بفتح الجيم الاجتهاد * قال فى المصباح الجد فى الامر الاجتهاد وهو مصدر جد يجد من باب ضرب وقتل والاسم الجد بالكسر ومنه يقال فلان محسن جدا أى نهاية ولا يقال محسن جدا بالفتح وقوله وكدا معطوف على جدا وهو بفتح الكاف التعب أى واجعل الاجتهاد والتعب فى اكتساب الرزق كالدرع المشتمل على جميع بدنك يعنى ان تجتهد وتتعب برجليك ويديك وسائر جسدك فى طلب الرزق لانه امر محمود قال صلى الله عليه وسلم ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة ويكفرها الهموم فى طلب المعيشة رواه ابن عساكر عن ابى هريرة وقد يكون التكسب واجبا كقادر على الكسب يحتاج عياله للنفقة فمن ترك ذلك كان عاصيا قاله فى فتح البارى وعن ثوبان رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أفضل الدنانير دينار ينفقه الرجل على عياله ودينار ينفقه على دابته فى سبيل الله ودينار ينفقه على اصحابه فى سبيل الله وكان ثابت البنانى عند أنس بن مالك فذكر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى قد ضمن دين العبد اذا استدان فى ثلاث احدها من اجل النكاح مخافة الفجور ثم لم يقدر على قضائه حتى مات فقد ضمن الله تعالى دينه ان يقضيه عنه يوم القيامة والثانى دينه لاعانة المسلمين ليخرجوا الى الغزو والثالث اذا استدان لتكفين ميت فان الله تعالى يرضى خصماءه يوم القيامة فدخل ثابت البنانى على الحسن البصرى وذكر له ما سمع من أنس فقال الحسن قد كبر أنس وضعف ونسى الافضل من ذلك بل ضمن الله تعالى مع هؤلاء دين رجل استدان لينفق على عياله واجتهد فى قضائه فلم يبلغ حتى مات لم تكن دينه وبين خصمائه خصومة يوم القيامة ومن أنس بن مالك رضى الله عنه انه قال قلت يا رسول الله الجلوس مع العيال أفضل ام الجلوس فى المساجد قال جلوس ساعة عند العيال أحب الى من الاعتكاف فى مسجدى هذا قال قلت يا رسول الله النفقة على العيال أحب اليك أم النفقة فى سبيل الله أحب قال درهم ينفقه الشخص على عياله أحب الى الله تعالى من دينار ينفقه فى سبيله قاله فى تنبيه الغافلين * وقوله

واجتنب

واجتنب صحبة الحمقى جمع أحمق وهو من ليس له ملكة يملك بها نفسه عند الغضب أو هو فاسد العقل ويحتمل أن يكون مراده بالحمقى المرأة الحمقى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتزوجوا الحمقى فان صحبتها بلاء وفي ولدها ضياع ولا تسترضعوا الحمقى فان لبنها يغير وقال عمر رضي الله عنه لم يقم جنين في بطن حمقى تسعة أشهر الا خرج مائقا قال بعضهم حد الحمق أنه قلة الاصابة ووضع الشئ في غير الموضع الذي وضع له وقيل لبعضهم ما حد الحمق فقال لا حد له كالعقل اه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحمق أبغض الخلق الى الله اذ حرمه أعز الاشياء عليه وقيل أوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام أتدرى لم رزقت الاحمق قال لا يارب قال ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاجتهاد وقالوا الحمق داء دواؤه الموت قال الشاعر لكل داء دواء يستطب به * الا الحماقة أعيت من يداويها
وروى أن عيسى عليه السلام أتى بأحمق ليداويه فقال أعياني دواء الاحمق ولم يعيني مداواة الاكمه والابرص وقال الاصمعي قلت لغلام من أبناء العرب أيسرك أن يكون لك مائة الف درهم وأنك أحمق قال لا والله قلت ولم قال أخاف أن يجني على حمقي جناية تذهب مالي ويبقى حمقي وقال سعيد بن عمار مكتوب في التوراة من صنع لأحمق معروفا فهو خطيئة مكتوبة عليه وقيل اذا قيل لك ان فقيرا استغنى أو غنيا افتقر او حيا مات أو ميتا عاش فصدق واذا بلغك ان أحمق استفاد عقلا فلا تصدق وقالوا الاحمق تتمنى أمه انها ثكلته وتتمنى زوجته انها عدمته ويتمنى جاره منه الوحدة ويود جليسه منه الوحشة وقال الاحنف بن قيس اني لأجالس الاحمق الساعة فأجد ذلك في عقلي وقال لقمان لابنه لا تعاشر الاحمق وان كان ذا جمال فانه كالسيف حسن منظره قبيح أثره وقال سالم بن قتيبة لا تطلب حاجتك من أحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك سكوته خير من نطقه وبعده خير من قربه وموته خير من حياته وقال الحسن بن علي هجران الاحمق قربة الى الله تعالى وقالت الحكماء العاقل يضل عقله عند مجاورة الاحمق وقالوا مثل الاحمق مثل الثوب الخلق ان رفأته من موضع تخرق من موضع آخر ولله در القائل

اتق الاحمق لا تصحبه * انما الاحمق كالثوب الخلق
كلما رقعت منه جانبا * حركته الريح وهنا فانخرق
واذا عاتبته كي يرعوى * زاد جهلا وتمادى في الحمق

وممن عرف بالحمق المعلمون قال الجاحظ قسم الله الحمق مائة جزء فجعل منه تسعة وتسعين جزأ في المعلمين والجزء الآخر في سائر الناس وقال الشاعر

كفى المرء نقصا أن يقال بأنه * معلم صبيان وان كان فاضلا

وكان الجاحظ كثيرا ما ينشد

وكيف يرجى العقل والرأى عند من * يروح على أنثى و يغدو على طفل

ومنهم النساء ولذلك قالوا دع أم صبيك تضربه فهو أعقل منها وان كانت أسن منه ويقال عقل مائة صبي بعقل معلم وعقل مائة معلم بعقل خصي وعقل مائة خصي بعقل امرأة ومنهم الخصيان قال الجاحظ في الخصي خصال متضادة منها أنه لم يخرج من ظهر مؤمن ولم يخرج من ظهره مؤمن ومنها أنه ما خلا قط برجل الا وحدثته نفسه انه امرأة ولا خلا مع امرأة الا

وجدته نفسه أنه رجل قاله في غرر الخصائص وقوله وأرباب الخلل أي واجتنب صحبة أهل الخلل بفتحتين أي العيب كالزاني والفاسق والسارق والديوث وما أشبههم ممن يعاب بمعاشرتهم ويحصل النقص بصاحبتهم لنقصهم في الدنيا والآخرة عند الله وانما نهى الناظم رحمه الله تعالى عن صحبتهم لان الطبائع تسرق بالمعاشرة ألا ترى أن الانسان بمعاشرته العلماء وأهل الكمالات يصير كاملا وبمعاشرته الفسقة وأهل الرذائل يصير ناقصا كما قيل

بني احتنب كل ذي بدعة * ولا تصحبن من بها يوصف
فيسرق طبعك من طبعه * وأنت بذلك لا تعرف

وقال آخر
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدي
فعاشر أولي التقوى تنل من تقاهم * ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

وقال آخر
عليك بأرباب الصدور فمن غدا * مضافا لأرباب الصدور تصدرا
واياك أن ترضى بصحبة ناقص * فتنحط قدرا من علاك وتحقرا

وقال آخر
من عاشر الاشراف صار مشرفا * من عاشر الانذال غير مشرف
ماتنظر الجلد الحقير مقبلا * بالثغر لما صار جلد المصحف

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿بين تبذير وبخل رتبة * وكلا هذين ان دام قتل﴾

أي لا تداوم على الاعطاء حتى يبلغ الى التبذير الذي هو انفاق المال في غير حقه ولا على الامساك حتى يبلغ الى البخل الذي هو منع السائل مما يفضل عن الحاجة بل كن وسطا بين التبذير والبخل لان الواحد منهما ان دام عليه الشخص قتله وأهلكه قال الله تعالى لنبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا أي لا تمسك عن الانفاق حتى تضيق على نفسك وأهلك فلا تصل رحمك ولا تتوسع في الانفاق توسعا زائدا حتى لا تبقي في يدك شيأ بل توسط بين ذلك كما قال تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما أي حالا وسطا فعلم مما تقدم النص على قبح البخل وعلى قبح التبذير * أما البخل فقبحه لا يحتاج الى النص عليه فقد ورد في ذمه من الآيات والاحاديث والآثار ما لا يحصى قال تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام أقسم الله بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه البخيل يتعجل الفقر لنفسه يعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء وأما التبذير فقد ورد في ذمه آيات وأحاديث وآثار كثيرة قال تعالى وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا وقال عليه الصلاة والسلام آفة الجود السرف وقال معاوية رضي الله عنه ما رأيت سرفا قط الا والى جانبه حق مضيع وقال بعضهم السخاء خلق مستحسن ما لم ينته الى سرف وتبذير فان من بذل جميع ما يملكه لمن لا يستحقه لم يسم سخيا وانما يسمى مبذرا مضيعا ورأى أبو ذر الغفاري معاوية يوما وقد أنفق مالا كثيرا فقال له ان كان هذا من بيت المال فانت خائن والله لا يهدي كيد

الخائنين

الخصائص وان كان من مالك فانت مسرف والله لا يحب المسرفين وقالوا ما وقع تبذير في كثير الا هدمه ودمره ولا دخل تدبير في قليل الا كثره وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه انى لأبغض أهل بيت ينفقون رزق الايام الكثيرة في يوم واحد * وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما لولده يزيد انك ان أعطيت مالك في غير الحق يوشك أن يجيء الحق وليس معك ما تعطى فيه وقال التدبير يثمر وينمي القليل والتبذير يمحق ويدمر الكثير * وكان عبد الله بن جعفر من الاجواد الذين يغمرون بجودهم طوائف العباد وانتهى به الافلاس الى أن سأله رجل فقال له ان حالى متغيرة بحوادث الزمان ولكن أعطيك شيأ أمكنني فاعطاه رداء كان عليه ثم دخل منزله فقال اللهم استرني بالموت فما لبث بعد دعوته الا أياما قلائل ولله در القائل

ولقد قدمت على رجال طالما * قدم الرجال عليهم فتمولوا
أخنى الزمان عليهم فكأنهم * كانوا بارض أجدبت فتحولوا
الجود فلسهم وغير حالهم * فاليوم ان سئلوا النوال تبخلوا

واعلم أن اصطناع المعروف الى اللئيم من الاسراف والتبذير ولذلك قال بعضهم أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام * وقال بعضهم لا حسرة أعظم من نعمة أسديت الى غير ذى حسب ولا مروءة * وقال بعضهم صانع المعروف في غير أهله كالسرج في الشمس ولله در القائل

متى تسد معروفا الى غير أهله * رزئت ولم تظفر بحمد ولا أجر

﴿تنبيه﴾ قال الفقهاء الاصح ان صرف المال في الصدقات ووجوه الخيرات وفي المطاعم والملابس ليس بتبذير ولا اسراف لان له في الصدقات غرضا وهو حصول الثواب ولان المال انما يجمع للانتفاع به في المآكل والمشارب والملابس وغير ذلك * وقال مجاهد لو كان أبو قبيس الجبل المشهور لرجل ذهبا ثم أنفقه في طاعة الله تعالى لم يكن اسرافا ولو أنفق رجل درهما واحدا في معصية الله كان اسرافا اه وقيل للحسن بن سهل وكان كثير العطاء لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير ولله در القائل

ذهاب المال في حمد وأجر * ذهاب لا يقال له ذهاب

(وحكى) أن على بن موسى الرضا رضي الله عنه وعن آبائه فرق في يوم عرفة ماله كله فقال له الفضيل بن سهل ما هذا المغرم قال بل هو المغنم لا تعدن ما ابتغيت به أجرا وكرما مغرما فقد كان جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيأ لغد ويعطى عطاء من لا يخاف الفقر قاله في غرر الخصائص * قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿لا تخض في سب سادات مضوا * انهم ليسوا بأهل للزلل﴾

أى لا تدخل نفسك ولا تتكلم بسوء في حق سادات مضوا وماتوا لانهم رضى الله عنهم ليسوا بأهل للزلل ولا للخطأ ولا للنقص بل هم مبرؤن منه فيحرم سب من مضى من سادات المسلمين والخوض في اعراضهم بما لا يليق بمقامهم وذلك كالسادات من الصحابة والعلماء والصوفية كما أنه يحرم سب الاحياء فقد ورد أن الميت يتأذى بما يتأذى منه الحي فيحرم سب الصحابة الخارجين على على بن أبي طالب مثلا كما في وقعة الجمل وصفين والنهروان لانهم رضى الله عنهم خارجون بتأويل وان كانوا مخطئين في نفس الامر لانهم كلهم مجتهدون والمصيب في اجتهاده له

أجران والمخطئ فيه له أجر واحد فكلهم مثابون رضي الله عنهم وقاتلهم ومقتولهم في الجنة فالمتكلم فيهم متكلم في دينه لانهم المبلغون لنا قواعده وأحكامه وكذلك يحرم التكلم في السادات الذين تكلموا في الطريق وأظهروا خوارق العادات كالسري السقطي وأبي القاسم الجنيد والحسين الحلاج وأشباههم من المتقدمين وكالشيخ محيي الدين بن عربي وسيدي عمر بن الفارض وغيرهما من المتأخرين فهؤلاء السادات رضي الله عنهم وان كانوا قد تاهوا وتكلموا باشياء خارقة فلا يجوز سبهم ولا اعتراض عليهم بحال من الاحوال لانهم ملازمون لقواعد الشرع فلا يصدر منهم قول ولا فعل يخالف الشرع وما أحسن قول بعضهم من لم يعرف مصطلحنا لا يجوز له الخوض في طريقتنا فيجب على كل مسلم أن يلزم الاجوبة الحسنة عن الاكابر المتقدمين من أنبياء وصحابة وتابعين ومجتهدين وعارفين قال سيدي على الخواص الواجب على كل مسلم الذب عن أعراض الصحابة فضلا عن الانبياء والمرسلين وعن أعراض المسلمين فضلا عن التابعين لان هؤلاء هم حملة الدين فمن نسبهم الى نقص فقد أراد أن يحول حدود الدين وقد لعن الله من غير حدود الارض فكيف بمن يغير حدود دينه اه فمما أجابوا به عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله أما الفساد فلا نريده ان شاء الله تعالى وأما العلو ففي النفس منه شيء حين سمع قارئا يقرأ قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين أنه رضي الله عنه لم يقل ذلك الا هضما لنفسه واتهاما لها كما هو شأن الاكابر والا فمثل هذا الامام لا يريد علوا في الارض بيقين ونظير ذلك قول الحسن البصري لو حلف حالف أن أعمال الحسن أعمال من لا يؤمن بيوم الحساب لقلت له صدقت لا تكفر عن يمينك ومما أجابوا به عن الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى في عدم حضوره الجماعة خمسا وعشرين سنة أنه لولم يرله عذرا يبيح له التخلف عن الحضور ما تخلف فالتسليم لمثل هذا الامام أسلم وحمله على محمل حسن أغنم رضي الله عنه * ومما أجابوا به عن الامام الشافعي رحمه الله تعالى في قوله

ولولا الشعر بالعلماء يزري * لكنت اليوم أشعر من لبيد
ولولا خشية الرحمن ربي * لقلت الناس كلهم عبيدي

أن المراد بما ذكره في البيت الاول شكر النعمة فان من شكر النعمة اظهارها والتحدث بها لا الفخر والاستطالة حاشاه من مثل ذلك ويعني بالناس في البيت الثاني أبناء الدنيا الذين يحبونها بحكم الطبع بقرينة قول بعض العارفين لبعض الملوك أنت عبد عبدي فقال له لم ذلك فقال لانك عبد الدنيا والدنيا خادمة لي أو نحوه فقال مراد الامام بذكر ذلك شكر النعمة أيضا حيث ان الله رزقه القناعة ورضاه باليسير وحماه من سؤال أبناء الدنيا ونحو ذلك ومما أجابوا به عن أبي يزيد البسطامي في قوله خضت بحرا وقفت الانبياء بساحله أن معنى ذلك أن أبا يزيد يشكو ضعفه وعجزه عن اللحوق بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك لانهم خاضوا بحر التوحيد ووقفوا بالجانب الآخر يدعون الناس الى الخوض أي فلو كنت كاملا لوقفت حيث وقفوا قال صاحب الحكم وهذا التفسير هو اللائق بمقام أبي يزيد فان المشهور عنه التعظيم والقيام بكمال الادب ومن كلامه جميع ما أخذ الاولياء بالنسبة لما أخذ الانبياء عليهم الصلاة والسلام

كرزق ملئ عسلا ثم رشحت منه رشحات لها فى بطن الزق للانبياء وتلك الرشحات للاولياء وقال الشيخ محيى الدين بن عربى قد طلب أبو يزيد البسطامى من الله تعالى أن يدخله مقام نبى من الانبياء فاعطاه الله تعالى مقدار الشعرة البيضاء من الثور الاسود فكاد أن يحترق فسأل الله الحجاب عن ذلك وقال لا طاقة لأحد من أمثالنا بدخول مقام أحد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومما أجابوا به عن الجنيد فى قوله أدركت سبعين عارفا كانوا يعبدون الله على ظن ووهم حتى أخى أبو يزيد لو أدرك صبيا من صبياننا لأسلم على يديه أن معنى ذلك انهم كانوا يقولون ما بعد المقام الذى وصلناه مقام وذلك ظن ووهم فان فوق كل مقام مقامات الى مالا يتناهى وليس مراده الظن والوهم فى معرفة الله ومعنى لأسلم على يديه أى انقاد له لان الاسلام هو الانقياد ومراد الجنيد بذلك شكر النعمة ومما أجابوا به عن الشبلى فى قوله ما فى الجبة الا الله وقد ضبطها بعضهم بالجيم والموحدة أن مراده ما فى جسدى الا حب الله وكم فى الكتاب والسنة من كلام يجب فيه التقدير كما فى قوله تعالى وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم أى أشربوا حب العجل فانهم ومما أجابوا به عن حجة الاسلام الغزالى فى قوله ليس فى الامكان أبدع مما كان أن مراده ليس لنا الا رتبتان قدم وحدوث فالحق سبحانه له رتبة القدم والحادث له رتبة الحدوث فلو خلق سبحانه ما خلق الى مالا يتناهى عقلا لا يرقى عن رتبة الحدوث الى رتبة القدم أبدا ومما أجابوا به عن سيدى ابراهيم الدسوقى فى قوله فى آخر التائية

وبى قامت الاشياء فى كل أمة * بمختلف الآراء والكل أمتى

نعم نشأتى فى الحب من قبل آدم * وسرى فى الاكوان من قبل نشأتى

أنا كنت لنوح وبالذبيح فداءه * بلطف عنايتى وعين حقيقتى

أنا كنت مع ادريس لما ارتقى العلى * وأسكن فى الفردوس أنعم بقعة

أنا كنت مع عيسى وفى المهد ناطقا * وأعطى داود حلاوة نغمتى

ان ذلك وقع منه رضى الله عنه على لسان النبى صلى الله عليه وسلم وأن الولى تارة يتكلم فى حال غيبته عن نفسه على لسان النبى صلى الله عليه وسلم وتارة يتكلم على لسان الالوهية ومما أجابوا به عن سيدى عمر بن الفارض رحمه الله تعالى فى قوله فى التائية

وألسنة الاكوان ان كنت واعيا * شهود بتوحيدى بحال فصيحة

وان عبدوا غيرى وان كان قصدهم * سواى وان لم يضمروا عقد نية

ان ذلك وقع منه عن لسان الالوهية وأراد بقوله شهود بتوحيدى التوحيد الحالى المدخل للمؤمن والكافر فى حكم العبادة بالحال وقوله بحال فصيحة أخرج التوحيد المقالى ولم يتعرض له ولا لاهله لانه مخصوص بالمؤمنين دون الكافرين وليس هو المقصود الاعظم فى الآية المقتبس منها البيت وهو قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده فشئ نكرة فى سياق النفى تعم كل شئ من موحد وجاحد وحيوان وجماد فكأن الحق تعالى يقول كل شئ يوحدنى و يعبدنى بباطنه وان اختلف أمر ناطقيته فالقول بان كل جاحد فى الظاهر موحد فى الباطن جائز بين قوم يفقهون كلام الله ومواضع اشاراته لا الذين لا يحيطون بشئ من أسراره وأشار فى الآية الى التوحيد الحالى بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم ولكن هذا التوحيد الحالى لا ينفع الكافر

بدليل حديث القبضتين وحديث الفراغ وحديث جفوف الاقلام فلو كان يفهم ماذخل أحد منهم النار فافهم قاله في تحفة الاكياس قال الناظم رحمه الله تعالى

﴿وتغافل عن أمور إنه * لم يفز بالحمد الا من غفل﴾

أي أظهر من نفسك التغافل عن أمور غير محمودة وقعت من الناس لانه لم يفز أي لم يظفر بالحمد أي الثناء عليه من الله تعالى ومن الناس الا من غفل أي من ترك أمور الناس ولم ينظر الى عيوبهم قال بعض الحكماء لولده يابني لا تطلع على عورات الناس وعيوبهم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وما أحسن ماقاله بعضهم

ان تجد عيبا فسد الخللا * جل من لا عيب فيه وعلا

فالاولى التغافل عن أمور الناس وأحوالهم وأقوالهم لان من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه كما في الحديث ولانه يحتمل أن يكون الفاعل للامر غير المحمود وليا مستترا بهذا الامر قال بعضهم لكل ولي ستر فمنهم من يكون ستره بالمزاحمة على الدنيا وبطلب الرياسة وبالملابس الفاخرة ومنهم من يكون ستره بالاشتغال بالعلم الظاهر والوقوف على النصوص حتى لا يكاد أحد يخرجه عن آحاد طلبة العلم القاصرين ومنهم من يكون ستره بسؤال الدنيا من أبنائها وطلب الوظائف من تدريس وامامة وخطابة ونحو ذلك ومنهم من يكون ستره بكثرة التردد الى الملوك والامراء والاغنياء ومنهم من يكون ستره بالسطوة والقهر على حسب ماتجلى عليه الحق سبحانه وتعالى ومنهم من يكون ستره بالسخريات وصفعه لقفاه وحلقه لحيته ومنهم من يكون ستره بالكلام القبيح الذي لا يطيق أحد سماعه ومنهم من يكون ستره ببلع الحشيشة ونحوها وفي حال بلعها تقلب له أكلا صالحا ومنهم من يكون ستره بمعاشرته للفسقة والاولاد المرد ومنهم من يكون ستره بجلوسه عند الملاهي وهكذا فاياكم والمبادرة الى سوء الظن فربما يكون من أسأتم به الظن وليا وهو مستتر بشئ من هذه الاستار فتشتد عليكم العقوبة وقال شيخ الاسلام زكريا الانصاري اذا رأيتم أحدا من أرباب الاحوال يجس بيده على النساء فاياكم أن تسيئوا به الظن فقد حكي أن فقيرا مريضا دخل على الشيخ عبد السلام القلبي فأمر جاريته أن تخدمه الى أن يبرأ فاستمرت تخدمه الى أن عوفي فراودها عن نفسها وجذبها على ذلك فابت وذهبت الى الشيخ فأعلمته فقال لها امكني ذلك وأنت حرة فذهب اليه فلم يجده في الموضع الذي أنزله فيه فاتبعه خارج المنزل فرآه ماشيا على البحر فقال له ماهذا اوذا لنا فالتفت اليه وقال لا ينبغي لنا ان تخدمنا الجارية ونرحل عنها بغير مكافأة على خدمتها بدون العتق وقال سيدي علي المصري اذا رأيتم أحدا من العلماء في سعة من الدنيا وملابسها ومراكبها فاياكم أن تعترضوا عليه فان العلماء كالملوك فكما ينفق الملك على جنده كذلك العالم ينفق على طلبته وكما ان الجند يحفظون دين الاسلام من العدو الظاهر فكذلك طلبة العلم يحفظونه من العدو الباطن فكمال الدين لا يتم الا بالملوك والعلماء * وحكي عن أشهب صاحب الامام مالك أنه كان في سعة من الدنيا وكانت معيشته معيشة الملوك وكانت بلاد جيزة مصر أقطاعا للامام الليث بن سعد وكان خراجها في كل سنة مائة ألف دينار ولم تجب عليه زكاة قط وقد كان الفخر الرازي له ألف مملوك خلاف الجواري والخدم فالعلماء والاولياء على أقدام الانبياء عليهم الصلاة

والسلام

والسلام فبعض الانبياء كان له مال كالسيد ابراهيم والسيد يوسف والسيد سليمان والسيد أيوب عليهم الصلاة والسلام وبعضهم لا مال له كالسيد نوح والسيد عيسى والسيد يحيى ووالده على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقال اذا رأيتم أحدا يرفع صوته بذكر الله تعالى فاحملوه على أنه يفعل ذلك محبة فى الله وطلبا لاحد يذكر الله بذكره وتنهيضا لهمم الاخوان لا لعلة أخرى من حظوظ النفوس فان ذلك لا يجوز وقال اذا سمعتم أحدا من الاولياء يقول ان الله أطلعنى على ما لم يطلع عليه عزرائيل فلا تعترضوا عليه فقد وقع ان عزرائيل نزل لقبض روح ولد الشيخ محمد الشربيني فقال له الشيخ ارجع الى ربك فان الامر قد نسخ بقى من أجل ولدى ثلاثون عاما فكان الامر كما قال الشيخ وعوفى ولده من تلك الضعفة وعاش ثلاثين عاما وقال اذا رأيتم أحدا من المشايخ تغير على من زار من تلامذته أحدا من أقرانه فاحملوه على انه ما تغير عليه الا لمصلحة كأن اطلع عليه من طريق كشفه على أن فتحه لا يكون على يد غيره فأظهر له التكدر ليلازمه الى وقت الفتح مصلحة له لا لعلة أخرى من حظوظ النفوس ومن كلام الشيخ محيي الدين بن عربي ما سامح شيخ مريده فى الاجتماع بغيره الا حصل له تردد فى أى الشيخين أعلى من الآخر حتى يتلمذ له واذا حصل له ذلك رفضه قلب الاثنين فلم ينتفع باحد منهما لان شرط الانتفاع بشيخ جزم التلميذ بأنه لا يخرج من دائرة شيخه حتى يحصل له الكمال وقال اذا رأيتم أحدا من العلماء والصالحين كثيرا يتردد الى الملوك والامراء والقضاة والاغنياء ويسألهم الدنيا ويطلب منهم الوظائف من تدريس وخطابة وامامة ونحو ذلك فاياك أن تعترض عليه كما يقع فيه القاصر فى الفهم والادراك فيقول لو كان هذا وليا أو عالما عاملا بعلمه ما تردد الى هؤلاء الامراء بل يجلس فى بيته أو زاويته ويشتغل بعبادة ربه ورحم الله العلماء والاولياء الذين سلفوا ونحو ذلك من ألفاظ الجور ولو استبرأ هذا القائل لدينه لوقف وتبصر فى أمور هؤلاء الاولياء والعلماء قبل أن يقدم عليهم فربما كان ترددهم لكشف ضرر أو خلاص مظلوم من سجن أو قضاء حاجة لاحد من عباد الله الذين لا يستطيعون توصيل حوائجهم الى تلك الامراء فيسألون فى ذلك من يعتقد فيه من الاولياء والعلماء فيجب عليهم الدخول على هؤلاء الامراء لمصالح العباد ويحرم عليهم الامتناع وربما كان طلب أحدهم الوظائف ليقوم فيها بالعدل ويتصرف فى ذلك بالمعروف وكذلك لا نعترض عليه اذا رأيناه يأكل من أموال الظلمة لاحتمال أنه ما أكله الا عند الضرورة الشرعية بخلاف ما اذا رأيناه يجمع مال الظلمة ولا يعطى أحدا من المحتاجين شيأ ويتوسع هو به فى مأكله وملبسه فمثل هذا ننكر عليه قياما بواجب الشرع وشفقة على دينه من النقص وعلى لحمه من النار ثم بعد انكارنا عليه نتوجه به الى الله تعالى وندعو له بالمغفرة والعفو وارضاء الخصوم الذين جمع ذلك الظالم المال منهم ثم نشكر الله تعالى الذى عافانا من مثل ذلك قاله فى تحفة الاكياس قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿ليس يخلو المرء من ضد ولو * حاول العزلة فى رأس جبل﴾

أى ليس يخلو الانسان من ضد أى شخص مضاد ومخالف له وان حاول العزلة أى الاعتزال عن الناس فى رأس جبل بل وان كان نبيا مرسلا كما وقع للرسل عليهم الصلاة والسلام مع أممهم

مما هو منصوص فى الكتاب العزيز خصوصا نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام فان قريشا خالفوه وعادوه حتى خرج من بلده مكة وهاجر الى المدينة المنورة فلابد لكل مخلوق من شد ينازعه والاولى للواحد منا الصبر والتسلى بالماضين كما قال صلى الله عليه وسلم فى قصة مشهورة يرحم الله أخى موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر ولله در البوصيرى حيث قال

فتسلوا بمن مضى اذ ظلمتم * فالتسلى للنفس فيه عزاء

ولو لم يكن عدو للانسان أصلا غير ابليس لعنه الله لكان كافيا لان من المعلوم أنه أعدى الاعداء لبنى آدم قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿مل عن النمام واهجره فما * بلغ المكروه الا من نقل﴾

أى اترك النمام ودعه فقوله واهجره تفسير لما قبله وعلل ذلك بقوله فما بلغ أى وصل المكروه أى الشئ الذى تكرهه النفس الا الذى نقله لك وأخبرك به والنمام كثير النم وهو السعى بالحديث ليوقع فتنة أو وحشة فى القلوب وهو حرام اجماعا مالم تدع الحاجة اليه كما اذا أخبرك شخص أن انسانا يريد البطش بك أو بمالك أو بأهلك فهذا ونحوه ليس بحرام كما صرح به النووى رحمه الله تعالى والمذاهب متفقة على انه كبيرة لحديث الصحيحين لا يدخل الجنة نمام أى مع السابقين وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من أشراركم قالوا الله ورسوله أعلم قال ذو الوجهين الذى يأتى هذا بوجه وهذا بوجه وعن الحسن رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال شر الناس ذو الوجهين يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ومن كان ذا لسانين فى الدنيا يجعل الله له يوم القيامة لسانين من نار وروى عن حماد بن سلمة أنه قال باع رجل من رجل غلاما فقال للمشترى ليس فيه عيب الا أنه نمام فاستخف المشترى بهذا العيب واشتراه على ذلك العيب فمكث الغلام عنده أياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك يعنى يريد أن يشترى جارية أفتريدين أن يعطف عليك زوجك قالت نعم قال لها خذى هذا الموسى واحلقى شعرات من باطن لحيته اذا نام ثم جاء الغلام الى الزوج فقال ان امرأتك تخادنت أى اتخذت خليلا وهى قاتلتك أتريد أن يتبين لك ذلك قال نعم قال فتناوم لها ففعل الرجل فجاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعر فظن الزوج أنها تريد قتله فأخذ منها الموسى فقتلها به فجاء أولياؤها فقتلوه وجاء أولياء الرجل ووقع القتال بين الفريقين وقال يحيى بن أكثم النمام شر من الساحر لان النمام يعمل فى ساعة مالا يعمله الساحر فى شهر وقال الحسن البصرى من نقل اليك حديثا فاعلم أنه ينقل الى غيرك حديثك وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه دخل عليه رجل فذكر عنده رجلا فقال له عمر ان شئت نظرنا فى أمرك ان كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وان كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا أمير المؤمنين ولا أعود الى مثل ذلك وروى عن كعب الاحبار أنه قال أصاب بنى اسرائيل قحط فخرج بهم موسى عليه السلام ثلاث مرات يستسقون فلم يسقوا فقال الهى عبادك قد خرجوا ثلاث مرات فلم تستجب دعاءهم فأوحى الله تعالى اليه انى لا أستجيب لك ومن معك وفيكم رجل نمام قد أصر على النميمة فقال موسى عليه السلام يارب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال الله تبارك وتعالى

يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما قال فوعظهم موسى عليه السلام وقال توبوا عن النميمة جميعا فتابوا بأجمعهم فسقوا اه ولقبح النميمة عند الله سبحانه وتعالى وصف الله الوليد بن المغيرة بعشرة أوصاف مذمومة وذكر منها النميمة فقال تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم الآية قال ابن قتيبة لا نعلم ان الله عز وجل وصف أحدا بالذم مثل ما وصف الوليد بن المغيرة ومراد الناظم رحمه الله تعالى بالنمام ما يشمل المغتاب أيضا وذلك لان الغيبة والنميمة كالفقير والمسكين عند الفقهاء وكالظرف والجار والمجرور عند النحاة فمتى اجتمعا افترقا ومتى افترقا اجتمعا والغيبة ذكر الانسان بما فيه مما يكرهه سواء ذكرت ما فيه بلفظك أو بكتابتك أو اشارة اليه بعينك أو بيدك أو رأسك وضابطه كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فهو غيبة والغيبة بالقلب محرمة كهي باللسان وكما تحرم الغيبة على المغتاب يحرم استماعها واقرارها وهي تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب اليابس قال في تنبيه الغافلين ما نصه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال اذا ذكرت أخاك بما يكره قيل أرأيت ان كان في أخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته أي قلت بهتانا وعن بعضهم أنه قال لو قلت ان فلانا ثوبه طويل أو ثوبه قصير يكون غيبة فاذا كان ذلك في ثيابه ففي نفسه بالاولى وعن أبي يحيى قال بلغني ان امرأة قصيرة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فلما خرجت قالت عائشة رضي الله عنها ما أقصرها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتبتيها قالت عائشة ما قلت الا ما فيها فقال ذكرت أقبح ما فيها وعن أبي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليلة أسري بي مررت في السماء الدنيا بقوم يقطع اللحم من جنوبهم ثم يلقمونه فيقال لهم كلوا ما كنتم تأكلون من لحم اخوانكم قلت يا جبريل من هؤلاء قال الهمازون من أمتك اللمازون يعني المغتابين وعن جابر بن عبد الله قال هاجت ريح منتنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين قد اغتابوا أناسا من المومنين فلذلك هاجت الريح قال بعض الحكماء ان ريح الغيبة كان يظهر منتنا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يتبين في يومنا هذا لان الغيبة قد كثرت في يومنا هذا وامتلأت الانوف منها فلم تؤثر الرائحة ويكون مثال هذا مثال رجل دخل دار الدباغين لا يقدر على القرار فيها من شدة الرائحة وأهل تلك الدار يأكلون فيها الطعام والشراب ولا تتبين لهم الرائحة لانه قد امتلأت أنوفهم منها فكذلك رائحة الغيبة في يومنا هذا وروي عن الحسن البصري ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من رطب وقال له اني قد بلغني انك قد أهديت الي حسناتك فأردت أن أكافئك بها فاعذرني فاني لا أقدر أن أكافئك بها على التمام وذكر ان أبا امامة الباهلي قال ان العبد ليعطى كتابه يوم القيامة فيرى فيه حسنات لم يكن عملها فيقول يارب من أين لي هذا فيقول له هذا بما اغتابك الناس وأنت لا تشعر * قال كعب الاحبار قرأت في بعض الكتب ان من مات تائبا عن الغيبة كان آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها كان أول من يدخل النار وروي عن حاتم الزاهد انه قال ثلاثة اذا كن في مجلس فالرحمة عنهم مصروفة ذكر الدنيا والضحك والوقيعة في الناس * وذكر عن ابراهيم ابن أدهم انه دعي الى طعام فلما جلس قالوا ان فلانا لم يجئ فقال

رجل منهم انه رجل ثقيل فقال ابراهيم انما فعل في هذا بطني حيث شهدت طعاما اغتيب فيه المؤمن تخرج ولم يأكل ثلاثة أيام وذكر عن أبي وهيب المكي انه قال لان أدع الغيبة أحب الي من أن تكون لي الدنيا بأسرها وما فيها منذ خلقت الى أن تفنى فاجعلها في سبيل الله ثم تلا ولا يغتب بعضكم بعضا وقال بعضهم ثلاثة لا تكون غيبتهم غيبة سلطان جائر وفاسق معلن وصاحب بدعة يعني اذا ذكر فعلهم وأما اذا ذكر شيئ من أبدانهم بعيب فذلك غيبة كغيرهم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذر الناس منه اه وقد ذكر العلماء أنها تباح في ستة مواضع نظمها العلامة الجوهري في قوله

لست غيبة جوز وخذها * منظمة كأمثال الجواهر

تظلم واستعن واستفت حذر * وعرف واذكرن فسق المجاهر

وسنذكرها مبينة على ترتيب النظم فنقول * الاول التظلم أي فيجوز للمظلوم أن يتظلم للسلطان أو القاضي أو نحوهما ممن له قدرة على انصافه ممن ظلمه فيقول ظلمني فلان بكذا وكذا ولا يزيد على الحاجة * والثاني الاستعانة على تغيير المنكر فتقول لمن ترجو قدرته على ازالة المنكر فلان يفعل المنكر كالزنا وشرب الخمر وتقصد بذلك أن يعينك على ازالة ذلك المنكر فان لم تقصد ذلك كان حراما * والثالث الاستفتاء فيقول للمفتي ظلمني ابي أو اخي أو نحوهما فهل له ذلك أم لا والرابع التحذير أي تحذير المسلمين من الشر ونصحهم من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة والشهود وذلك جائز بالاجماع بل هو واجب للحاجة ومنها المشاورة في مصاهرة انسان أو في مشاركته أو في ايداعه أو في معاملته أو نحو ذلك ويجب على المستشار ان لا يخفي شيأ من العيوب التي فيه بل يذكرها بنية النصيحة ومنها ان يكون الشخص في ولاية لا يقوم بها لعدم صلاحه لها أو لفسقه أو لتغفله فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية ليزيله ويولي من يصلح لها أو ليحثه على الاستقامة والخامس التعريف فاذا كان الانسان معروفا بلقب كالاعمش والاعرج والاعمى والاحول والاصم ونحوهم جاز تعريفهم بذلك ويحرم ذكره على جهة التنقيص والسادس ان يكون متجاهرا بالفسق كالمتجاهر بشرب الخمر وأخذ المكوس وأخذ أموال الناس ظلما فهذه ستة مواضع تجوز فيها الغيبة قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿دار جارا لسوء ان جار وان * لم تجد صبرا فما أحلى النقل﴾

أي لاطف جار الدار ولين كلامك معه ان جار عليك وظلمك وبالاولى مالو أحسن اليك أولم يؤذك وان لم تجد صبرا منك عن ظلمه وجوره عليك فما أحلى النقل أي الانتقال والتحول من هذه الدار الى محل بعيد فان أرض الله واسعة قال العلماء المداراة الملاطفة ولين الكلام وهي من الخصال الحميدة لانها تدل على التواضع وحسن الخلق ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أمرني ربي عزوجل بمداراة الناس كما أمرني باقامة الفرائض وقال بعض الحكماء في المداراة سلامة الدين والدنيا وتخصيص الناظم رحمه الله تعالى الجار بالمداراة وان كانت مطلوبة لكل أحد لزيادة الوصية والاعتناء بالجار لما ورد فيه من الآيات والاحاديث قال تعالى وبالوالدين احسانا وبذي القربى الى قوله والجار الجنب قال ابن عباس الجار القريب الذي بينك وبينه قرابة والجار الجنب الذي لا قرابة بينك وبينه وقيل القريب المسلم والجنب الذمي وعن عبد

الله

الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم و يقول لهم ادخلوا النار مع الداخلين الاول الفاعل والمفعول به يعني اللائط والملوط به الثاني الناكح يده الثالث ناكح البهيمة الرابع ناكح المرأة في دبرها الخامس مجامع المرأة وبنتها السابع المؤذي جاره * وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسلم عبد حتى يسلم الناس من يده ولسانه ولا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه فقلنا يا رسول الله وما بوائقه قال غشه وظلمه وعن سعيد بن المسيب انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة الجار على الجار كحرمة أمه عليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه * وعن الحسن البصري انه قال قيل يا رسول الله ما حق الجار على الجار قال تسعة اشياء ان استقرضك أقرضه وان دعاك أجبه وان مرض عده وان استعان بك أعنه وان أصابته مصيبة عزه وان أصابه خير هنه وان مات اشهده وان غاب احفظ منزله وعياله ولا تؤذه * وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وعن جابر الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الجيران ثلاثة فمنهم من له ثلاثة حقوق ومنهم من له حقان ومنهم من له حق واحد فاما الذي له ثلاثة حقوق فجارك القريب المسلم وأما الذي له حقان فجارك المسلم أيضا وأما الذي له حق واحد فهو جارك الذمي فينبغي أن يعرف الجار حق الجار وان كان ذميا ويقال من مات وله جيران ثلاثة وهم راضون عنه غفر له و روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه جاءه رجل يشكو اليه جاره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كف أذاك عنه واصبر على اذاه وكفى بالموت مفرقا وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى ليس حسن الجوار كف الاذى عن الجار ولكن حسن الجوار الصبر على أذى الجار * وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ثلاث خصال مستحسنة كانت في الجاهلية والمسلمون أولى بها أولها لو نزل بهم ضيف اجتهدوا في بره الثاني لو كانت لاحدهم امرأة كبيرة عنده لا يطلقها ويمسكها مخافة أن تضيع الثالث اذا لحق بجارهم دين أو اصابته شدة اجتهدوا حتى يقضوا عنه دينه وأخرجوه من تلك الشدة وروى أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الجار ليتعلق بجاره يوم القيامة ويقول يا رب وسعت على أخي هذا وقترت علي أمسي جائعا وهو يمسي شبعانا فاسأله يا رب لم أغلق بابه دوني وحرمني مما قد وسعت به عليه وعن سفيان الثوري أنه قال من الجفاء أن يشبع الرجل وجاره جوعان لا يطعمه شيأ من طعامه وقال بعضهم تمام حسن الجوار في أربعة أشياء الاول أن يواسيه بما عنده الثاني أن لا يطمع فيما عند جاره * الثالث أن يمنع أذاه عنه الرابع أن يصبر على أذاه والله أعلم قال في تنبيه الغافلين وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله يحب الرجل له الجار السوء يؤذيه فيصبر على أذاه ويحتسبه حتى يكفيه الله أو يموت رواه ابن عساكر عن أبي هريرة * وقد كان لمالك ابن دينار جار يهودي فحول اليهودي مستحمه الى جدار البيت الذي فيه مالك وكان الجدار منهدما فكانت تدخل منه النجاسة ومالك ينظف البيت كل يوم ولم يقل شيأ وأقام على ذلك مدة

وهو صابر على الاذى فضاق صدر اليهودي من كثرة صبره على هذه المشقة فقال له يا مالك آذيتك كثيرا وأنت صابر ولم تخبرني فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه فندم اليهودي وأسلم وحسن اسلامه وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كم جار يتعلق بجاره يوم القيامة يقول يارب أغلق بابه دوني فمنعني معروفه وعن أبي شريح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قالوا لقد خاب وخسر من هو يارسول الله قال من لا يأمن جاره بوائقه أي غوائله وشروره * ثم الجار يقع على الساكن مع غيره وعلى الملاصق وهو المراد من كلام الناظم وعلى أربعين دارا من كل جانب فقد سئل الحسن البصري عن الجار فقال أربعون دارا أمامه وأربعون خلفه وأربعون عن يمينه وأربعون عن يساره (تتمة) في قوله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره معنى لطيف وهو أنه اذا أمر باكرام الجار مع الحائل بين الانسان و بينه فينبغي أن يراعى حق الحافظين اللذين ليس بينه و بينهما جدار ولا حائل فلا يؤذيهما بايقاع المخالفات فقد ورد أنهما يسران بوقوع الحسنات ويحزنان بوقوع السيآت فينبغي اكرامهما ورعاية حقهما بالاكثار من الطاعات و بتجنب المحرمات فهما أولى بالاكرام من جميع الجيران اه قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

*(جانب السلطان واحذر بطشه * لا تخاصم من اذا قال فعل)*

أي اترك السلطان وتباعد عنه ولا تذهب اليه الا بقدر الحاجة والضرورة مالم يترتب على ذهابك اليه خير من شفاعة أو وعظ له أو نحو ذلك وقوله واحذر بطشه أي أخذه بقوة وعنف ولا تخاصم من أي الذي اذا قال قولا فعل فعلا على طبقه ولا يرده عنه راد أي لا تظهر له المخاصمة والعناد لأن ذلك يؤدي الى البطش بك أو عيالك والمراد بالسلطان من له سلاطة وقوة وشوكة فيشمل غير ولاة الامور ممن له شوكة ففي هذا البيت تصريح باجتناب السلطان وعدم الاجتماع عليه وتصريح أيضا بعدم مخاصمته ومعاندته وعصيانه واذا قدر للانسان الاجتماع به فيجب عليه أن يكون معه على أحسن الاحوال وأكملها في نهيه وأمره ومعاشرته وحفظ سره وعدم اذاعة ما يراه منه في جميع الاحوال والاقوال * قال بعض الحكماء لولده يابني من كثر كلامه كثر ندمه واياك والركون الى السلطان فان الركون اليه هلاك وسجن وضيق ليس منه فكاك واذا استدعاك بنفسه فكن منه على حذر ولا تأمن مكره وغدره فبئس الغادر اذا غدر وكلمه من حيث يريد ولا تكلمه من حيث لا يريد وارفق به كما ترفق بالطفل الصغير ولا تدخل بينه و بين أحد من أولاده وعشيرته وأهل بيته وان حدثته حديثا فأسنده الى غيرك من الانام وهذه وصيتي فاحفظها واعمل بها * وقال آخر لولده اذا خدمت السلطان أو غيره ممن له ولاية أو قوة أو شوكة فلا تنم اليه فانه لا يزيده ذلك الا نفورا منك مخافة أن تنم به كما نممت اليه وكن أقرب الناس منه عند فرحه وأبعدهم منه عند غضبه ولا تعارضه فيما يريد أن يفعله ولا تهن أصحابه ولا من يلوذ به من طائفته وذريته ومحبيه وعاملهم بأحسن الاخلاق الكريمة وأكملها كما تعامله بذلك اه وقال في تنبيه الغافلين في الباب الثامن والسبعين ما نصه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء أمناء الرسل مالم

يخالطوا السلطان ومالم يدخلوا في الدنيا فاذا خالطوا ودخلوا فقد خانوا الرسل فاعتزلوهم واحذروهم * وعن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ازداد رجل من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا ولا كثرت أتباعه الا كثرت شياطينه ولا كثر ماله الا اشتد حسابه وقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما مواقف الفتن قال أبواب الامراء * وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال ان الرجل ليدخل على ذي سلطان ومعه دينه فيخرج من عنده وما معه دينه قيل وكيف ذلك قال يرضيه بما يسخط الله وقال بعض المتقدمين اذا رأيت عالما يختلف الى الاغنياء فاعلم أنه مراء واذا رأيت عالما يختلف الى الامراء فاعلم أنه لص * وعن مكحول رضي الله عنه قال من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم أتى باب السلطان تملقا اليه وطمعا فيما في يده خاض في نار جهنم بعدد خطاه وعن ميمون بن مهران قال ان في صحبة السلطان خطرين ان أطعته خاطرت بدينك وان عصيته خاطرت بنفسك والسلامة أن لا يعرفك وعن الفضيل ابن عياض قال لو أن رجلا لا يخالط هؤلاء يعني السلاطين ولا يزيد على الفرائض فهو أفضل من رجل يخالط السلطان ويصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويجاهد * ويقال ما أقبح العالم أن يقال أين فيقال عند الامير وعن الضحاك بن مزاحم قال اني لأتقلب الليل كله على فراشي ألتمس كلمة أرضي بها سلطاني ولا أسخط بها خالقي فلا أقدر عليها وقال ابن عياض اجتنبوا أبواب الملوك فانكم لا تصيبون من دنياهم شيأ الا أصابوا من آخرتكم ما هو أفضل منه انتهى وما تقدم عن هؤلاء الا كابر بالنسبة الى ملوك زمانهم فكيف بنا وبزماننا وبملوكه فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يختم لنا بالسعادة آمين قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

*(لا تل الحكم وان هم عذلوا * رغبة فيك وخالف من عذل)*

هذا البيت والستة أبيات التي بعده متعلقة بالحكم والولاية على الرعية والقضاء بين الناس أي لا تكن واليا وان سألك الناس ذلك لرغبتهم فيك وارادتهم لك بل اترك الولاية وخالف من عذلك ولامك على تركها ففي كلام الناظم رحمه الله تعالى النهي عن تولية الاحكام لانه يحتمل أن لا يعدل في أحكامه فيصير الى النار كما روى عن شقيق بن سلمة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل بشر بن عاصم الثقفي على صدقات هوازن فتخلف فلقيه عمر فقال له ما خلفك أما ترى لنا عليك سمعا وطاعة قال بلى ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ولي أحدا من الناس أتي به يوم القيامة حتى يوقف به على جسر جهنم فان كان محسنا نجا وان كان مسيأ انخرق به الجسر فيهوي فيها سبعين خريفا فخرج عمر باكيا كئيبا حزينا فلقيه ابوذر فقال مالي أراك حزينا قال وما يمنعني من البكاء وقد سمعت بشر بن عاصم يقول قال صلى الله عليه وسلم من ولي أحدا من الناس أتي به يوم القيامة حتى يوقف به على جسر جهنم فان كان محسنا نجا وان كان مسيئا انخرق به الجسر فيهوي فيها سبعين خريفا وهي سوداء مظلمة * قال الناظم رحمه الله تعالى

*(ان نصف الناس أعداء لمن * ولي الاحكام هذا ان عدل)*

هذا البيت تعليل لما قبله أي لا تل الاحكام لان نصف الناس أعداء لمن ولي الاحكام وعدل فيها فان لم يعدل فيها عاداه الناس كلهم وعاداه خالقه فخسر الدنيا والآخرة والنصف كما في المصباح بكسر النون وضمها والكسر أفصح ويقال نصيف كرغيف وهو أحد جزأي الشيء

اه (واعلم) أن العدل فى الاحكام قوام الدنيا والدين وسبب لصلاح المخلوقين وهو مأخوذ من الاعتدال وهو الاستواء وحقيقة العدل وضع الامور فى موضعها فلا توضع الشدة فى مكان اللين ولا اللين فى مكان الشدة ولا السيف مكان السوط ولا السوط مكان السيف وأما الانصاف فهو استيفاء الحقوق بالايدى العادلة وهو والعدل توأمان نتيجتهما علو الهمة وقد قيل من عدل فى سلطانه استغنى عن أعوانه ويقال عدل السلطان انفع للرعية من خصب الزمان ويقال الملك يبقى على الكفر والعدل ولا يبقى على الجور والايمان وقد أشار بعض الشعراء الى ذلك بقوله * عليك بالعدل ان وليت مملكة * واحذر من الجور فيها غاية الحذر

فالملك يبقى على عدل الكفور ولا * يبقى مع الجور فى بدو ولا حضر

وقال عمرو بن العاص ملك عادل خير من مطر وابل ويقال اذا عدل السلطان فى رعيته ثم جار على واحد لم يف عدله بجوره وكان كسرى اذا جلس للحكم بين الناس أمر رجلين من رؤساء دولته فوقف واحد عن يمينه و واحد عن شماله فكان اذا زاغ حركاه بقضيب معهما وقالا له والرعية يسمعون أيها الملك أنت مخلوق لا خالق وعبد لا مولى وليس بينك وبين الله قرابة أنصف الخلق وانظر لنفسك * وكتب جعفر بن يحيى الى بعض عماله أنصف من وليت أمره والا أنصفه منك من ولى أمرك وهو الله تعالى * وكتب أخوه الفضل بئس الزاد الى المعاد التعدى على العباد ولقد صدق القائل

يا أيها الملك الذى * بصلاحه صلح الجميع
أنت الزمان فان عدلت فكله أبدا ربيع

وقال آخر

لكل ولاية لابد عزل * وصرف الدهر عقد ثم حل
وأحسن سيرة تبقى لوال * على الايام احسان وعدل

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

فهو المحبوس عن لذاته * وكلا كفيه فى الحشر تغل

أى فالحاكم كالشخص المحبوس عن لذاته كما هو مشاهد من كونه لا يمشى الا مركوبا يركبه ويجمع معه يمشى خلفه وغير ذلك فان لم يجد ذلك لم تسمح نفسه بخروجه الى المحل الذى يريده فصار محبوسا عن شهوته وهذا الامر حادث والا فكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ملكا فى زى مسكين واشترى على كرم الله وجهه تمرا بدراهم فحمله فى ردائه فسأله بعض أصحابه أن يحمله عنه فقال أبو العيال أحق بحمله ولما ولى على بن عيسى الوزارة وذلك سنة ثلاثمائة رأى الناس يمشون حوله كما كانوا يمشون حول الوزراء قبله فالتفت اليهم وقال أنا لا أرضى لعبيدنا أن يفعلوا معنا هذا فكيف نكلفه قوما أحرارا لا احسان لنا عليهم ومنعهم من المشى فى ركابه ويقال ان أول من مشت معه الرجال وهو راكب الاشعث بن قيس كان يركب فى واحد ويرجع فى ألف اهـ وقوله وكلا كفيه فى الحشر تغل بالغين المعجمة أى تجمع الى عنقه بطوق من حديد قال فى المصباح كلا بالكسر والقصر اسم لفظه مفرد ومعناه مثنى وتلزم اضافته الى مثنى فيقال قام كلا الرجلين ورأيت كليهما واذا عاد عليه ضمير فالافصح الافراد نحو كلاهما قام قال تعالى كلتا الجنتين آتت أكلها والمعنى كل واحدة منهما آتت أكلها وتجوز التثنية فيقال قاما اهـ وكلام الناظم رحمه الله تعالى محمول على غير العادل ففى الجامع الصغير أنه صلى الله عليه وسلم

قال

قال غير الدجال أخوفني على أمتي من الدجال الائمة المضلون وفيه أيضا قال صلى الله عليه وسلم في جهنم واد وفي الوادي بئر يقال لها هبهب حق على الله تعالى أن يسكنها كل جبار وفيه أيضا قال صلى الله عليه وسلم الفلق سجن في جهنم يحبس فيه الجبارون والمتكبرون وان جهنم لتتعوذ منه وفيه أيضا قال صلى الله عليه وسلم ان أحب الناس الى الله تعالى يوم القيامة وادناهم منه مجلسا امام عادل وابغض الناس الى الله تعالى يوم القيامة وابعدهم منه امام جائر وفيه أيضا قال صلى الله عليه وسلم ان شئتم أنبئكم عن الامارة وماهي أولها ملامة وثانيها ندامة وثالثها عذاب يوم القيامة الا من عدل وفيه أيضا قال صلى الله عليه وسلم ايما راع استرعى رعية فلم يحصنها بالامانة والنصيحة الا ضاقت عليه رحمة الله التي وسعت كل شئ وقال في غرر الخصائص ماذصه ينبغي للملك أن يعمل بخصال ثلاث تأخير عقوبة المسئ وتعجيل ثواب المحسن والعمل بالأناة فيما يحدث له لان في تأخير العقوبة امكان العفو وفي تعجيل ثواب المحسن المسارعة بالطاعة وفي الأناة اتضاح الرأي والصواب وقال أنوشروان الناس ثلاث طبقات فتسوسهم بثلاث سياسات طبقة هم الابرار فسوسهم باللين والعطف وطبقة هم الاشرار فسوسهم بالغلظة والعنف وطبقة هم العامة نسوسهم بالشدة واللين كيلا تحرجهم الشدة ولا يبطرهم اللين ولله در القائل

اذا كنتم للناس أهل سياسة * فسوسوا كرام الناس بالرفق والبذل
وسوسوا لئام الناس بالذل يصلحوا * على الذل ان الذل أوفق للنذل

وقال بعضهم لا سلطان الا برجال ولا رجال الا بمال ولا مال الا بعمارة ولا عمارة الا بعدل وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لو ان بيني وبين الناس شعرة لما انقطعت قيل له وكيف ذلك قال ان جذبوها أرخيتها وأن أرخوها جذبتها وقال بعضهم اذا كان عند الملك للمحسن من الحق ما يقنعه وللمسيء من أليم العذاب ما يقمعه بذل المحسن النصح رغبة وانقاد المسيء الى الحق رهبة * وقال بعض الملوك اعلم أن الملك والدين اخوان توأمان لا قوام لاحدهما الا بالآخر لان الدين هو أس والملك عماده وقائم سيف الدين ونجاده ولا بد للملك من أس ولا بد للدين من حارس فان من لا حارس له ضائع ومن لا أس له مهدوم ويقال شيآن ان صلح أحدهما صلح الآخر السلطان والرعية * كان الرشيد في بعض غزواته فألح عليه الثلج ليلة فقال بعض أصحابه يا أمير المؤمنين أما ترى ما نحن فيه من الجهد والتعب والرعية قارة نائمة فقال اسكت فللرعية المنام وعلينا القيام ولا بد للراعي من حراسة الرعية وتحمل الاذية اه وقال الشاعر في ذم بعض ولاة بني مروان

اذا ما قضيتم ليلكم بمنامكم * وأفنيتم ايامكم بمدام
فمن ذا الذي يغشاكم في ملمة * ومن ذا الذي يلقاكم بسلام
رضيتم من الدنيا بأيسر بلغة * بلثم غلام أو بشرب مدام
ألم تعلموا أن اللسان موكل * بمدح كرام أو بذم لئام

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿ان النقص والاستثقال في * لفظة القاضي لوعظا ومثل﴾

هذا البيت متعلق بالقاضي الذي هو أحد الحكام أي ان في النقص بالصاد المهملة وفي الاستثقال المتضمن لهما لفظ القاضي لوعظا كافيا ومثلا شافيا بزجران ويمنعان من له عقل عن الدخول في ولاية القضاء ووقف الناظم رحمه الله تعالى بالسكون على مثل مع أنه منصوب

البغا رسعة الذين يقفون على المنصوب بالسكون وبيان النقص فى لفظ القاضى أنه من الاسماء المنقوصة كالثانى والوالى ونحوهما فيقدر فى اعرابه الرفع والخفض ويظهر فيه النصب فتقدر الضمة فى الرفع والكسرة فى الخفض والمانع من ظهور الضمة فى الاول والكسرة فى الثانى الثقل قال ابن مالك رحمه الله تعالى

والثان منقوص ونصبه ظهر * ورفعه ينوى كذا أيضا يجر

ولله در الملاح حيث قال فى تخميسه

واذا اقترت بقاض مسعف * عادل فى الحكم خير منصف * فتأمل حكمة السر الخفى
ان النقص والاستثقال فى * لفظة القاضى لوعظا ومثل

ففى كلام الناظم النهى عن تولى القضاء وهو محمول على من ليس فيه أهلية له لعجزه عن ذلك أو لجهله وعدم معرفته والا فالقضاء فى حق الصالحين له فرض كفاية فى كل ناحية تحتاج الى قاض كالجهاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقد يكون فرض عين كما اذا لم يوجد فى الناحية صالح له الا شخص واحد فيتعين عليه وقد ورد فى فضله من الكتاب والسنة ما يرغب فيه كقوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله وقوله تعالى وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى مع القاضى مالم يجر فاذا جار تبرأ الله منه وألزمه الشيطان رواه الحاكم والبيهقى ولله در القائل

نعم الوظيفة القضا لاهله * وظيفة الاشراف والافاضل
فاحفظ لها حقوقها واعمل بها * ولا تكن عن حفظها بذاهل

وقال بعضهم

مرتبة الرسول طه المصطفى * اكرم بها بين الانام مرتبه

وأما ما ورد من النهى عن ولايته فهو محمول على من ليس فيه أهلية القضاء كقوله صلى الله عليه وسلم من جعل على القضاء فكأنما ذبح بغير سكين وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يجاء بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى فى شدة العذاب مايود أن لم يكن قضى بين اثنين قط ولهذا الحديث امتنع منه أكابر العلماء كالامام الاعظم فانه ادخل على أبى جعفر الدوانقى فقال يا أبا حنيفة أعنا على امرنا فقال أبو حنيفة يا أمير المؤمنين أنا لا اصلح لهذا الامر فقال له جعفر سبحان الله اعنا على امرنا فقال يا أمير المؤمنين ان كنت صادقا عندك فقد اخبرتك أنى لا اصلح لهذا الامر وان كنت كاذبا فلا يحل لك توليتى هذا الامر قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿لا تساوى لذة الحكم بما * ذاقه الشخص اذا الشخص انعزل﴾

أى لا تقوم لذة الحكم مقام الذى يحصل للشخص وقت انعزاله حين يقول له صاحب امره أنت معزول فجميع ما يحصل للحاكم فى مدة ولايته من لذة الامر والنهى والاعطاء والمنع وغير ذلك لا يساوى قول ولى امره أنت معزول لما يلحقه بسبب ذلك من الشدة والمشقة والاضطراب واختلال الامر وغير ذلك وقد حكى أنه كان ببغداد رجل قاض وكان من أهل العلم وكانت عنده جارية جميلة فكان يطؤها حتى اذا قارب الانزال عزل عنها فتقول له يا سيدى أذاقك الله مرارة العزل فاتفق أن الامام عزله عن منصبه فصار متحيرا ذاهلا لا يلتذ بأكل ولا بشرب

ولا بنوم ولا غير ذلك مما كان يجده قبل العزل في زمن الولاية فالتمس دعاءها وتاب الى الله سبحانه وتعالى عن العزل عنها فاستجاب الله سبحانه وتعالى دعاءها واعيد اليه منصبه اه وقال بعضهم لا تشاور المعزول فان رأيه مفلول بالقاء ولله در الملاح حيث قال في تخميسه

صح في الجنة قاض علما * ولظى اثنان بقول العلما * أنصف الخصمين يا من حكما
لا تواري لذة الحكم بما * ذاقه المرء اذا المرء انعزل

وهذا مصداق قوله عليه الصلاة والسلام القضاة ثلاثة قاض في الجنة وقاضيان في النار فالاول رجل عرف الحق فاتبعه وحكم به فهو في الجنة والثاني رجل عرف الحق ولم يحكم به فهو في النار والثالث رجل لم يعرف الحق وحكم على جهل فهو في النار ولله در القائل

ان القضاة ثلاثة يصعيدنا * قد حققوا ما جاء في الاخبار
قاض باسنا قد ثوى في جنة * والقاضيان كلاهما في النار

وقال بعضهم في هجو القضاة الجائرين

قضاة زماننا أضحوا لصوصا * عموما في البرية لا خصوصا
فحسبك أنهم لو صادفونا * لسلوا من خواتمنا الفصوصا

وقال آخر

ولما ان توليت القضايا * وفاض الجور من كفيك فيضا
ذبحت بغير سكين واني * لأرجو الذبح بالسكين أيضا

ويحكى أن بعض الجهال من القضاة تقدم اليه رجل بخصم فقال هذا اعطى ثوبا فوجدت فيه عيبا وسألته أن يقيلني فأبى فالتفت اليه القاضي وقال له أقله عافاك الله فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قيلوا فان الشيطان لا تقيل فانظر الى جهله وقيل لقاضي حمص كيف تحكم على اللوطي قال بنصف حكومة الزاني قيل له ولم قال لان الحمار لا يحمل الا نصف ما يحمل البغل وهذا حكم لا معنى له وادعت امرأة على زوجها مهرا عند بعض القضاة فانكر فأمر القاضي أن يجلد حدين قيل له ولم حكمت بهذا قال لانهما زنيا اذ لم يكن بينهما مهر قيل أفلا تحد المرأة قال بلى لان النخلة اذ لم تحمل رأسها أحرق أصلها وهذا كلام لا معنى له وتقدم جماعة لقراقوش وكان عاملا لصلاح الدين على مصر ومعهم قتيل وثور ورجل مكتوف فقالوا أيها الامير ان هذا الثور مال على هذا الرجل فقتله وهذا مالكه وهو العاقلة فتفكر ساعة ثم أمر بالثور أن يشنق ويطلق صاحبه فقيل له ما هذا حكم الله فقال لو جرى هذا في زمن فرعون ما فعل غير هذا لانه القاتل ولا يحل لي أن أقتل غير القاتل وهذه حكاية ذكرها القاضي الاسعد في كتابه الذي سماه الفاشوش في أحكام قراقوش ذكر فيه من هذه الاحكام شيأ كثيرا والعهدة عليه في ذلك وأظن والله أعلم أن كل ما فيه مختلق لان صلاح الدين بن أيوب مع تيقظه ودينه لا يولي اقليم مصر من يكون بهذا العقل (وحكي) أن عامل المنصور بن النعمان كتب اليه من البصرة اني أجبت سارقا سرق نصابا من حرزه فما أصنع فيه فكتب اليه المنصور أن اقطع رجله ودعه يكديده على عياله فأجابه العامل ان الناس ينكرون هذا القول ويقولون قال الله تعالى في القرآن والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما الآية فكتب اليه القرآن نزل من السماء ونحن في الارض والشاهد يرى ما لا يرى الغائب فانظر الى جهله كيف أداه وكان

نصر بن مقبل عاملا للرشيد على الرقة فأتى برجل ينكح شاة فقال أيها الامير انها والله ملك يمينى وقد قال الله تعالى وما ملكت أيمانكم فأطلقه وأمر أن تضرب الشاة الحد فان ماتت تصلب فقيل له أيها الامير انها بهيمة فقال وان كانت بهيمة فان الحدود لا تعطل وان عطلتها فبئس الوالى أنا فانتهى خبره الى الرشيد ولم يكن رآه قبل ذلك فدعا به فلما مثل بين يديه قال كيف بصرك بالحكم قال يا أمير المؤمنين الناس والبهائم عندى فيه سواء ولو وجب حد على بهيمة وكانت أمى أو أختى لجلدتها ولم تأخذنى فى الله لومة لائم فعزله الرشيد وأمر أن لا يستعان به فى عمل فلم يزل معطلا الى أن مات وكان الربيع بن عبد الله العامرى واليا على اليمامة فبلغه أن كلبا قتل كلبا فأمر أن يقتل به فقال فيه بعض الشعراء

شهدت بان الله حق لقاؤه * وأن ربيع العامرى رقيع

أقاد لنا كلبا بكلب ولم يدع * دماء كلاب المسلمين تضيع

ويحكى أن بعض القضاة العقلاء قدم قوم اليه مغر بما لهم فادعوا عليه بمال فأقر فأمره القاضى أن يدفع لكل ذى حق حقه فقال انى رجل معسر وقد صار استغلاله فان رأوا أن يؤجلونى أياما حتى أستغله وأؤدى اليهم حقوقهم فسألهم القاضى فقالوا والله لا نعلم له شيأ أصلا فقال القاضى اذهب فقد فلسك غرماؤك وحكى أن رجلا أراد أن يحج فأودع عند رجل مالا فلما رجع طلبه منه فجحده فأتى اياسا القاضى فأخبره فقال له لا تعلم أحدا أنك أتيتنى وارجع الىّ بعد يومين ثم دعا القاضى اياس المودع عنده وقال له قد اجتمع عندنا مال لايتام وأريد أن أودعه عندك ليكون فى حرزك فحصن بيتك وانتخب أقواما ثقاتا يحملونه معك فخرج الرجل وأصلح منزله ثم دعا القاضى اياس المودع وقال له انطلق الى صاحبك واطلب منه مالك وقل له ان أنت لم تردّ علىّ مالى شكوتك للقاضى فذهب اليه وطلب ماله فرده عليه فأخبر الرجل القاضى اياسا بذلك فتعجب من ذلك وقال ربما كانت الحيلة الى درك المطلوب وسيلة وترك القاضى اياس وعد الرجل قاله فى غرر الخصائص قال الناظم رحمه الله تعالى

﴿فالولايات وان طابت لمن * ذاقها فالسم فى ذاك العسل﴾

هذا البيت تفريع على البيت الذى قبله أى فالاحكام وان كانت حلوة كالعسل لما ينشأ عنها من حلاوة الامر والنهى والسطوة والعلو والعظمة وغير ذلك مما تهواه النفس فذلك العسل فيه سم قاتل لو قته لما ينشأ عن المذكورات من الكبر والعجب والخيلاء واحتقار المسلمين ولان الغالب فى متولى الاحكام أن تكون آخرته تفريق شمله وتشتيت جمعه وموته غريبا كما هو مشاهد معلوم فقد ثبت أن بنى أمية تفرق أمرهم غاية التفرق وكذلك غيرهم ولما تفرق الامر عن مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية وأيقن بزوال ملكه وغلبة بنى العباس عليه قال لكاتبه عبد الحميد بن يحيى انى قد احتجت أن تكون مع عدوى فتظهر لهم الغدر بى فان استطعت أن تنفعنى فى حياتى والا فلا تعجز فى حفظ حرمتى بعد وفاتى فقال عبد الحميد ان الذى أمرتنى به أنفع الامرين لك وأضرهما بى وما عندى الا الوفاء لك حتى يفتح الله أو أقتل معك فامسك عنه ساعة وأعاد عليه القول ثانية فقال والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس فلم يزل معه حتى قتل وذلك فى آخر اثنتين وثلاثين

ومائة

ومائة وله تسع وخمسون سنة وقتل بوصير قرية من صعيد مصر وهو آخر ملوك بني أمية وكانت مدة دولتهم ثلاثا وتسعين سنة وأحد عشر شهرا وأياما وهرب عبد الحميد الى قرية تعرف بالاشمونين فاختفى فيها فدل عليه وحمل الى أبي العباس السفاح بأمان فلم يحظ عنده وذكر بعضهم أن جماعة من بني أمية دخلوا على أبي العباس السفاح وفيه الغمر بن هشام بن عبد الملك فألح عليه أبو العباس بالنظر فلما رأى الغمر ذلك منه أنشد وقال

عبد شمس أبوك وهو أبونا * لاتناديك من مكان سحيق

والقرابات بيننا واشجات * محكمات العرا بعقد وثيق

فأعجبه ذلك منه وأجلسه معه على السرير وأقعد أصحابه حوله يمينا وشمالا وتحدث معهم فشكروه على ذلك فبينما هم يتحدثون اذ دخل عليهم سديف بن مأمون فأنشد السفاح القصيدة التي أولها * عمر الدين فاستنار عليا * حتى أتمها فقال السفاح يا ابن هشام كيف ترى شاعرنا فقال للسفاح ان شاعرنا لاشعر من شاعركم وأكثر بيانا وأفصح لسانا فقال السفاح وما قال شاعركم فقال قال

لوتحمل البخت والافيال مثقلة * أحلامهم تركت عقرا المباهير

لايعبثون اذا الجت محافلهم * زين المجالس فرسان الزنابير

فاحمرت عينا السفاح وهاجت به حمية كانت قد سكنت ثم ضرب على فخذ الغمر وقال

طمعت أمية أن يجاوزها شم * عنها ويذهب زيدها وحسينها

كلا ورب محمد ومليكه * حتى يباد كفورها وخؤنها

ثم قال لهم قوموا الى مقصورتكم ثم دعا بثلاثة وسبعين رجلا من أهل خراسان فأعطاهم الخشب وقال اشدخوهم فشدخوهم عن آخرهم قال سديف والله ماخرجت من الأنبار حتى رأيتهم معلقين بعراقيهم قد نهشت الكلاب رؤسهم ودخل اسمعيل الملقب بسديف المذكور على السفاح وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد أدناه وأعطاه يده فقبلها فلما رأى سديف ذلك أقبل على السفاح فقال

ياابن عم النبي أنت ضياء * استبنا بك اليقين الجليا

ياوصي الشهيد أكرمك الله * فقد كنت للشهيد وصيا

لايغرنك ماترى من خضوع * ان تحت الضلوع داء دويا

بطن البغض في القديم فأضحى * ثابتا في قلوبهم مطويا

فضع السيف وارفع السوط حتى * لاترى فوق ظهرها أمويا

فقام أبو العباس ودخل واذا المنديل قد ألقي في عنق سليمان ثم جر فذبح ودخل شبل بن عبد الله على عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بعد ماولي الخلافة ووليها وهو ابن أربع وعشرين سنة في ربيع الآخر سنة ثنتين وثلاثين ومائة وعنده مائة رجل من بني أمية وهم جلوس معه على المائدة فقام اليه وأنشد يقول

أصبح الملك ثابت الآساس * بالبها ليل من بني العباس

طلبوا وتر هاشم فشفوها * بعد ميل من الزمان ويأس

يا كريم المطهرين من الرجـ * ـس ويا رأس كل طود راسي
لا تقيلن عبد شمس عثارا * واقطعن كل رقلة وأواسي
ذلها أظهر التودد منها * وبها منكم كحز المواسي
ولقد غاظني وغاظ سوائي * قربهم من نمارق وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها الله * ـه بدار الهوان والاتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد * وقتيلا بجانب المهراس
فأمر بهم عبد الله فشدخوا وبسطت البسط عليهم وجلس عليها ودعا بالطعام وانه يسمع أنينهم وعويلهم فلما فرغ من طعامه قال ما أكلت أكلة هي أهنأ ولا أمرأ ولا أطيب في نفسي من هذه ثم خرج في طلب بني أمية في أقطار الارض ان وجد حيا قتله وان وجد قبرا نبشه وأحرق من فيه ثم أتى دمشق فدخلها وقتل في جامعها يوم جمعة في شهر رمضان خمسين ألفا من بني أمية ومواليهم كانوا قد استجاروا بالجامع فلم يجرهم ولما وصل الى الرصافة أخرج هشاما من قبره فضربه مائة وعشرين سوطا حتى تناثر لحمه وقال انه ضرب أبي ستين سوطا ظلما وقوله واذكروا مصرع الحسين أي الحسين بن علي رضي الله عنهما حين قتله اليزيد بن معاوية وقصته مشهورة * وقوله وزيد حاصل قصته أن الامام زيدا رضي الله عنه ظهر في سنة اثنتين وعشرين ومائة بالكوفة فأرسل هشام بن عبد الملك الى محاربته يوسف بن عمر الثقفي فلما قامت الحرب بينهم على ساقها انهزم أصحاب زيد وبقي في جماعة يسيرة فقاتل أشد القتال ولم يزل يقاتل حتى أصابه سهم في جبهته فمات منه ليلا فدفنه أصحابه ثم دل يوسف على قبره فأخرجه وقطع رأسه وأرسله الى دمشق فعلق وصلبت جثته عارية فتدلت سرته حتى سترت سوأته وقيل ان العنكبوت نسجت عليه حتى سترت عورته وذلك في السنة التي ظهر فيها ولم يزل كذلك الى أيام الوليد بن عبد الملك فأمر بها فأحرقت ومات هشام سنة خمس وعشرين ومائة في ربيع الاول وله من العمر ست وخمسون سنة وكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة وعشرة أشهر وأياما * وقوله وقتيلا بجانب المهراس المراد به حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء رضي الله عنه وانما نسب قتله لبني أمية لان أبا سفيان رضي الله عنه قاد الجيوش يوم أحد لقتال المسلمين والمهراس ماء بأحد قاله في غرر الخصائص * قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿نصب المنصب أوهى جسدي * وعنائي من مداراة السفل﴾

النصب بفتح النون والصاد المهملة التعب والاعياء والمنصب بفتح الميم وكسر الصاد وزان مسجد العلو والرفعة وقوله أوهى جسدي أي أضعفه فهو يتعدى بالهمزة كما هنا وقوله وعنائي بفتح العين والمد أي تعبي وارتكابي ما يشق علي وقوله من مداراة أي ملاطفة وملاينة السفل أي الاراذل وهذا التقرير كله مستفاد من المصباح فقوله نصب مبتدأ وجملة أوهى جسدي خبره وقوله وعنائي مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده أو خبره محذوف لدلالة ما قبله عليه أي أوهى جسدي أيضا وفي بعض النسخ جلدي أي تجلدي وتصبري (تتمة) سئل معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما عن السفلة فقال هم الذين ليس لهم فعل موصوف ولا نسب معروف ولذلك قال بعضهم شهادات الافعال أصدق من شهادات الرجال وقال الاصمعي السفل

هم الذين لا يبالون بما قالوا أو قيل فيهم وقال يحيى بن أكثم هم الذين لا يعيبهم ما صنعوا وسمع الاحنف رجلا يقول لا أبالى مدحت أو ذممت فقال يا هذا استرحت من حيث تعب الكرام وقال بعضهم هم الذين يكافئون على الفعل الحسن بالقبيح كما يحكى أن رجلا يقال له همام بن مرة أخذ شخصا يقال له ناشرة من أمه لما مات أبوه وضاقت بتربيته ذرعا فرباه همام وأحسن اليه فلما بلغ ناشرة الحلم أتى شيأ قبيحا فنهاه عنه فتركه حتى نام واغتاله أى قتله فصار مثلا فى العرب تقول أكفر من ناشرة (وحكى) انه أغار مالك بن خيثمة الجعفى على بنى القين فاستاق منهم ابلا فألقوا خلفه الاعنة ليطلقوها منه فلم يقدروا عليه ولا وصلوا اليه ثم انه فكر بدا كانت لبعضهم عنده فخلى ما كان فى يده وولى منصرفا فنادوه وقالوا ان أمامك مفازة ولا ماء معك وقد فعلت جميلا فانزل ولك الذمام والحباء فنزل فلما اطمأن وسكن أخذته سنة فنام فوثبوا عليه وقتلوه غدرا فهذا شأن الاسافل (وقد ورد) فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا جمع الله الاولين والآخرين رفع لكل غادر لواء وقيل هذه غدرة فلان وقيل ان عيسى عليه السلام مر بانسان يطارد حية وهى تقول له والله لئن لم تذهب عنى لا نفخن عليك نفخة أقطعك بها قطعا فمضى عيسى وعاد فوجد الحية فى يد الرجل محبوسة فقال لها ويحك أين ما كنت تقولين قالت يا روح الله انه حلف لى وغدر وان سم غدره أقتل له من سمى وقال على كرم الله وجهه الوفاء بأهل الغدر غدر والغدر بأهل الغدر وفاء وقالوا الغدر يصلح فى كثير من المواطن ولا غدر لغادر ولا خائن قاله فى غرر الخصائص قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿قصر الآمال فى الدنيا تفز * فدليل العقل تقصير الأمل﴾

أى قصر آمالك فى طلب الدنيا فانك ان فعلت ذلك فزت أى ظفرت بكل خير واستدلينا على كمال عقلك لان تقصير الأمل دليل على كمال العقل فسبيل العاقل تقصير آماله فى الدنيا والتقرب الى الله سبحانه وتعالى بصالح الأعمال ولهذا قال بعضهم قصر الأمل سبب للزهد لان من قصر أمله زهد ويتولد من طول الأمل الكسل عن الطاعة والتسويف بالتوبة والرغبة فى الدنيا والنسيان للآخرة والقسوة فى القلب وقيل من قصر أمله قل همه وتنور قلبه لانه اذا استحضر الموت اجتهد فى الطاعة ورضى بالقليل وقال ابن الجوزى الأمل مذموم الا للعلماء فلولا أملهم لما ألفوا ولا صنفوا وفى الامل سر لطيف لانه لولا الأمل لما تهنأ أحد بعيش ولا طابت نفسه أن يشرع فى عمل من أعمال الدنيا قال صلى الله عليه وسلم انما الامل رحمة من الله لأمتى ولولا الامل ما أرضعت أم ولدها ولا غرس غارس شجرا رواه الخطيب عن أنس رضى الله عنه والمذموم من الأمل الاسترسال فيه وعدم الاستعداد لأمر الآخرة فمن سلم من ذلك لم يكلف بازالته وورد فى ذم الاسترسال فى الامل حديث أنس رفعه أربعة من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وطول الامل والحرص على الدنيا رواه البزار قاله فى فتح البارى وقال فى تنبيه الغافلين روى عن قتادة عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يهرم من ابن آدم كل شئ الا اثنتان الحرص والامل وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال أخوف ما أخاف عليكم اثنان طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاح هذه الامة بالزهد واليقين

وهلاك آخرها بالبخل وطول الأمل اه واعلم ان السبب في تقصير الأمل وعدم الاسترسال فيه هو تذكر الموت والقبر والثواب والعقاب وأهوال القيامة قال صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات فانه ماذكر في قليل الا كثره ولا في كثير الا قلله أي ماذكر في قليل من العمل الصالح الا كثر ثوابه ولا في كثير من الامل الا قلله وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار يارسول الله من أكيس الناس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا أولئك الاكياس * ويروى أن امرأة شكت الى عائشة رضي الله عنها قساوة في قلبها فقالت لها أكثري من ذكر الموت ففعلت ذلك فرق قلبها وقال عبد الله بن عقبة عدت رجلا مريضا فلما قعدت عنده قلت كيف تجدك فأنشد يقول

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي * غداة أقل الحاملون جنازتي
وعجل أهلي حفر قبري وصيروا * خروجي وتعجيلي اليه كرامتي
كأنهم لم يعرفوا قط صورتي * غداة أتى يومي علي وساعتي

وقال ثابت البناني رحمه الله دخلت المقابر لأزور القبور واعتبر بالموتى واتفكر في البعث والنشور واعظ نفسي لعلها ترجع عن الغي والغرور فوجدت أهل القبور صموتا لا يتكلمون وفرادى لا يتزاورون فأيست من مقالهم واعتبرت بأحوالهم فلما أردت الخروج اذ أبصرت من يقول لي ياثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم فيها من نفس معذبة أو منعمة * ويروى أن بعض المتعبدين أتى قبر صاحب له كان يألفه فوقف عند رأسه وأنشد يقول

مالي مررت على القبور مسلما * قبر الحبيب فلم يرد جوابي
أحبيب مالك لا تجيب مناديا * أمللت بعدي خلة الأصحاب

قال فهتف بي هاتف من جانب القبر يقول

قال الحبيب وكيف لي بجوابكم * وأنا رهين جنادل وتراب * أكل التراب محاسني فنسيتكم وحجبت عن أهلي وعن أصحابي * وتمزقت تلك الجلود وصفاحها * ياطالما لبست رفيع ثياب وتساقطت تلك الانامل من يدي * ما كان أحسنها لخط كتاب * وتساقطت تلك الثنايا واللؤلؤا ما كان أحسنها الرضاب * وتساقطت تلك العيون على الثرى * ياطالما نظرت بهم أحبابي

وقيل مر داود الطائي بامرأة تبكي عند قبر وهي تنشد وتقول

عدمت الحياة فلانلتها * اذا أنت في القبر قد أوسدوكا
وكيف ألذ بطعم الكرى * وها أنت في القبر قد أفردوكا

ثم قالت ياأبتاه بأي خديك بدأ الدود أولا فخر داود مغشيا عليه من كلامها * وقال مالك بن دينار أتيت القبور على سبيل الزيارة والتذكار والتفكر في الموت والاعتبار فتمنيت من يخبرني عنهم خبرا أو يقص لي من آثارهم أثرا فقلت شعرا

أتيت القبور فناديتها * فأين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه * وأين العزيز اذا ما افتخر

قال فنوديت من بين القبور

تفانوا جميعا فلا مخبر * وماتوا جميعا وأضحوا عبر

وساروا الى ملك عادل * عزيز مطاع اذا ما أمر

فيا سائلي عن أناس مضوا * أمالك فيما مضى معتبر

قال مالك فرجعت أبكي بالدموع الغزار واعتبرت بذلك أي اعتبار وقال الاصمعي كنت كثير التفكر في القبور وأتسلى بقراءة الكتابة التي عليها فرأيت قبورا على صف وعليهم لوح مكتوب عليه هذان البيتان

ألا قل للناس على قبرنا * عقول باشياء حلت بنا

سيندم يوما لتفريطه * كما قد ندمنا لتفريطنا

وما أحسن ما قال بعضهم

الموت لا بد منه فاستعدله * ان اللبيب بذكر الموت مشغول

فكيف يلهو بعيش أو يلذ به * من التراب على خديه مجعول

وفي هذا أقرب من قول الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿ان من يطلبه الموت على * غرة منه جدير بالوجل﴾

الغرة بكسر الغين المعجمة الغفلة وبضمها تطلق على أول الشهر وغيره وتطلق على الواجب في الجناية على الجنين وتطلق على البياض الذي في الجبهة اذا كان فوق الدرهم ومنه الغرة في الوضوء أفاده في المصباح وفيه أيضا وهو جدير بكذا بمعنى خليق وحقيق وفيه أيضا وجل وجلا فهو وجل والانثى وجلة من باب تعب اذا خاف اه وهذا البيت كالتعليل للبيت الذي قبله اي انما أمرتك بتقصير الامل في الدنيا لانك منقول من هذه الدار قطعا ولا تدري أين يكون الانتقال فاللائق بك الاستعداد للرحيل وعدم الركون الى الدنيا قال بعضهم من علم أن الموت نازل به وأيقن أنه في عسكر الموت استعدله من الاعمال الصالحة ما يدفع عنه بعض شدته فانه لا يدري متى هو نازل به وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة الموت لامته لكي يستعدوا له ويصبروا على شدائد الدنيا التي هي أيسر وأخف من معالجة الموت جعلنا الله واياكم ممن خافه وعمل له آمين وروى عن جابر بن عبد الله الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج فانه قد كانت فيهم الاعاجيب ثم أنشأ يحدث فقال خرجت طائفة من بني اسرائيل حتى أتوا مقبرة فقالوا لو صلينا ثم دعونا حتى يخرج لنا بعض الموتى فيخبرنا عن الموت فصلوا ثم دعوا ربهم فبينما هم كذلك واذا برجل خرج عليهم من قبره برأسه فقال يا هؤلاء ما أردتم فوالله لقد مت منذ سبعين سنة وان حرارة الموت ما ذهبت مني الى الآن وكان بين عينيه أثر السجود * وعن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شدة الموت وكربه على المؤمن أشد من ثلثمائة ضربة بالسيف وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام فقال اذا دخل النور في القلب انفسح وانشرح قيل وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكعب الاحبار حدثني عن الموت فقال كأنه غصن شوك أدخل في جوف رجل فاخذت كل شوكة

بعرق ثم جلبها رجل شديد الجذب جذ بشديدة فقطع منها ما قطع وأبقى ما أبقى وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو علمت البهائم ما تعلمون من الموت ما أكلتم منها لحما سمينا أبداو ذكر أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى باذن الله فقال له بعض الكفرة انك تحيي جديد العهد بالموت ولعله لم يكن ميتا فأحي لنا من مات في الزمن الاول فقال لهم اختاروا من شئتم فقالوا أحي لنا سام بن نوح فجاء الى قبره وصلى ركعتين ودعا الله تعالى فاحيا الله تعالى سام بن نوح فاذا برأسه ولحيته قد ابيضا فقال له ماهذا الشيب وان الشيب لم يكن في زمانك فقال سمعت النداء فظننت أنها القيامة فشاب رأسي ولحيتي من الهيبة فقال منذ كم أنت ميت قال منذ أربعة آلاف سنة لما ذهبت عني سكرات الموت وروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها فان كان برا فقد قال الله تبارك وتعالى وما عند الله خير للابرار وان كان فاجرا فقد قال الله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين * وروى عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا قيل أي المؤمن أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل الاماني يعني المغفرة قاله في تنبيه الغافلين ولله در الملا مع حيث قال في تخميسه

اتق الله وقصر أملا * وارض من رزق بهما حصلا * ليس في الدنيا خلود فالا

ان من يطلبه الموت على * غرة منه جدير بالوجل

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

* غب وزر غبا تزد حبا فمن * أكثر الترداد أضناه الملل *

أمر الناظم رحمه الله تعالى بالغيبة عن الناس فقوله غب بكسر الغين المعجمة أي اعتزل الناس ولا تخالطهم ثم أمر بالزيارة لهم بقوله وزر غبا بكسر الغين المعجمة أي يوما بعد يوم هذا هو المراد بزيارة الغب ولكن المراد هنا أن لا تغيب زمنا طويلا بين الزيارتين ثم علل الامر بزيارة الغب بقوله فمن أكثر الترداد على الناس أضناه الملل أي أمرضه مرضا ملازما والملل السآمة والضجر وهذا البيت مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا وهذا يختلف باختلاف الناس فبعضهم تسن زيارته كل يوم بأن علمت أنك اذا غبت عنه يوما يشق عليه ذلك وبعضهم يوما بعد يوم وبعضهم بعد اسبوع الى غير ذلك فتستحب زيارة الاخوان والعلماء والصلحاء على حسب ما يقتضيه الحال لان ذلك مما يورث المحبة في القلوب مع حصول الثواب الجزيل * في الجامع الصغير قال صلى الله عليه وسلم أي عبد زار أخا في الله تعالى الا نودي أن طبت وطابت لك الجنة اهـ وقال في غرر الخصائص ما نصه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا أو زار أخا نادى مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا ولقد أحسن من قال امش ميلا وعد مريضا وامش ميلين وأصلح بين اثنين وامش ثلاثة أميال وزر أخا في الله وقال بعضهم الافراط في الزيارة ممل والتفريط فيها مخل وقالوا ربما كان التقالي أي التباغض في كثرة التلاقي وقالوا قلة الزيارة أمان من الملال وقالوا كثرة التعاهد سبب التباعد ولقد أحسن بعضهم في قوله

عليك باغباب الزيارة انها * اذا كثرت صارت الى الهجر مسلكا
الم تر أن الغيث يسئم دائما * و يسئل بالايدى اذا هو أمسكا

ومما يكون سببا للمحبة عيادة المريض لخبر ان المسلم اذا عاد أخاه لم يزل فى حديقة الجنة حتى يرجع قيل يارسول الله فما حديقة الجنة قال جناتها ومما ينبغى للطيف الظريف فى عيادة المريض تخفيف السلام وتقليل الكلام وتعجيل القيام * وحكى أن عمرو بن العلاء رضى الله عنه مرض فعاده بعض الاصدقاء له فابطأ عنده فقال ما يبطئك قال أريد أن أسامرك قال أنت معافى وأنا مبتلى والعافية لا تدعك تسهر والبلاء لا يدعنى أنام والله أسأل أن يسوق لاهل العافية الشكر ولاهل البلاء الصبر * وحكى سلمة قال دخلت على الفراء أعوده فاطلت وألحفت فى السؤال فقال ادن فدنوت فانشدنى

حق العيادة يوم بعد يومين * ولحظة مثل لحظ العين بالعين

ويكفى فى أدب العيادة ما يحكى أن الفضل بن يحيى اعتل فكان اسمعيل بن صبيح يعوده فلا يزيد على السلام عليه والدعاء له ثم ينصرف فيسأل الحاجب عن حاله وما كله ومشربه ونومه وكان غيره يطيل الجلوس فلما برئ الفضل قال ما عادنى فى علتى هذه غير ابن صبيح وينبغى لمن عاد المريض أن يبشره ولا يكون كبعض البلداء كما حكى أنه دخل حمصى على عروة بن الزبير يعوده لما قطعت رجله لاكلة أصابتها فقال له أقطعت رجلك قال نعم قال جيد ثم قال له أوجعك شديد قال نعم قال جيد ثم قال لا تغتم فانك لو رأيت ثوابها لتمنيت أن الله قد قطع رجليك ويديك وأعمى بصرك ودق صلبك فكان مصاب عروة بعائده أكثر من مصابه بما قطع من جسده وأين هذا الجلف من عيسى بن طلحة بن عبيد رضى الله عنهم فانه دخل على عروة هذا يعوده لما قطعت رجله فقال والله ما كنا نعدك للصراع ولا للسباق ولكن نعدك للضيروناالك المنساق ولئن أعدمنا الله أقلك لقد أبقى لنا أكثرك سمعك وبصرك ولسانك وعقلك ويديك واحدى رجليك فقال يا عيسى ما عزانى أحد بمثل ما عزيتنى به * ودخل رجل على مريض يشكو من رأسه فقال لاهله لاضير اذا رأيتم المريض هكذا فاغسلوا أيديكم منه * وعاد آخر مريضا فقال ما بك قال وجع الركبة فقال ان جريرا ذكر بيتا ذهب عنى صدره وبقى عجزه وهو * وليس لداء الركبتين دواء فقال المريض ليت عجزك ذهب كما ذهب صدره وعاد آخر مريضا فقال لاهله آجركم الله ورحم ميتكم فقالوا انه لم يمت بعد فقال يموت ان شاء الله تعالى وعاد آخر مريضا فلما خرج من عنده قال لاهله لا تفعلوا فى هذا كما فعلتم فى فلان مات وما أعلمتمونى وعاد آخر مريضا فلما خرج قال لاهله آجركم الله وأحسن عزاءكم فقالوا انه لم يمت قال عرفت ولكنى شيخ كبير فلا أستطيع النهوض فى كل وقت وأخاف أن يموت فأعجز عن المجىء لاعزيكم به وعاد آخر مريضا فقال ما تشتكى قال وجع الخاصرة قال والله كانت علة أبى فمات منها فعليك بالوصية يا أخى فدعا المريض ولده فقال يا بنى أوصيك بهذا لا تدعه يدخل على بعد هذا اه قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

*(خذ بحد السيف واترك غمده * واعتبر فضل الفتى دون الحلل)*

أى أضرب العدو بحد السيف واترك ضربه بغمده بكسر الغين المعجمة أى بوعائه الذى يدخل

فيه لان النصر مقرون بحده دون غمده كما قال الشاعر

انتهز الفرصة كى تحظى بها * فالعلم در نافع فى حده

وخذ بحد السيف واترك غمده * فالنصر مقرون الرجاء بحده

وهذا محمول على ما اذا كان العدو صائلا على نفسك أو بعضك أو مالك فتردّه بالاخف فاذا لم يمكن ردّه الا بالسيف فخذه بحده دون غمده ولا اثم عليك لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ويحتمل أن يراد به الكافر الحربى فيكون فى كلامه ترغيب فى الجهاد والغزو الذى هو فرض كفاية على المسلمين فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن رواحة فى سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فقال عبد الله أصلى الجمعة مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم ألحق بأصحابى وقد غدا أصحابه فلما صلى رآه النبى صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن رواحة مالك لم تغد مع أصحابك فقال أحببت أن أصلى معك الجمعة ثم ألحق بأصحابى فقال له لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما أدركت فضل غدوتهم * وعن الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لغدوة أو روحة فى سبيل الله أفضل من الارض وما عليها ولموقف الرجل فى الصف الاول أفضل من عبادة ستين سنة وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد أبدا وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كل عين باكية يوم القيامة الا ثلاثة عين بكت من خشية الله وعين غضت عن محارم الله وعين حرست فى سبيل الله وروى عن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال السيوف مفاتيح الجنة قال واذا التقى الصفان فى سبيل الله تزينت الحور العين فاطلعن فاذا أقبل الرجل قلن اللهم انصره اللهم ثبته اللهم أعنه فاذا أدبر احتجبن منه وقلن اللهم اغفر له فاذا قتل غفر الله له بكل قطرة تخرج من دمه كل ذنب هو عليه وتنزل عليه اثنتان من الحور العين تمسحان الغبار عنه * (وحكى) * أن رجلا حبشيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى كما ترانى دميم الوجه منتن الريح غير زكى الحسب فأين أنا ان قاتلت حتى أقتل قال أنت فى الجنة فأسلم ثم التحم القتال فقتلوا فلما تحاجز القوم قال النبى صلى الله عليه وسلم تفقدوا اخوانكم ففعلوا فقالوا يا رسول الله ذاك الحبشى قتل فى وادى كذا فقام النبى صلى الله عليه وسلم معهم فلما أشرف عليه قال اليوم حسن الله وجهك وطيب ريحك وزكى حسبك وأعرض عنه فقالوا رأيناك أعرضت عنه فقال والذى نفسى بيده لقد رأيت ازواجه من الحور العين ابتدرنه حتى بدت خلاخيلهن وعن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى قوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون أرواحهم فى حواصل طيور خضر تسرح فى أشجار الجنة تأكل من أيها شاءت ثم تأوى الى قناديل معلقة تحت العرش وعن عوف بن مالك الاشجعى من أراد أن يكون غازيا حقا مجاهدا فى سبيل الله بالسنة فليحافظ على خصال عشر أولها أن لا يخرج الا برضا الوالدين وثانيها أن يؤدى أمانة الله التى فى عنقه من الصلاة والزكاة والحج والكفارات ثم يؤدى أمانات الناس التى فى عنقه من المظالم والغيبة وقول الزور وثالثها أن يدفع الى أهله ما يكفيهم قدر اقامته ورابعها أن تكون نفقته من كسب حلال فان الله تعالى لا يقبل الا طيبا وخامسها أن يسمع ويطيع أميره ولو كان عبدا حبشيا بعد ما كان أميرا عليه وسادسها أن يؤدى حق رفيقه ويتبسم فى

وجهه كما القيه ويمرّضه اذا مرض ويقوم فى حوائجه وسابعها أن لا يؤذى فى طريقه مسلما ولا معاهدا وثامنها أن لا يفرّ من الزحف وتاسعها أن لا يغل من الغنيمة شيأ قبل القسمة فانه تعالى قال ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة وعاشرها أن يريد بالغزو نصرة المؤمنين قاله فى تنبيه الغافلين (وقوله واعتبر فضل الفتى دون الحلل) أى خذ العلم عمن يؤخذ عنه من أهله كائنا من كان سواء كان فقيرا أو غنيا مالكا أو مملوكا ولا تحتقر الفاضل اذا كان فقيرا لان شأن العلماء العاملين قلة الدنيا فى أيديهم وكذلك اذا قام به فقر أخروى كتقصيره فى الاعمال الصالحات وارتكابه بعض المنهيات لأن ضرر ذلك عليه لا على غيره كما قال تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وقوله دون الحلل بضم الحاء المهملة جمع حلة قال فى المصباح والحلة بالضم لا تكون الا من ثوبين من جنس واحد والجمع حلل مثل غرفة وغرف اه أى لا تنظر الى الحلل أى الملابس الفاخرة على شخص جاهل لان هذا افتخار دنيوى لا طائل تحته قال فى غرر الخصائص نظر معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما الى أبى أوس العذرى الخطيب وازدراه فتبين لابن أوس ذلك فى وجهه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك وانما يكلمك من فيها وكمال الرجل أدبه لا ثيابه ثم أنشد

انى وان كنت أثوابى ملفقة * ليست بخز ولا من نسج كتان
فان فى المجد هماتى وفى لغتى * فصاحة ولسانى غير لحان

وأراد بعض الاعراب مخاطبة انسان فازدراه الرجل لخسة حاله وأبى أن يكلمه فقال مالكم يا عبيد الثياب وأشباه الكلاب حقرتمونى لأطمارى ولم تسألوا عن مكنون أخبارى ثم أنشد يقول

المرء يعجبنى وما كلمته * ويقال لى هذا اللبيب اللهذم
فاذا قدحت زناده ووريته * بالقذف كما يزيف الدرهم

ودخل كثير بن عبد الرحمن على عبد الملك بن مروان فى أول خلافته فاقتحمته عينه فقال كثير يا أمير المؤمنين كل عند نفسه واسع الفناء شامخ البناء عالى الثناء ثم أنشد وقال

ترى الرجل النحيف فتزدريه * وفى أثوابه أسد هصور * ويعجبك الطرير فتبتليه
فيخلف ظنك الرجل الطرير * فما عظم الرجال لهم بزين * ولكن زينهم كرم وخير

فتعجب منه عبد الملك وأمر له بصلة حسنة وكان كثير هذا قصيرا جدا لا يبلغ طوله ضروع الابل لقصره وكان اذا دخل باب عبد الملك يقول له حين يراه طأطئ رأسك لئلا يصيبه السقف تهكما به قال عبد الملك بن عمير قدم علينا الاحنف بن قيس الكوفة أصلع الرأس متراكب الاسنان مائل الذقن ناتئ الجبهة جاحظ العينين خفيف العارضين ولكنه كان اذا تكلم جلا عن نفسه سائر العيوب * ونظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى الاحنف وعنده الوفد والاحنف ملتف بعباءة فترك عمر القوم واستنطقه فتكلم بكلامه البليغ المصيب فلم يزل عنده فى علياء الى أن عقد له من الرياسة ما كان له ثابتا الى أن فارق الدنيا اه قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

*(لا يضر الفضل اقلال كما * لا يضر الشمس اطباق الطفل)*

هذا البيت فى قوة التعليل لقوله واعتبر فضل الفتى دون الحلل أى لا يضر أهل الفضل والعلم

الاقلال والفقر كما أن الطباق الطفل وآثرته لا يضر الشمس فقوله كما لا يضر الشمس الطباق الطفل تنظير وتوضيح لما ذكره من أن الفقر والاقلال لا يضر أهل العلم والفضل فانه ما دامت الشمس موجودة فالنهار موجود والطفل بالطاء المهملة آخر النهار وقد سمت العرب ساعات النهار بأسماء فأولها البكور من طلوع الفجر الى الشمس ثم الشروق ثم الراد ثم الضحى ثم الظهر ثم الزوال ثم الاصيل ثم العصر ثم الطفل ثم الغروب قاله في شرح لامية الطغرائي عند قوله

مجدى اخيرا ومجدى أولا شرع * والشمس راد الضحى كالشمس في الطفل

وما أحسن قول الملاح في تخميسه

انما المرء بعلم علما * ليس بالاموال يحوى عظما * وكذا الفضل كرزق قسما
لا يضر الفضل اقلال كما * لا يضر الشمس الطباق الطفل

قال الناظم رحمه الله *(حبك الاوطان عجز ظاهر * فاغترب تلق عن الاهل بدل)*
أى تعلقك بالاوطان جمع وطن وهو مكان الانسان ومقره عجز ظاهر لكل أحد فاغترب أى سافر عن وطنك ودارك تلق أى تجد بدلا عن أهلك لان الله سبحانه وتعالى لا يزال في عون عبده سواء كان مقيما أو مسافرا ووقف الناظم على لفظ بدل بالسكون على لغة ربيعة والا فهو مفعول تلق وفي هذا البيت اشارة الى أنه تجب الرحلة أو تستحب في طلب العلوم والفوائد لمن لم يجد معلما يعلمه في بلده ما يحتاج اليه من أمور دينه ومعاشه فليرحل وجوبا في الواجب وندبا في المندوب فقد رحل سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام للاستفادة من الخضر عليه السلام ورحل جابر بن عبد الله الانصاري مسيرة شهر الى عبد الله بن أنس في حديث واحد ورحل عقبة بن الحرث من مكة الى المدينة في مسئلة واحدة واعلم أنه يحصل للانسان في غربته فوائد عظيمة كما قيل

تغرب عن الاوطان في طلب العلى * وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفريج هم واكتساب معيشة * وعلم وآداب وصحبة ماجد

فان قيل ان حروف الغربة مجموعة من أسماء دالة على الهلاك أو ما يؤل اليه فالغين من غرور وغم وغلبة وغرة والراء من روع وردى أى هلاك والباء من بلوى وبؤس وبوار وهو الهلاك والهاء من هوان وهول وهم وهلاك أجيب بأن محل ذلك اذا كانت الغربة في غير طلب المعالى والفوائد وأما اذا كانت لذلك فهي أفضل من الاقامة في بلده وعلى هذا يحمل كلام الناظم رحمه الله تعالى ولله در القائل

كثرة المكث في المنازل ذل * فالسعيد الشهيد من يتغرب
فاز عبد رقى العلا وكفاه * بالتقى والجميل صب تقرب

وفي كلام الناظم رحمه الله تعالى حث على طلب الرفعة وتصريح بأنها لا تحصل الا بالجد والاجتهاد ومفارقة مواطن الذل والهوان فان الذل في الاقامة والعز في الارتحال ولبعضهم

ولا يقيم بدار الذل يألفها * الا الأذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته * وذا يشج فلا يرثى له أحد

قوله في البيت صب تقرب كذا بالاصل وليس معناه بكبير فلعله محرف اه

وقوله عير بفتح العين المهملة الحمار والوتد بكسر التاء واحد الاوتاد والخسف بخاء معجمة وسين مهملة النهر والرمة بضم الراء الحبل البالى وبرثى بكسر المثلثة أى يرق اهـ قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿فهكث الماء يبقى آسنا * وسرى البدر به البدر اكتمل﴾

أشار الناظم رحمه الله تعالى الى ذكر مثالين فى غاية الحسن يوضح بهما ماذكره من الامر بالغربة ومفارقة الاوطان أحدهما أن الماء الصافى من الاكدار اذا استمر فى محل واحد من غير ورود ماء آخر عليه يصير آسنا أى متغيرا منتنا قال فى المصباح اسن الماء اسونا من باب قعد تغير فلم يشرب فهو آسن على وزن فاعل وأسن أسنا فهو أسن مثل تعب تعبا فهو تعب لغة اهـ ثانيهما انه لولا غربة القمر وانتقاله من منزلته لم يحصل له ذلك الكمال والشرف والنور والبدر القمر ليلة كماله ولكن مراد الناظم الهلال ولله در الحسين بن على الطغرائى حيث قال

ان العلى حدثتنى وهى صادقة * فيما تحدث ان العز فى النقل

لوأن فى شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

والمعنى أن التجارب أفادتنى علما صادقا ان العز فى النقل ثم أقام دليلا على ذلك بقوله لو ان فى شرف المأوى البيت أى لو أن فى الاقامة بالمكان ولو كان شريفا بلوغ مايتمناه الانسان لم تزل الشمس مقيمة فى أشرف بروجها ولبعضهم

قالوا اراك كثير السير مجتهدا * فى الارض تنزل اطورا وترتحل

فقلت لولم يكن فى السير فائدة * ما كانت السبع فى الابراج تنتقل

ولآخر

أقول لجارتى والدمع جارى * ولى عزم الرحيل الى الديار

ذرينى أن أسير ولا تنوحى * فان الشهب أشرفها السوارى

وللصفدى رحمه الله

سافر تجد رتب المفاخر والعلى * كالدر سار فصار فى التيجان

وكذا الهلال الافق لوترك السرى * مافارقته معرة النقصان

قال الناظم رحمه الله تعالى

﴿ايها العائب قولى عابثا * ان طيب الورد مؤذ بالجعل﴾

أشار الناظم رحمه الله تعالى فى هذا البيت والابيات السبعة التى بعده الى دفع الاشخاص المعرضين عن نظمه العائبين له حسدا وبغضا وعنادا أى أيها العائب قولى لاتعبه لانه لاطريق لك الى عيبه وانما عبته أنت لان رائحته طيبة جدا بمعنى أنها نافعة فى الدين لمن سمعها سماع قبول واتعاظ فهى أذكى من رائحة الورد وأنت أيها العائب بمنزلة الجعل فى كونك اذا سمعت بالمواعظ أعرضت عنها وتاذيت من سماعها كما أن الجعل اذا شم رائحة الورد تأذى كثيرا وربما هلك لوقته والجعل بضم الجيم وفتح العين المهملة الحرباء وجمعه جعلان مثل صرد وصردان اهـ والحرباء بكسر الحاء وسكون الراء المهملتين بعدهما موحدة قال فى المصباح أيضا الحرباء ممدود يقال هى ذكر أم حبين اهـ وأم حبين بالحاء المهملة بعدها باء موحدة بالتصغير قال فى المصباح أيضا أم حبين بلفظ التصغير ضرب من العظاء منتنة الريح قيل سميت

أم حبين لعظم بطنها أخـذا من الاحبن وهو الذى به استسقاء قال الازهرى أم حبين من حشرات الارض تشبه الضب اه وقوله ضرب من العظاء بكسر العين المهملة وبالظاء المشالة ممدودا قال فى المصباح أيضا العظاءة بالمد لغة أهل العالية على خلقة سام أبرص وهو كبار الوزغ والعظاية لغة تميم وجمع الاولى عظاء والثانية عظايات اه قال شيخنا فى حاشيته على الهمزية والحرباء بالمد حيوان على قدر القطاة أو قريب منها ومن شأنها أنها تستقبل الشمس وتدور معها كيف دارت فهى تطلب الشمس أبدا فهى تبدو وتحرف بوجهها اليها حتى اذا استوت الشمس ارتفعت على أعلى الشجرة ونحوها فاذا صار قرص الشمس فوق رأسها بحيث لا تراها اصابها مثل الجنون الى أن تميل الى جهة الغرب فتحرف بوجهها اليها مستقبلة لها ولا تنحرف عنها الى أن تغيب فاذا غابت الشمس لم تبت معاشها أى الليل كله الى الصباح وهذا الحيوان يشبه رأس النحل له أربعة أرجل كسام أبرص وسنام كسنام البعير ويتلون بالالوان العجيبة المختلفة قال بعضهم وهذا الطائر الذى هو الحرباء موجود فى بلاد الشام كثيرا وذكر من رآها انها اذا وقع عليها ثوب أبيض صار لونها أبيض أو أصفر صار لونها أصفر مثله وانها اذا رأت ذبابة على الارض وهى على الشجرة التقطتها بلسانها لطول لسانها اه قال الامام القزوينى فى عجائب المخلوقات لما كان الحرباء خلقا بطىء النهضة وكان لا بد له من قوت خلقه الله على صورة عجيبة فخلق عينيه تدور الى كل جهة من الجهات حتى يدرك صيده من غير حركة فى بدنه ويبقى كأنه جامد ليس من الحيوانات ثم أعطى مع السكون خاصية أخرى وهى انه يتشكل بلون الشجرة التى يكون عليها حتى يكاد يختلط لونه بلونها ثم اذا قرب منه ما يصطاده من ذباب وغيره يخرج لسانه ويخطفه بسرعة كلحوق البرق ثم يعود الى حالته كأنه جزء من الشجرة وخلق الله لسانه بخلاف المعتاد ليلحق به ما بعد عنه بثلاثة أشبار ونحوها واذا رأى ما يخاف منه تشكل بشكل يخاف منه كل ما يريده من الجوارح ويكرهه بسبب ذلك التلون فتتلون الى حمرة وخضرة وصفرة وما شاءت وهو ذكر والجمع الحرابى والانثى حرباء اه قال الناظم رحمه الله تعالى آمين

﴿عدّ عن أسهم لفظى واستتر * لا يصيبنك سهم من ثعل﴾

عد بضم العين وسكون الدال أمر من العود أى الرجوع وحرك بالفتح لاجل النظم أى ارجع عن أسهم لفظى واستتر منها لانها سهام مصيبة لا تخطئ أبدا كسهام بنى ثعل بضم المثلثة وفتح العين المهملة بطن من طيئ مشهورون بجودة الرمى وقد أكثر الشعراء من نسبة الرمى الى بنى ثعل قال الطغرائى فى لاميته * انى أريد طروق الحى من اضم * وقد حماه رماة من بنى ثعل ولبعضهم

وحى من كنانة قد رمونى * بما حوت الكنانة من سهام
اذا انتضلوا وما ثعل أبوهم * رمونك بكل رامية ورامى

كنانة الاولى القبيلة المشهورة والثانية وعاء السهام وانتضلوا بالضاد المعجمة تراموا ولابن الساعاتى رحمه الله

فاضح الظبى اذا الظبى رنا * مخجل البدر اذا البدر كمل
فارسى فاذا ناف سطا * نظرة لاذ بطرف من ثعل

وهذا

قوله عد بضم العين الخ المشهور الذى لا يحتاج الى مثل هذا التكلف أنه بفتح العين وشد الدال أمر من التعدية اه

وهذا البيت كالتأكيد للبيت الذى قبله لانه لما قال أيها العائب قولى عابثا ان الح أمره فى هذا البيت بالعود والرجوع عن التعييب بنظمه لانه من قبيل الغيبة المحرمة وهى سهام معنوية مهلكة لصاحبها اهلاكا أكثر من اهلاك سهام بنى ثعل الحسية وقد تقدم الكلام على التحذير عن الغيبة والنميمة عند قول الناظم مل عن النمام واهجره البيت قال الناظم رحمه الله تعالى

*(لا يغرنك لين من فتى * ان الحيات لينا يعتزل)*

أى لا يخدعنك لين أى سهولة من فتى أى شاب قوى والمراد به هنا أى شخص كان فشمل الناظم رحمه الله تعالى وشمل غيره ثم علل ذلك بقوله ان الحيات جمع حية لينا يعتزل أى يتنحى عنه ويتباعد منه فقد شبه الناظم رحمه الله تعالى فى هذا البيت والبيتين اللذين بعده نفسه باشياء لينة فى نفسها قاتلة بطبعها فالناظم رحمه الله تعالى وان كان لينا فى ذاته هينا فله سطوة تخشى وحركة تدل على قوة بأسه وحذر رحمه الله تعالى من تلك السطوة فقال لا تغتر بلينى فتجترئ على بسبب ذلك فان لينى اذا أغضبتنى يصير كلين الحية ومن المعلوم أنها وان كانت لينة فى نفسها فلها سم قاتل فى وقته وساعته اه قال فى غرر الخصائص ما نصه قال بعضهم ان كان فى مخالطة الناس خير فان تركهم أسلم وقال بعض الرهبان لرجل ان استطعت أن يكون بينك وبين الناس سور من حديد فافعل وان كان فى الجماعة الانس فان فى العزلة السلامة وقيل لبعضهم ما تجد فى الخلوة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم ويقال العزلة عن الناس تبقى الجلالة وتستر الفاقة وتدفع مؤنة المكافأة فى الحقوق وقال بعض الزهاد لو أن الدنيا ملئت سباعا وحيات ما خفتها ولو بقى واحد من الناس لخفته وقالوا استعذ من شرار الناس وكن من خيارهم على حذر وقال أبو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه وقال سليمان الناس أربعة أقسام أسود وذئاب وثعالب وضأن فالاسود الملوك والذئاب التجار والثعالب القراء المخادعون والضأن المؤمن ينهشه كل من يراه وقال جعفر الصادق لبعض اخوانه أقلل من معرفة الناس وأنكر من عرفت منهم وان كان لك مائة صديق فاطرح منهم تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر اه ولله در القائل

اياك أن تصطفى ممن ترى أحدا * ولا تثق بامرئ فى حالة أبدا

ولابن الرومى رحمه الله

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب

فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

وقال بعضهم

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم * وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب

فلم ترنى الايام خلا تسرنى * مباديه الا ساءنى فى العواقب

وما كنت أرجوه لدفع ملمة * ولكنه قد كان احدى النوائب

وقال الآخر

بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحاب

وقد صار هذا الناس الا أقلهم * ذئابا على أجسادهن ثياب

قال الناظم رحمه الله تعالى

*(أنا مثل الماء سهل سائغ * ومتى سخن آذى وقتل)*

أى أنا مثل الماء الكثير فى كونى لا أتغير بقول الحاسدين والاعداء العائبين لنظمى كما أن الماء الطهور لا يتغير بالجيف الواقعة فيه بل يستمر على الطهورية كما هو منصوص فى الفروع وفى كونى سهل الاخلاق سائغ المذاق لكن اذا آذانى شخص وتغيرت عليه وتوسلت الى الله فى أخذ حقى منه باخذه الله عاجلا من حسن ظنى فى ربى سبحانه وتعالى كما أن الماء وان كان عذبا فراتا وشرابا سائغا لكنه اذا سخن بالنار وخرج عن الحد والاعتدال آذى وقتل فى الحال كما هو محسوس وفى هذا البيت اشارة الى أن الناظم رحمه الله تعالى كان من أولياء الله تعالى الذين يغار عليهم كما فى الحديث الصحيح ان الله تعالى قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب أى من عاداه من أجل كونه وليا لله تعالى والا فقد جرى بين الصديق والفاروق وبين العباس وعلى وكثير من الصحابة ما جرى والكل أولياء الله عليهم الرضوان وقوله فقد آذنته بالحرب بمد الهمزة أى أعلمته بأنى محارب له أى أعمل به معاملة المحارب من التجلى عليه بمظاهر القهر والجلال والعدل والانتقام والا فالعبد لا يتصور منه محاربة لربه لانه فى أسر خالقه اه فاذا توجه الولى الى ربه فى شئ أجابه ونصره كما قال فى آخر الحديث ولئن سألنى لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه فان قلت ان جماعة من العباد والصلحاء دعوا وبالغوا فلم يجابوا فالجواب أن الاجابة تتنوع فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور وتارة يتأخر لحكمة فيه وتارة تقع الاجابة بغير المطلوب اذا كان أصلح اه قال الناظم رحمه الله تعالى

*(أنا كالخيزور صعب كسره * وهو لين كيفما شئت انفتل)*

أى أنا كقضيب الخيزران فى كونى لينا ومع ذلك صعب الكسر فلا يقدر أحد على أذيتى لتوكلى على ربى سبحانه وتعالى وقوتى وشدتى به تعالى كما أن الخيزران وان كان لينا فى نفسه صعب فى كسره فلابد من الاستعانة عليه بالقدوم ونحوه كما هو محسوس قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ولا شك أن الشيخ عمر بن الوردى صاحب المنظومة كان من المتوكلين على الله تعالى ومن العلماء العاملين كما تقدم الكلام عليه فى أول الشرح مبسوطا نفعنا الله تعالى به وجعلنا من أتباعه آمين قال الناظم رحمه الله

*(غير أنى فى زمان من يكن * فيه ذا مال هو المولى الاجل)*

*(واجب عند الورى اكرامه * وقليل المال فيهم يستقل)*

لما ذكر رحمه الله تعالى أن كلامه له رائحة ذكية كرائحة الورد بل أعلى لما اشتمل عليه من المواعظ الجليلة والتحقيق والتدقيق وأراد رحمه الله تعالى نشره بين الخلائق لاجل أن يزداد ثوابه بكثرة أتباعه الآخذين عنه استثنى وأخبر أنه فى زمان لم يكن قابلا لما يريده من نشر العلوم واظهار الفضائل بل هو فى زمان أقبل أهله على الدنيا وأعرضوا عن الآخرة وتقدمت فيه أصحاب الاموال ولو كانوا جهلة على أهل العلم والفضل فصاحب المال عندهم عزيز مكرم مقبول القول وأما قليل المال فهو الحقير المستقل الذليل المهان الذى لا تسمع له كلمة

وللّه در القائل

ان الغنى اذا تكلم بالخطا * قالوا أصبت وصدقوا ماقالا * واذا الفقير أصاب قالوا كلهم
أخطأت ياهذا وقلت ضلالا * ان الدراهم فى الاماكن كلها * تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحة * وهى السلاح لمن أراد قتالا

وقالوا اذا افتقر الرجل اتهمه من كان يأمنه وأساء به الظن من كان يحسنه واذا أذنب غيره ينسب اليه ومن كان له صار عليه ولله در القائل

يغدو الفقير وكل شئ ضده * والارض تغلق دونه أبوابها * وتراه ممقوتا وليس بمذنب
ويرى العداوة لايرى أسبابها * حتى الكلاب اذا رأت ذا بزة * أصغت اليه وحركت أذنابها
واذا رأت يوما فقيرا عاريا * نبحت عليه وكشرت أنيابها

وقال عبد الملك بن صالح رب حسب دفنه الفقر ولله در القائل

الفقر يزرى بأقوام ذوى حسب * وقد يسوّد غير السيد المال

وقالوا الفقر يخرس لسان الفطن عن حجته ويجعله غريبا فى بلدته وما أحسن ماقاله بعضهم

ولا رفع النفس الدنية كالغنى * ولا وضع النفس الشريفة كالفقر

قاله فى غرر الخصائص وكلام الناظم رحمه الله تعالى بالنسبة لما كان فى زمانه وهو آخر القرن السابع وأول الثامن وكان فى الحقيقة زمان الخير والفضل والسيادة خصوصا وكان فيه محدثون وفقهاء وأصوليون ومتكلمون ونحوهم من علماء الاسلام فما بالك بزماننا هذا الذى تقدمت فيه الجهلاء على الفضلاء والاشرار على الاخيار وانقرضت فيه العلماء واشتبه فيه الامر وصار القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر وحظى فيه القواد والمتمسخرون كما قال الشاعر

قد رمينا من الزمان بسهم * قدم النذل والكريم تأخر
مات من عاش بالفضيلة جوعا * وحظى من يقود أو يتمسخر

فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون وفى الجامع الصغير قال صلى الله عليه وسلم انكم فى زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك ثم يأتى زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا رواه الترمذى عن أبى هريرة قال المناوى انكم أيها الصحب فى زمان بالامن وعز الاسلام من ترك منكم فيه عشر ما أمر به من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر هلك أى وقع فى الهلاك لان الدين فيه عزيز وفى أنصاره كثرة فالترك تقصير بلا عذر ثم يأتى زمان يضعف فيه الاسلام ويكثر فيه الظلم ويعم فيه الفسق وتقل أنصار الدين وحينئذ من عمل منهم أى من أهل ذلك الزمن بعشر ما أمر به نجا لانه المقدور ولا يكلف الله نفسا الا وسعها اه قال الناظم رحمه الله تعالى

*(كل أهل العصر غمر وأنا * منهم فاترك تفاصيل الجمل)*

أى جميع أهل العصر أى الدهر المعهود وهو عصره رضى الله عنه فما بالك بعصرنا غمر بضم الغين المعجمة أى لم يجرب الامور وأصله الصبى الذى لا عقل له ثم أطلق على كل من لا خبر فيه ولا

عقل له ولا رأى ولا عمل صالح ثم انه رحمه الله نص على نفسه بأنه غمر بقوله وأنا منهم بعد دخوله في القضية الكلية وهو قوله كل أهل العصر غمر تواضعا لربه عز وجل ومن المعلوم أن من تواضع لله رفعه ثم أمر بترك البحث والنظر في أحوال الخلق بقوله فاترك تفاصيل الجمل أى اترك تفصيل الاشياء المجملة المجموعة وعليك بنفسك فاجتهد في خلاصها بالاعمال الصالحة ولا تنظر الى عيوب غيرك لانه تضييع للزمان فيما لا يعنيك ومن حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه ولله در القائل

صن العرض وابذل كل مال ملكته * فان ابتذال المال للعرض أصون
ولا تطلقن منك اللسان بسوأة * فعندك عورات وللناس ألسن
وعينك ان أبدت اليك معايبا * بقوم فقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى * وفارق ولكن بالتي هي أحسن

قال بعضهم اذا وجدت قساوة في قلبك وضعفا في بدنك وحرمانا في رزقك فاعلم أنك تكلمت بما لا يعنيك فكلام الشخص فيما لا يعنيه يقسي القلب و يضعف البدن و يعسر أسباب الرزق وروى أبو عبيدة عن الحسن أنه قال من علامة اعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه ومر حسان بن أبي سفيان بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم أقبل على نفسه وقال تسألين عما لا يعنيك لأعاقبنك بصوم سنة فصامها ﴿تتمة﴾ في ضابط ما يعني ومالا يعني فالذي يعني الانسان ما يتعلق بضرورة حياته في معاشه مما يشبعه من جوع ويرويه من عطش ويستر عورته ويعف فرجه ونحو ذلك مما يدفع الضرورة دون ما فيه تلذذ وتنعم وما يتعلق بمعاده مما فيه ثواب والذي لا يعني هو مالا تدعو الضرورة اليه من اللعب والهزل وكل ما يخل بالمروءة والتوسع في الدنيا وطلب المناصب والرياسة وحب المحمدة ونحو ذلك مما لا يعود عليه منه نفع أخروي فانه ضياع للوقت النفيس الذي لا يمكن أن يعوض فائته وقال بعضهم مالا يعنيه هو ما يخاف فيه فوات الاجر والذي يعنيه هو مالا يخاف فيه ذلك وقال بعضهم ما يعنيه هو ما يعود عليه منه منفعة لدينه أو دنياه الموصلة لآخرته ومالا يعنيه عكسه وهو مالا يعود عليه منه منفعة لدينه أو دنياه الموصلة لآخرته بخلاف دنيا تقطعه وتفسد عليه آخرته اه وهذا آخر كلام الناظم رحمه الله تعالى والحمد لله أولا وآخرا ولنتكلم على ثلاثة أبيات ليست من كلام الناظم لكنها من القافية والوزن تضمنت الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والسادة المتقدمين فاخترنا الكلام عليها تتميما للفائدة بل هي الفائدة العظمى لانه صلى الله عليه وسلم باب الله الاعظم قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية وهي هذه

﴿وصلاة وسلام أبدا * للنبي المصطفى خير الدول﴾

أي ودعاء بخير وأمان من جميع الآفات ثابت كل منهما أبدا أي دهرا طويلا ليس بمحدود للنبي أي كائنان للنبي المصطفى أي المختار خير أي أفضل الدول جمع دولة من لدن آدم الى يوم القيامة اه فالصلاة في اللغة الدعاء بخير وهو المراد هنا وفي الشرع أقوال وافعال مفتتحة بالتكبير

مختتمة

مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة والصحيح ان الله تعالى يزيد نبيه رفعة بصلاتنا عليه ويثيبنا نحن على الصلاة لكن لا ينبغي للمصلي أن يقصد نفع النبي صلى الله عليه وسلم وانما يقصد نفع نفسه والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مقبولة قطعا ولا يدخلها رياء بالنسبة للقدر الذي للمصطفى صلى الله عليه وسلم وأما القدر الذي للمصلي فيدخله الرياء ويؤثر فيه وبالجملة فالمصلي ينتفع بها ولو كان مرائيا لان الثواب الحاصل للمصطفى عليه الصلاة والسلام كاف في ذلك وجمع الناظم بين الصلاة والسلام خروجا من كراهة افراد أحدهما عن الآخر وقوله النبي بتشديد الياء مأخوذ من نبا ينبو اذا علا وارتفع لانه مرفوع الرتبة على غيره أو بالهمز مأخوذ من النبأ وهو الخبر لانه مخبر بفتح الباء أي أخبره جبريل عن الله تعالى أو مخبر بكسر الباء أي الخلق فان قلت قد ورد النهي عن المهموز وهو قوله عليه الصلاة والسلام لا تقولوا يا نبيء الله وانما قولوا يا نبي الله أي بالتشديد فجوابه أن المهموز يطلق ويراد به الطريد ويطلق ويراد به المخبر فلما كان يتوهم منه معنى الطريد نهاهم عنه أولا ولكن لما كثر الاسلام وشاع صار لا يتوهم هذا المعنى وهو انسان أوحي اليه بشرع وأمر بتبليغه فكل رسول نبي ولا عكس والكلام عليها شهير فلا نطيل بذكره قال الناظم رحمه الله تعالى

﴿وعلى الآل الكرام السعدا * وعلى الاصحاب والقوم الاول﴾

أي وصلاة وسلاما على الآل أي آله صلى الله عليه وسلم فأل عوض عن الضمير وآله صلى الله عليه وسلم في مقام تحريم الزكاة مؤمنو بني هاشم وبني المطلب وفي مقام المدح كل تقي وفي مقام الدعاء كل مؤمن ولو عاصيا كما هنا وقوله الكرام نعت للآل أي الاخيار جمع كريم السعداء نعت ثان جمع سعيد وهو خلاف الشقي وعلى الاصحاب أي وصلاة وسلام عليهم جمع صاحب ويجمع على صحب وصحابة أيضا فلصاحب ثلاثة جموع وهو من اجتمع مؤمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومات على ذلك والكلام عليه مشهور وصلاة وسلام أيضا على القوم الاول أي الجماعة السالفين من التابعين وتابعيهم باحسان كالائمة الاربعة وتلامذتهم وكالشيخ الجنيد وأتباعهم رحمهم الله تعالى ونفعنا بهم آمين والقوم كما في المصباح جماعة الرجال ليس فيهم امرأة الواحد رجل وامرؤ من غير لفظه والجمع أقوام سموا بذلك لقيامهم بالعظائم والمهمات قال الصغاني وربما دل على النساء تبعا لان قوم كل نبي رجال ونساء ويذكر القوم ويؤنث فيقال قام القوم وقامت القوم وكذلك كل اسم جمع لا واحد له من لفظه نحو رهط ونفر اه فعلم من النظم أن الصلاة والسلام على القوم وقع تبعا وهو كذلك وأما استقلالا فلا يجوز فيقال اللهم صل على النبي وعلى سيدي عبد الرحيم القناوي فقط ولا يرد قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل بني أوفى لان من استحق شيأ له أن يخص به غيره واعلم أن مقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام الصلاة والتسليم ومقام الصحابة الترضي ومقام من بعدهم الترحم كما نص عليه الائمة المحققون قال الناظم رحمه الله

﴿ما نوى الركب بعشاق الى * أيمن الحي وما غني رمل﴾

فما مصدرية ظرفية للصلاة والسلام على من ذكر ونوى بالواو من النية وهو العزم أي ما عزم

وبهار الركب جمع راكب مثل صاحب وصحب ويجمع أيضا على ركبان كما فى المصباح وقوله بعشاق متعلق بنوى جمع عاشق وهو المفرط فى المحبة ويطلق على الذكر والانثى فيقال رجل عاشق وامرأة عاشقة أيضا كما فى المصباح وقوله الى أيمن الحى متعلق بنوى وأيمن بفتح الميم أى جهة اليمين كما فى قوله صلى الله عليه وسلم الايمن فالأيمن وأما بضم الميم فهو اليمين والحى هو القبيلة من العرب والجمع احياء وسميت به القبيلة لحياتها بالساكنين فيها وقوله وماغنى بتشديد النون أى ترنم بالغناء أى الصوت قال فى المصباح والغناء مثل كتاب الصوت وغنى بالتشديد اذا ترنم بالغناء وقوله رمل بفتح الراء المهملة وفتح الميم هو نوع من أنواع النغم كالرهاوى والحسينى والحجاز والعربى والرصد والسيكاه وما أشبه ذلك من أنواع الاهوية وفى قوله غنى رمل اشارة الى بحر هذه القصيدة فهى من بحر الرمل كما تقدم فى صدر الكتاب ﴿خاتمة﴾ روى أبو طلحة رضى الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يبرق فقلت يارسول الله مارأيتك كاليوم أطيب نفسا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومالى لا تطيب نفسى وقد جاءنى جبريل عليه السلام الساعة فقال لى من صلى عليك من أمتك صلاة كتب له بها عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت أخيط شيأ فى السحر فسقطت الابرة واطفأ المصباح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأضاء البيت من ضياء وجهه فوجدت الابرة فقلت ما أضوأ وجهك يارسول الله فقال ياعائشة الويل لمن لم يرنى يوم القيامة قال فقلت ومن الذى لم يرك يوم القيامة قال البخيل فقلت ومن البخيل يارسول الله قال الذى اذا ذكرت عنده لم يصل على ✽ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلاة واحدة ليلة الجمعة أو يوم الجمعة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوايج الآخرة وثلاثين من حوايج الدنيا وبعث الى ملكا يدخل على قبرى فيخبرنى باسمه ونسبه فاكتبه عندى فى صحيفة بيضاء وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة تحت ظل العرش يوم لا ظل الا ظله قيل من هم يارسول الله قال من فرج عن مكروب من أمتى ومن أحيا سنتى ومن أكثر الصلاة على ✽ وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمى فى ذلك الكتاب وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من صلى على تعظيما لحقى خلق الله عز وجل ملكا من ذلك القول أحد جناحيه بالمشرق والآخر بالمغرب ورجلاه مغروزتان فى الارض السابعة وعنقه تحت العرش فيقول الله تعالى له صل على عبدى كما صلى على نبيى فهو يصلى عليه الى يوم القيامة ✽ وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله وكل بقبرى ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلى على الا قال الملكان مجيبين له غفر الله لك فتقول حملة العرش وسائر الملائكة جوابا للملكين آمين ولا أذكر عند أحد فلا يصلى على الا قال الملكان لا غفر الله لك وتقول حملة العرش وسائر الملائكة جوابا للملكين آمين وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال أكثركم على صلاة أكثركم فى الجنة أزواجا ✽ وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من صلى على مائة مرة تزحزحت النار عنه وروى انه اذا كان يوم القيامة وضعت

حسنات المؤمن وسيآته فتنزل صحائف من عند الله بيض على حسناته فترجح حسناته على سيآته فيقول الله تعالى هذه صلاتك على محمد ثقلت بها ميزانك وجعلتها لك ذخيرة ولله در القائل

لأحمد فضل لا يعد ولا يحصى * وليس له في الدهر حد فيستقصى
لمن كان مثلي مذنبا ومقصرا * فجاه رسول الله قد جبر النقصا
فيا فوز من صلى عليه من الورى * فذلك بتثقيل لميزانه خصا

وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح وأمسى وقال اللهم يارب محمد وآل محمد صل على محمد وعلى آل محمد واجز محمدا صلى الله عليه وسلم عنا ما هو أهله أتعب سبعين كاتبا ألف صباح ولم يكن لنبيه حق الا أداه وغفر له ولوالديه ويحشر مع محمد وآل محمد * وعن وهب بن منبه رحمه الله تعالى أنه قال خلق الله آدم عليه السلام ونفخ فيه روحه ففتح عينيه ونظر الى باب الجنة فرأى مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فقال أى رب هل تخلق خلقا هو أعز عليك مني فقال نعم نبيا من ذريتك فلما خلق الله حواء وركب فيه الشهوة قال يارب زوجني بها فقال الله تعالى ادفع مهرها فقال يارب وما مهرها قال أن تصلي على صاحب هذا الاسم مائة مرة قال ان فعلت تزوجنيها قال نعم فصلى آدم على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة فكان ذلك مهرها فزوجه الله تعالى بها ولله در القائل

وأبوك آدم اذ رأى حوا وقد * زفت بأنوع الحلي والجوهر
صلى عليك فكان ذلك مهرها * والحور بين مهلل ومكبر

وروى أن أصحاب الحديث يأتون يوم القيامة محابرهم فيقول الله تعالى لجبريل عليه السلام اقض حوائجهم فانهم كانوا يصلون كثيرا على النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا فخذ بأيديهم وأدخلهم الجنة وقال بعض الصوفية كان لي جار مسرف على نفسه لا يعرف من سكره يومه من أمسه وكنت أعظه فلا يقبل وآمره بالتوبة فلا يفعل فلما مات رأيته في المنام وعليه من حلل الجنة لباس الاعزاز والاكرام فقلت له بم نلت هذه المنزلة وهذا المقام فقال حضرت يوما مجلس العلم فسمعت المحدث يقول من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ورفع صوته وجبت له الجنة ثم رفع المحدث صوته بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ورفعت صوتي معه ورفع القوم أصواتهم فغفر لنا جميعا في ذلك اليوم فكان نصيبي من هذه الصلاة أن جاد علي بهذه النعمة ولله در القائل

ان شئت من بعد الضلالة تهتدي * صل على الهادي البشير محمد
يا فوز من صلى عليه فانه * يحوي الاماني بالنعيم السرمدي
يا قومنا صلوا عليه فتظفروا * بالبشر والعيش الهني الارغد
صلوا عليه وارفعوا أصواتكم * يغفر لكم في يومكم قبل الغد
ويخصكم رب الانام بفضله * بأفاضل الجنات يوم الموعد
صلى عليه الله جل جلاله * مالاح في الآفاق نجم الفرقد

ومن فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أن امرأة كان لها ولد مسرف على نفسه

وكانت تأمره بالخير وتنهاه عن الفحشاء والمنكر والقضاء والقدر فغالب عليه شهوات وهو مصر
على ما كان عليه فحزنت عليه أمه حزناً شديداً وظنت أنه مات على غير الملة فتمنت أنها تراه في
النوم فرأته يعذب فازدادت عليه حزناً فلما كان بعد مدة رأته وهو على هيئة حسنة وهو فرح
مسرور فسألته عن حاله وقالت يا ولدي اني رأيتك تعذب ثم نلت هذا الخير فقال يا أماه اجتاز
رجل مسرف على نفسه بالتربة التي أنا فيها فنظر الى القبور وتفكر في البعث والنشور واعتبر
بالموتى فبكى على زلته وندم على خطيئته وتاب الى الله تعالى وعقد التوبة معه أن لا يعود ففرحت
بتوبته ملائكة السماء ثم انه لما تاب وعلم الله صدق نيته تاب عليه فقرأ شيأ من القرآن وصلى
على النبي صلى الله عليه وسلم عشر مرات وأهدى ثوابها لأهل التربة التي أنا فيها فقسم ثوابها
علينا فنابني من ذلك جزء فغفر الله لي وحصل لي من الخير ما ترين فاعلمي يا أماه أن الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم نور في القلوب وتكفير للذنوب ورحمة للأحياء والأموات وقد قيل في
بعض الروايات ان للمصلين على سيد المرسلين عشر كرامات احداهن صلاة الملك الغفار الثانية
شفاعة النبي المختار الثالثة الاقتداء بالملائكة الأبرار الرابعة مخالفة المنافقين والكفار
الخامسة محو الخطايا والأوزار السادسة قضاء الحوائج والأوطار السابعة تنوير الظواهر
والأسرار الثامنة النجاة من النار التاسعة دخول دار القرار العاشرة سلام الملك الغفار
وروئي انسان بعد موته وعليه حلة وعلى رأسه تاج مكلل بالجواهر فقيل له ما فعل الله بك قال غفر
لي وأكرمني وأدخلني الجنة فقيل له بماذا فقال بكثرة صلاتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروى ان مسرفاً من بني اسرائيل لما مات رموه فأوحى الله لموسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة
والسلام أن غسله وكفنه وصل عليه فاني قد غفرت له قال يارب وبم ذلك قال انه فتح التوراة يوماً
فوجد فيها اسم محمد صلى الله عليه وسلم فصلى عليه فغفرت له بذلك ورأى بعض الصالحين صورة
قبيحة في النوم فقال لها من أنت قالت أنا عملك القبيح قال لها فبم النجاة منك قالت بكثرة
الصلاة على المصطفى صلى الله عليه وسلم وجعل بعض الصالحين كل ليلة على نفسه عدداً معلوماً
يصليه على النبي صلى الله عليه وسلم عند النوم فأخذته عيناه ليلة فرأى النبي صلى الله عليه وسلم
داخلاً عليه فامتلأ بيته نوراً فقال له هات هذا الفم الذي يكثر الصلاة علي أقبله قال فاستحييت
فأدرت له خدي فقبله فانتبهت فاذا البيت يفوح مسكاً من رائحته صلى الله عليه وسلم وبقيت
رائحة المسك في خدي نحو ثمانية أيام وحكي أن شخصاً كان يكثر الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم فسئل عن ذلك فذكر أنه خرج ومعه أبوه فبينما هو نائم في بعض المنازل واذا قائل يقول
له قم فقد أمات الله أباك وسود وجهه فاستيقظ فرآه كذلك فداخله منه رعب شديد ثم نام فرأى
أربعة سودان محدقين بأبيه ومعهم أعمدة من حديد فأقبل رجل حسن الوجه فنحاهم عنه
ورفع الثوب عن وجهه ومسحه بيده ثم أتاني فقال قم قد بيض الله وجه أبيك فقلت من أنت بأبي
أنت وأمي قال محمد صلى الله عليه وسلم فكشفت الثوب عن وجه أبي فاذا وجه أبي أبيض فدفنته
ثم ما تركت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على سيدنا محمد الذي شرفته على سائر
الأنام ورفعته الى أشرف محفل ومقام وجعلته دليلاً الى دار السلام * اللهم فكما أمرتنا

الصلاة عليه بلغ اللهم صلاتنا منا عليه يارب العالمين * اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا ممن فاز بمتابعته واتم بشريعته واقتدى بصحابته واهتدى بسنته * اللهم أوردنا حوضه وأرنا وجهه ولا تحرمنا شفاعته واجمع بيننا وبينه في مستقر الرحمة والرضوان ياذا الجلال والاكرام والله سبحانه وتعالى أعلم (قال مؤلفه رحمه الله) وكان الفراغ من كتابته يوم الجمعة المبارك سلخ جمادي الثانية سنة ١٣٠٥ خمس ومائتين وألف من هجرة نبي خص بالفضل والشرف على يد كاتبه وجامعه الفقير مسعود بن حسن بن أبي بكر بن حسن بن بساط الحسني القناوي الشافعي غفر الله له ولوالديه ولمن دعا لهم بالمغفرة آمين

بحمد الله على طوله وباقداره وقوته وحوله تم طبع هذا الكتاب شرح
لامية ابن الوردي الذي شدت اليه الرحال لطلب الحكم والآداب
فجزى الله ناظمها وشارحها خيرا وأفاض عليهما سجال الرحمة
في الدنيا والاخرى وشكر الله سعى ملتزم طبعه وطبع
الجناب المكرم الشيخ طلبه عبد الوهاب
بالمطبعة الوهبيه احدى المطابع المصريه
وتم في العشر الاول من رمضان ذي
البركة سنة سبع وتسعين
ومائتين وألف من
الهجره
تم